الأدب الإسلامي

٧٣

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٧٣) ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

الموقف الإسلاميّ والخلقيّ للنّقاد العرب من بعض شعراء السّفه

د. وليد قصاب

قبسات من أدب الدكتور راشد المبارك

د. أحمد البراء الأميري

الأدب المقروء والأدب المنظور

د. عماد الدين خليل

عبدالحليم عويس

رجل فقدناه

(ملف العدد)

بسم الله الرحمن الرحيم

رجل فقدناه!

أتيح لي أن أقرأ معظم ما كتب في الصحف والمجلات عن الدكتور عبد الحليم عويس –رحمه الله، وقد رثاه عدد كبير من علماء الأمة، وعلى رأسهم العلامة الكبير الدكتور يوسف القرضاوي -حفظه الله.

وكان أول تعرفي إلى الدكتور عبد الحليم عويس فيما كان يكتبه في جريدة الشرق الأوسط من ملفات وحوارات موفقة.

وعندما قام أول مكتب لرابطة الأدب الإسلامي العالمية برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي –رحمه الله- انتدبت مع الدكتور عبد الباسط بدر لزيارة القاهرة، والاتصال بالأدباء الإسلاميين لإقامة مكتب إقليمي للرابطة في القاهرة، وأتيح لنا هناك أن نفيد من خبرة الدكتور عبد الحليم وصلاته بالعلماء والأدباء، حيث قمنا خلال عدة أيام بزيارة مئات الشخصيات والأدباء لنعرض عليهم الدعوة إلى الأدب الإسلامي.

وكان أعظم من استجاب لدعوتنا معالي الأستاذ حسن عباس زكي –وكان رئيسا لجمعية الشبان المسلمين- حيث وضع تحت تصرفنا مركز الجمعية، وتبنى الدعوة إلى محاضرة عامة عن الأدب الإسلامي في مركز الجمعية.

وتوالت بعد ذلك المحاضرات والندوات والمؤتمرات عن الأدب الإسلامي في القاهرة، والإسكندرية، وطنطا، وأسيوط، وغيرها، حتى أصبح مكتب الرابطة الإقليمي في القاهرة أكبر مكاتب الرابطة في عدد الأعضاء وتنوع المناشط.

ولست أتردد في القول: إن الفضل –بعد الله سبحانه- في إقامة مكتب الرابطة في مصر يعود إلى الدكتور عبد الحليم عويس أولا.

وقد توثقت صلتي بالدكتور عبد الحليم طوال السنوات التي عملنا فيها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ورأيت فيه رجلا فريدا، يصدق فيه قولهم: (ما رأيت مثله في معناه).

ولعل أبرز شمائله هو النشاط العجيب، والحلم البالغ، والكرم الأصيل، وانفتاحه على الناس مع اختلاف مشاربهم، وتعدد توجهاتهم.

فأما نشاطه العجيب فيكفي أنه لم يكد يترك بلدا إسلاميا إلا زاره واتصل برجالاته ودعاته وأدبائه. وقد رأيته مؤخرا في أحد المؤتمرات في الرياض يصعد إلى المنبر وهو يتوكأ على رجلين عن يمين وشمال، بل لقد عرض علي وهو على هذا الحال أن يتسلم منصب رئيس مكتب الرابطة في القاهرة.

وأما حلمه البالغ فقد شهدته وهو عريف إحدى الأمسيات الشعرية في مكتب الرابطة في القاهرة يتعرض إلى هجوم عنيف من أحد الشعراء، وكان كل ما فعله أن ردد قوله تعالى: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس). وقد قلت يومها: صدق من قال: إن لكل مسمى من اسمه نصيبا.

وإذا كان المجال يضيق عن ضرب الأمثلة على كرمه فيكفي أن أشير إلى أنه كثيرا ما كان يطعم الطلاب الفقراء، وإذا دعا أحدا إلى مائدته فإنه يوشك أن يقتله من كثرة إلحاحه عليه في المأكل والمشرب.

وأما انفتاحه على الناس فيكفي أن نذكر كثرة الذين حضروا جنازته، وكثرة من كتبوا في رثائه.

وآخر ما أقول: إن لله ما أعطى، ولله ما أخذ، اللهم ارحم تلك النفس الزكية. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (١٩) العدد (٧٣)
صفر - ربيع الآخر١٤٣٣هـ
كانون الثاني (يناير)- آذار (مارس) ٢٠١٢

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

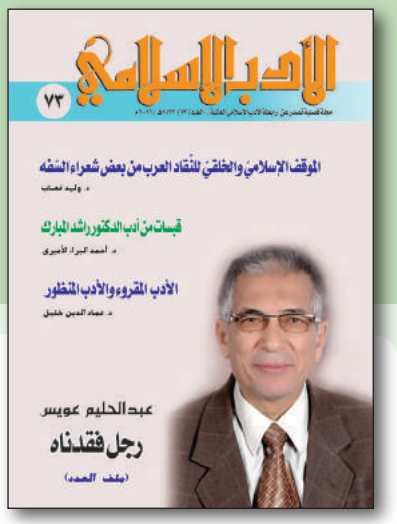

من كُتّاب العدد

د.علي صديقي

د.محمد علي حمدالله

إدريس اليزامي

د.علي بن محمد الحمود

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أومايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**
- رجل فقدناه — رئيس التحرير — ١

❖ **ملف العدد:**
- د. عبدالحليم عويس.. مشاعر العلماء والمفكرين والأدباء وكلماتهم — التحرير — ٤
- عبدالحليم عويس.. النجم الذي هوى — محمد عبدالشافي القوصي — ١٠
- عبدالحليم عويس.. دليل عمل للنهضة — السنوسي محمد السنوسي — ١٣
- عبدالحليم عويس.. الراحل المقيم — محيي الدين صالح — ١٦
- لقاء العدد مع د. عبدالحليم عويس — حوار: جمال سالم — ١٨
- عبدالحليم عويس.. سيرة ذاتية — التحرير — ٢٠
- الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السفه — د. وليد قصاب — ٢٨
- التحيزات اللاهوتية للنقد العربي.. النقد الشكلاني نموذجا — د. علي صديقي — ٤٠
- الاختيارات في كتب الأدب العربي — د. محمد علي حمدالله — ٤٦
- قبسات من أدب الدكتور راشد المبارك — د. أحمد البراء الأميري — ٥٨
- الرواية التاريخية.. جنة الطوارق نموذجا — إدريس اليزامي — ٦٦
- من أدب أم المؤمنين عائشة.. وبلاغتها العربية — فهد إبراهيم البكر — ٨٢
- الأدب المقروء والأدب المنظور (الورقة الأخيرة) — د. عماد الدين خليل — ١١٢

الشعر

- أجمل الأوقات — شيخموس العلي — ٣٩
- أمي — عبدالله الحميد — ٤٥
- همهمة قلب — انتصار اليحيى — ٥٣
- صيحة الحق — عبدالرحمن البجاوي — ٦٥
- قلبي هناك — حورية وجدي — ٦٩
- لا ظل يطاردني — إبراهيم حافظ غريب — ٨١
- شموخ — عابدين الخطاري — ٨٧
- دعاء — ناجي عبداللطيف — ١١٠

القصة والمسرحية

- هذا أنس يخدمك — فاطمة محمد شنون — ٣٨
- وعرفت السبب — د. عبدالله بن صالح العريني — ٥٤
- في مغرب الشمس — رياض عبدالله حلاق — ٧٠
- محكمة العدل العمرية — د. غازي طليمات — ٧٢

(مسرحية شعرية)
- الدرب المعاكس للأديبة البنغالية نعيمة آرا — ترجمة: محمد صادق حسين — ٧٨
- بائع الخبز — عزالدين بلعاليا — ٨٨

الأبواب الثابتة

❖ **من تراث الأدب الإسلامي:**
- توبة قاطع سبيل — ياقوت الحموي — ٦٤

❖ **رسالة جامعية:**
- الاتجاه الإسلامي في الرواية.. في دول مجلس التعاون الخليجي — د. علي بن محمد الحمود — ٩٠

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**
- معالم على طريق الأدب الإسلامي لطاهر العتباني — عرض: شمس الدين درمش — ٩٦
- المسرحيات الإسلامية القصيرة لعلي أحمد باكثير — عرض: التحرير — ٩٧

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ٩٨

❖ **ترويح القلوب:**
- ما قالته الجدة في الدار العتيقة — فاضل السباعي — ١٠٨

❖ **بريد الأدب الإسلامي** — ١١١

مشاعر العلماء والمفكرين والأدباء وكلماتهم

في تأبين الدكتور عبدالحليم عويس

تنعى رابطة الأدب الإسلامي العالمية ومكتبها الإقليمي في القاهرة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، الكاتب والمفكر الإسلامي، الذي توفي مساء الجمعة (١٤ محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ٩ديسمبر ٢٠١١م)، بعد صراع مع المرض، عن عمر يناهز ٦٨ سنة.

وكان الفقيد الراحل من مؤسسي المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، والساعين لتطويره بدأب، وعضوا في الهيئة الإدارية نائبا لرئيس المكتب، وعضوا في مجلس أمناء الرابطة.

هذا؛ وشيعت جنازة الفقيد د.عبد الحليم عويس -رحمه الله- بقرية سندسيس بالمحلة، بحضور أعداد غفيرة من أبناء القرية وأصدقاء الراحل، بالإضافة إلى أعضاء من الهيئة الإدارية لجمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة، وأعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومندوبين من الأزهر، ووزارة الأوقاف، وحضور الدكتور محمد المختار المهدي الرئيس العام للجمعية الشرعية.

من أهم العاملين في الحركة الأدبية الإسلامية

وقد عبر فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي رئيس ندوة العلماء في الهند، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية عن مشاعره في كلمة موجهة إلى رئيس الرابطة د.عبد القدوس أبو صالح، فقال:

«فقد تلقينا من رسالتكم خبر وفاة الكاتب والمفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور عبدالحليم عويس بحزن بالغ. فإنا نحن أصالة عني ونيابة عن مكتبنا في الهند نرى وفاته خسارة كبيرة للفكر الإسلامي، وللحركة الأدبية الإسلامية. فقد كان من أهم العاملين لها. فقد أحزننا هذا الخبر كثيرا، وكانت بيننا وبينه روابط الصداقة والزمالة في العمل الأدبي الإسلامي. نقدم أخص تعازينا إلى المكتب الرئيسي، والمكتب المصري الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي، وإلى أسرة الفقيد أيضا. غفر الله للفقيد، وأكرم مثواه لديه، وجزاه الله تعالى أكرم الجزاء».

الشيخ محمد الرابع

الشيخ يوسف القرضاوي

د. أحمد الطيب

ابن المدرسة الوسطية الإسلامية:

وجاء في كلمة فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قوله:

«باسمي وباسم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أنعى أخانا الكريم: العالم الأزهري المصري المعروف، الداعية المؤرخ المفكر الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، ابن المدرسة الوسطية الإسلامية، وصاحب المؤلفات العلمية النافعة، وتلميذ شيخنا الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وأحد أعضاء الاتحاد.

وقد عرفتُ الدكتور عبد الحليم عويس منذ مدة طويلة من الزمن، وانعقدت بيني وبينه مودة عميقة، وعرفته أكثر في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، حيث كان أحد الناشطين الفاعلين في هذه الملتقيات، بما يلقيه من محاضرات، وبما يقدمه من مقترحات، وبما يشارك فيه من المنتديات...

وقد فقدت الأمّة الإسلامية واحدًا من علمائها ومفكريها، يقول الحق ولا يخاف لومة لائم، ويجتهد في خدمة دينه وأمّته، بالعمل الأكاديميّ، والتدريس الجامعيّ، وتأليف الكتب والرسائل، وإلقاء المحاضرات، نسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يُعلي درجاته، ويُسكنه الفردوس الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا».

استفاد ملايين الدارسين منه:

وقد نعى الأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر للأمة الإسلامية الدكتور عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة التبيان المصرية. وتقدم الأزهر في بيان له للأمة الإسلامية بخالص العزاء لوفاة

العالم الإسلامي؛ لما قدمه في خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية مشاطرا أسرته خالص العزاء. وأشار البيان إلى الجهود العلمية التي قام بها الدكتور عبد الحليم عويس وكتبه ومنهجه المعتدل في البحث والدراسة والذي استفاد منه ملايين الدارسين في مصر والعالمين الإسلامي والعربي.

رحلة عطاء علمية زاخرة:

وجاء في بيان الجمعية الشرعية:

«رحل عن دنيانا المفكر الإسلامي الكبير أ.د.عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس تحرير مجلة التبيان... بعد صراع مع المرض، وحياة حافلة، ورحلة عطاء علمية زاخرة قدَّمَ خلالها أكثر من ٨٠ مؤلَّفًا وعملاً موسوعيًّا في الفكر الإسلامي والثقافة والتاريخ والحضارة الإسلامية».

كان تلميذا للغزالي.. وكنت تلميذا له:

ونعاه الداعية المعروف عمرو خالد فقال:

«توفي بالأمس رجل عظيم من علماء الأمة الإسلامية، بل من علماء البشرية جمعاء، الدكتور والعالم الجليل عبد الحليم عويس...

أشهد الله أنني رأيت منه علماً وخلقاً وإخلاصاً لله، ونصرة للإسلام، وفهماً وفقهاً ووعياً وانفتاحاً كبيراً وصدقاً لم أره في أحد غيره.

هذا الرجل كان تلميذاً للشيخ الغزالي، رحمة الله عليه، وأنا كنت تلميذاً له، وأشهد الله أنك لو عاصرته لأعطاك علماً وبذل معك جهداً لا تجده عند كثيرين. أدعو الله أن يرحمه ويجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يغفر له».

د. محمد المختار المهدي

عمرو خالد

د. جعفر عبدالسلام

خبير برابطة الجامعات الإسلامية:

وفي بيان أصدره الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ينعي فيه الدكتور عبد الحليم عويس، جاء فيه:

«بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن كافة منسوبي رابطة الجامعات الإسلامية، والجامعات الأعضاء المنتشرة في شتى أنحاء العالم، أقدم خالص التعازي في الفقيد الغالي الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس المفكر الإسلامي، والخبير السابق برابطة الجامعات الإسلامية، والمؤرخ الإسلامي الشهير، جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين من خدمات جليلة ستظل الأجيال القادمة تنهل منها». وأثنى على الجهود العلمية والدعوية التي قدمها الفقيد في حياته.

بيته مركز للعطاء والبناء الحضاري:

وقال الأستاذ أحمد علي سليمان المدير التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية في كلمة له متلمسا جوانب متعددة في شخصية الفقيد:

(حينما تنظر إليه تجد فيه البساطة والأصالة...، وعندما تسمعه خطيبًا أو محاضرًا أو متحدثًا في

المذياع تتمنى أن تتعطل عقارب الساعة لتسمع مزيدا مما أفاء الله به عليه من علم وفكر وحضور وقبول.

لقد أعطاه الله قلمًا أبان به الحق، وقصف به الباطل..، وأعطاه قلبًا رحيمًا.. جعله يحمل الزاد –في خفاء– على كتفه، وأحيانا على ظهره، ويصعد به في الأدوار العُلى؛ ليطعم طلاب العلم «الأغـراب»، الذين أسكنهم في رحابه، وعلى نفقته حسبة لله..

ووهبه الله نفسًا سخيةً، جمعت حوله الهنود والأتراك والمغاربة والأفارقة والمسلمين من كل صوب وحدب..، وكان بيته –رحمه الله– مركزا للدعوة، ومركزا للرحمة، ومركزا للعطاء والبناء الروحي والأخلاقي والحضاري...)

خطيب مفوه وصاحب أسلوب باهر:

وقال الكاتب المعروف جمال سلطان رئيس تحرير مجلة المنار الجديد في كلمة له عن الفقيد:

«ما حلَّ عبد الحليم عويس في بلد من بلاد المسلمين إلا وحفته المودة والحب، كان يملك سحرا في استيعاب الآخرين واحتوائهم وكسب ودهم. كان خطيبا مفوها، وكاتبا صاحب أسلوب مبهر، والاثنان قلما يجتمعان في شخص واحد. وكان انشغاله بالتاريخ يضفي على جلساته جوا مبهرا من اللمحات الذكية، والمقارنات والمسامرات التي لا تملها أبدا.

عشقه المسلمون في الهند، واحتفى به المسلمون في باكستان، ولا يمحى من ذاكرة جيل كامل من الجزائريين، وصديق كثير من علماء السعودية واليمن وموريتانيا والشام وغيرها».

أثر في مفكري كوسوفا وشغل أذهانهم:

وقال د. بكر حقي إسماعيل ممثل كوسوفا في جمهورية مصر العربية، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ عن علاقة د.عبد الحليم عويس –رحمه الله– بكوسوفا وتأثيره في مفكريها:

«كان –رحمه الله– دائما يقدم خدماته للإسلام والمسلمين، وكان سريعاً في تلبية احتياجات من حوله، يعالج القضايا والموضوعات بصورة موضوعية، وبشجاعة لا مثيل لها...، كما أنني وجدته –رحمه الله– على درجة عالية من التفكير والتركيز، شديد الفهم لما يدور في أذهان العالم الغربي بالنسبة لما يتعلق بقضايا المسلمين واتجاهاتهم، وهو مفكر ذو تأثير قوي على كل من يقابله، فعندما التقى بمفكري كوسوفا أثر فيهم تأثيراً شديداً لدرجة أنهم عندما سافروا إلى كوسوفا أخذوا يفكرون بطريقته ومنهجيته ومعالجته الحاسمة للموضوعات. وقد شغل أذهانهم، ولا يزالون يطلبون مؤلفاته ومصنفاته لقراءتها والاطلاع عليها، نظراً لما تحتوي عليه من تراث علمي ضخم، ونتاج فكري كبير، فقد استولى بفعله وعلمه على ألباب الدارسين والمفكرين من أبناء كوسوفا».

أحمد علي سليمان

جمال سلطان

د. بكر إسماعيل

محبوه يجددون ذكراه في القاهرة:

وفي القاهرة، أقام محبو الدكتور عبد الحليم من العلماء والباحثين مراسم تأبين بمسجد الرحمن الرحيم، توالت فيه الكلمات من الحضور، والبرقيات من مختلف دول ومنظمات العالم الإسلامي، وتجددت المشاعر الجياشة التي ارتبطت بالراحل الكريم خلال رحلته العريضة المعطاءة.

د. نصر فريد واصل

وألقى كلمة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، نيابة عنه الدكتور حسن الشافعي مستشار شيخ الأزهر.

وقال الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية الأسبق: «رحل عنا عالم جليل، فكان من العلماء الأجلاء الذين خدموا الإسلام بالداخل والخارج بالحكمة والموعظة».

د. محمد عمارة

وألقى عدد من الحضور كلمات في رثاء الفقيد، منهم الدكتور محمد عمارة، المفكر الإسلامي، عضو مجمع البحوث الإسلامية، رئيس تحرير مجلة الأزهر، والشيخ محمد فتح الله كولن الداعية التركي المعروف، والسفير د.عبد الله الأشعل المرشح المحتمل لرئاسة الجمهورية، والشيخ صفوت حجازي الداعية الإسلامي. وحضر حفل التأبين عدد من كبار الشخصيات الأكاديمية في الأزهر، والشخصيات العلمية مثل: د. كمال الهلباوي، ود طه أبو كريشة، نائب رئيس جامعة الأزهر الأسبق، ود.طلعت عفيفي عميد كلية الدعوة الأسبق، ود.عبد الله بركات عميد كلية الدعوة الأسبق، ود.محمد حمزة وكيل أول وزارة التعليم العالي ■

وللأديب

كان معجبا بالمرأة المسلمة صاحبة الفكر والإبداع

وقالت الأديبة هيام فؤاد ضمرة المسؤولة الإعلامية في الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة بالأردن :

«رحم الله الدكتور عبد الحليم عويس وغفر له وجعله من أهل جنانه المكرمين، كان إنساناً متميزاً وعالماً متبحراً يغدق العطاء في المجال الثقافي والفكري الإسلامي، كثيراً ما جمعتنا المؤتمرات في عمان وإربد والقاهرة وإسطنبول، وكان مثالاً للإنسان الفاضل المتدين، وعقلاً منتجاً للفكر التنويري.. جمعتني وإياه عضويتان عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضوية المنتدى العالمي للوسطية، وكان دوماً يبدي إعجاباً بالمرأة المسلمة التي تتمسك بدينها وقيمه، وفي ذات الوقت تنشط في العمل العام وتكون صاحبة فكر وإبداع تشارك من خلالهما في نهضة أمة الإسلام وفي عملية التغيير والتطوير.. فليكن مقامك الجنة أيها الفاضل الدكتور عبد الحليم عويس فقد خسرتك الأمة الإسلامية بخسرانها الأديب والمفكر.)

ـــــات تعزية وكلمات

إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع

وكتبت الأديبة الشاعرة نبيلة الخطيب رئيسة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالأردن:

«اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله.. اللهم ارحم موتانا وموتى المسلمين، ونور قبورهم، وأسكنهم جنتك، واجعلهم في الفردوس الأعلى برفقة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، إذ ينعى المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن، العالم المصري الجليل والمفكر الإسلامي الكبير، الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، بعد صراع مع المرض وحياة حافلة ورحلة عطاء علمية زاخرة، قدَّمَ خلالها أكثر من ٨٠ مؤلَّفًا وعملاً موسوعيًّا في الفكر الإسلامي والثقافة والتاريخ والحضارة الإسلامية.

إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم نجوم يهتدى بهم في الظلماء، ومعالم يقتدى بهم في البيداء، أقامهم الله تعالى حماة للدين، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولولاهم - بتوفيق من الله لهم- لطمست معالمه، وانتكست أعلامه بتلبيس المضلين، وتدليس الغاوين.

ولهذا كان من أعظم المصائب التي يبتلى بها الناس، وتحرك نفوس الأكياس موت العلماء، لأنه سبب لرفع العلم، وانتشار الجهل.

تعلّمْ ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكنّ الرزية فقد حـــر يموت بموته بشر كثير

وصدق ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا). وقال ﷺ: (عليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ورفعُهُ هلاك العلماء).

ولا يسعنا إلا أن نضرع إلى الله الرحمن الرحيم، أن يتغمد فقيد الأمة بواسع رحمته، وأن يدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقين وصفوة المجاهدين، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون».

أذهلني موقفه الإنساني

وعبرت المهندسة المعمارية والروائية الجزائرية صورية مروشي عن موقف إنساني خاص مع الفقيد، فقالت:

(ينتهي عمر المرء بموته لتبقى أعماله الصالحة تشهد له في الدنيا وتشفع له في الآخرة. وأذكر من الدكتور عبد الحليم عويس موقفا إنسانيا كان له معي في مؤتمر الرابطة الذي انعقد في إستانبول بتركيا عام ١٩٩٦م، أذهلني حينها وجعل الدمع يترقرق في عيني لأنه لم يكن يعرفني، وتصرف معي ذلك التصرف النبيل الذي لا يصدر إلا عن النبلاء. فرحمة الله عليك، وجعل ما فعلته نورا لك في قبرك يريك مكانك في الجنة فتنام نوما هنيئا إلى جوار ربك.)

عبدالحليم عويس..
النجم الذي هوى!

محمد عبدالشافي القوصي- مصر

بعد مسيرة طويلة طويلة بطول الحياة وعرض الزمان؛ عايش فيها سنوات الانكسار وأعوام الانتصار، واطلع فيها على المذاهب والفلسفات والأيديولوجيات، وأشرف على الرسائل العلمية، وشارك في مئات الندوات والمؤتمرات، وقرأ آلاف الكتب والمراجع، وخاض شتى المعارك الأدبية والفكرية، وانتصر على فلول العلمانيين وبقايا الماركسيين، وإخوانهم في الرضاعة!

لقد شرّق وغرّب، وتوغل في بواطن المدن وحافات البوادي، من دلهي إلى وهران، ومن شمال الأناضول إلى أدغال أفريقيا .. فالتقى الساسة والمفكرين والعلماء، كما صاحب البسطاء والباعة الجائلين!

وبعد هذه الأسفار الطويلة، وهذا السباق العلمي المحموم، ووسط هذا الصراع الحضاري المحتدم؛ ترجّل الفارس، وألقى سيفه ورمحه، وخلع لأمته، وهوى النجم، ومات المؤرخ والمفكر الإسلامي الدكتور/ عبد الحليم عويس!

رحل أستاذنا الجليل؛ ليجني ثمار جهاده في حقل الدعوة المملوء بالألغام، والمفروش بالأشواك، فما بدّلَ وما غيّر، وما وهن وما استكان لِمَا أصابه، بَلْ كان محتسباً ماله وعرقه وخطواته ومعاناته، ولسان حاله يقول: (إنْ أريدُ إلاَّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاَّ بالله)! فكَمْ أنشأ من الكتاتيب، وأسهم في تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه، وشارك في دعم الجمعيات الخيرية، وتبنَّى طُلاب العلم والمغتربين، وآواهم، وكفلهم مادياً ومعنوياً ..

كُـنّـا نَـظُـنُّ دِيـارَهُ مَـمـلـوءَةً
ذَهَـبـاً فَـمـاتَ وَكُـلُّ دارٍ بَـلـقَـعُ!

* * *

لقد كان هذا الرجل من طراز عجيب؛ فلا يكلّ ولا يملّ من البحث والقراءة حتى آخر لحظة في حياته! فكان يمسك بالكتاب واقفاً أو جالساً، بَلْ أثناء الطعام، وعند النوم!

ومما أذكره أنني عندما أكون معه في سفر؛ يطلب مني أن أقرأ له، ويستمع بعناية وتركيز شديد! بل أحياناً يملي عليَّ لأكتبَ مما جادتْ به قريحته، أو مما أفاض الله به عليه!

إلى جانب ذلك؛ كان خطيبًا مفوهًا يملك أسماع مستمعيه وأفئدتهم بأدائه الفذ، ونبراته المؤثرة، وعلمه الواسع!

وقد شغل الدكتور عويس- مناصب كثيرة، منها: نائب رئيس الجامعة الإسلامية الدولية، ومستشاراً لوزير الحج السابق، كما تولى رئاسة تحرير مجلة (التبيان) التي تصدرها الجمعية الشرعية بالقاهرة. وكان عضواً في كثير من المجامع والمؤسسات العربية والإسلامية، مثل: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، والمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجلس أمنائها، ونائب

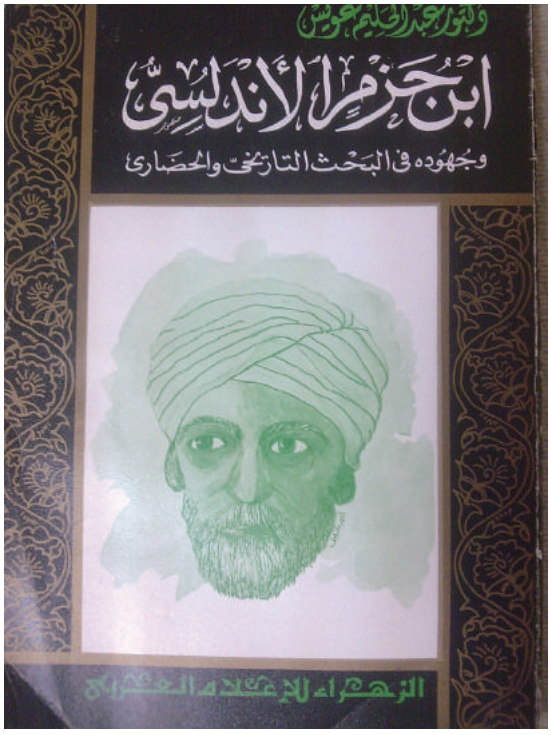

رئيس مكتبها الإقليمي في القاهرة، وعضو اتحاد الكتاب بمصر، وغيرها.

كما نال كثيراً من الأوسمة والنياشين تقديراً لجهوده وإسهاماته في التاريخ والحضارة، وقد كان آخرها: «وسام العلم والآداب والفنون الذهبي» وهو أرفع وسام تمنحه الجمهورية السودانية، وكرمته جامعة الإمام بالرياض، ومنحته جامعة الخرطوم «الدكتوراه الفخرية» لدوره المتميز في الدفاع عن الحضارة الإسلامية!

أجل! فقد أنفق –الكاتب الإسلامي عبدالحليم عويس- عمره كله مجاهداً باللسان والقلم، فألقى مئات المحاضرات، والدروس، وتنوعت مؤلفاته لتشمل التشريع الإسلامي، والدراسات القرآنية، والأدب، والتاريخ، والفلسفة، وغيرها حتى بلغت حوالي سبعين كتاباً، أهمها: فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية، تفسير التاريخ علم إسلامي، إنسانية الإسلام، شخصية الرسول في ضوء المقاييس البشرية، الشيخ الغزالي: تاريخه وجهوده وآراؤه، وابن حزم الأندلسي (وهو موضوع الدكتوراه التي نالها من دار العلوم). وكان آخر مؤلفاته: المجرمون المائة أولهم قابيل وآخرهم مبارك!

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع التأليف والتحقيق والتدريس والوعظ والإرشاد؛ صعد –المجاهد الكبير– إلى (مساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) بإذن الله تعالى!

* * *

لقد بدأ –أستاذنا– نشاطه العلمي وهو ما يزال طالبًا، وكتب آلاف المقالات النارية في الصحف والمجلات الإسلامية، وكان منهجه الإصلاح، والتقريب،

د. العويس يتسلم جائزته من الرئيس السوداني

وردم الفجوات، وتضميد الجراح النازفات، وكان سلاحه الحب، والدعوة بالتي هي أحسن ... ولِمَ لا؟! فهو من دعاة «الوسطية الإسلامية» التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتوازن بين الثوابت والمتغيرات، ولا تنسى الماضي، ولا تنعزل عن الحاضر، ولا تغفل المستقبل ... ولا عجب في ذلك! فمنذ طفولته سلك صراطاً سويّا، وكان بالأزهر وعلمائه حفيّا، وكان يتردد على الصالحين والعارفين بكرةً وعشيّا!

* * *

ذات مرة– رآني غاضباً بسبب بعض الأقلام التي أرادت النيل من الشيخ محمد الغزالي– فقال لي: هوّنْ عليك يا أخي؛ لا يستطع أحد أن يوقف النهر الجاري.. وكل هذه الكتابات التافهة سيطويها دجى النسيان، وستلقى في مقالب القمامة، ثم تذروها الريح في مكان سحيق! ولكن يبقى ما كتبه الغزالي يطبع ويترجم إلى شتى اللغات، ويتردد على المنابر بالغدوّ والآصال! وقال أيضاً: إنَّ هؤلاء لن يستطيعوا أن يحجبوا نور الشمس بغربالهم الهزيل!

* * *

على الرغم من الحدة التي كانت تعتري –أستاذنا– في بعض الأحايين؛ إلا أنَّ النكات والمُلَح والطرائف لا تفارقه أبداً! منها على سبيل المثال: أنني غِبتُ عنه فترة طويلة، فسألني أين اختفيت؟ قلت له: كنتُ مشغولاً بإنجاز موسوعة «أعلام الصعيد في القرن العشرين». فقال على الفور: هل أنا منهم؟ قلتُ له: لا .. لأنك لستَ من الصعايدة، بل علاقتك بالصعيد كعلاقة امرئ القيس بالكمبيوتر! فتبسم ضاحكاً، وقال: هناك رواية تشير إلى أن أحد أجدادي عاش في الصعيد! بل هناك رواية أخرى ينقصها السند تقول: إنه عاش ومات في الصعيد الجواني!!

الحق أقول: هنالك حكايات ومواقف لا تحصى بيني وبين هذا العالِم الكبير، لكن الموقف الذي لا أنساه؛ أنني عندما أهديته كتابي (مُحمَّد مُشتهَى الأمم) وكان وقتها طريح الفراش؛ انتفض قائماً، وراح يضم الكتاب إلى صدره بقوة، ويُقبّل كلمة «مُحمَّد» مرات ومرات، حتى أجهش بالبكاء!!

لقد رحل –شيخنا– ليرتاح من عناء الدنيا، وضيق حواريها، وجَوْر ساكنيها، فصعد إن شاء الله إلى جنة عالية قطوفها دانية! ليُحلَّى فيها بأساور من ذهبٍ ولؤلؤٍ ولباسه فيها حرير!

فحيّ على جنّاتِ عدنٍ فإنها

منازلنا الأُولى وفيها المُخيّمُ!■

السنوسي محمد السنوسي - مصر

عبدالحليم عويس .. دليل عمل للنهضة

الحديثُ عن أستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس المفكر والمؤرخ والأديب والداعية الذي رحل عن دنيانا بجسده مؤخرًا.. حديثٌ ذو شجون ومتشعب الموارد والاتجاهات..

لأننا - بحق - أمام رجل من رجالات الإسلام، ودعاته الكبار؛ ذوي الإسهامات المتنوعة، والجهود المتشابكة، والاهتمامات المتسعة باتساع الإسلام وشمول قيمه وتشريعاته، وبتنوع التحديات التي تعترض طريقه ومسيرته..

ولذلك ليس غريبًا أن نتساءل:

أنكتب عنه مؤرخًا.. حيث (التاريخ والحضارة الإسلامية) مجال تخصصه العميق.. وحيث إسهاماته فيهما ذات العمق والنظرة الكلية المقاصدية السُّنَنِيَّة الخلدونية..؟!

أنكتب عنه أديبًا.. وهو صاحب البيان المشرق، والقلم السيَّال، واللفظ الجزل، والعبارة المكثفة الأخّاذة، والامتداد النابه لمدرسة (الرافعي) أديب الإسلام الأكبر.. تلك المدرسة التي يتعانق فيها الفكر والأدب، وتختلط العاطفة بالنظرة الثاقبة، وتتكئ على أدب الإسلام، وتقف (تحت راية القرآن) في وجه الزحف الأحمر والأصفر والأسود..؟!

أنكتب عنه شاعرًا.. قَرَضَ الشعر في بواكير حياته ويحفظ منه الكثير، ثم انحاز إلى مدرسة النثر.. وهي المدرسة التي وصفها يومًا - في مَعْرِض تحليله لأسلوب الرافعي- بأنها الأقدر على إبراز حقائق الإسلام، وعلى إلجام خصومه بالحججَ والبراهين..؟!

أنكتب عنه داعيةً.. عرفته المنابر والصحف

والمجلات وقاعات المحاضرات.. خطيبًا مفوهًا، ولسان صدق يصدح بالحق والإيمان..؟!

أنكتب عنه فقيهًا.. وهو (الفقيه) في مدرسة الفهم والفكر والتدبر والوعي..؟! بل حتى الفقه بمعناه الاصطلاحي له فيه موسوعة استطاعت أن تسهم في إعادة الحياة إلى الفقه بعدما أماتته عصورُ التراجع الحضاري.. وتحولت فيها تشريعاتُ الإسلام إلى اصطلاحات وألغاز لا روح فيها..!!

أنكتب عنه إنسانًا.. له من الأخلاق العالية حظ عظيم، وسهم وافر.. يشهد بأخلاقه كلُّ منه اتصل به عن قرب..؟!

نعم.. نكتب عنه كل ما مضى وزيادة.. ولسنا مُغالِين في حبه.. ولسنا مؤاخَذين عن ذلك أيضًا..!!

وهل يستطيع أحد أن يؤاخذنا بحب عالم ومفكر وأديب وداعية.. وهب لله حياته وفكره وقلمه، ونذر للإسلام جهده ووقته؟!

* * *

لقد كان د. عبد الحليم عويس منتميًا أشد ما يكون الانتماء إلى الأمة الإسلامية قلبًا وقالبًا.. يطوف أرجاءها.. ويمد جسور التعاون والتآلف بين أبنائها.. داعيًا إلى بَذْر بذور الإيمان، وإعطاء (التربية الإسلامية).. فكرًا وعاطفةً وسلوكًا.. الأولويةَ في مشروع التغيير..

ومع هذا التنوع والتشعب الذي نجد أنفسنا أمامه عند الحديث عن أستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس، إلا أننا يمكن أن نصف - بشيء من الإيجاز - أعماله وجهوده بأنها تمثل (دليل عمل) للنهضة والإقلاع الحضاري من جديد، واستئناف مسيرة الشهود على الإنسانية وهدايتها، والخروج من النفق المظلم الذي غاصت فيه أمتنا منذ قرون حين غاب عنها الوعيُ بـ«السنن الربانية» في النهوض والتقدم، على النحو الذي فصَّله العلامة ابن خلدون في «المقدمة»، وأصَّل به ما أسماه «علم العمران»..

لكن للأسف لم يقطع هذا العلم شوطًا كبيرًا بعد ابن خلدون، الذي بدا وكأنه «فلتة» في زمانه وما تلاه من قرون!!

وفي القرن الأخير، كان لعلامة الجزائر مالك بن نبي الفضل في إنهاض الهمم وشحذ العقل المسلم من جديد بأهمية الإدراك الفعَّال لـ «شروط النهضة» و«مشكلات الحضارة»، وإنجاز «رسالة المسلم في القرن العشرين».

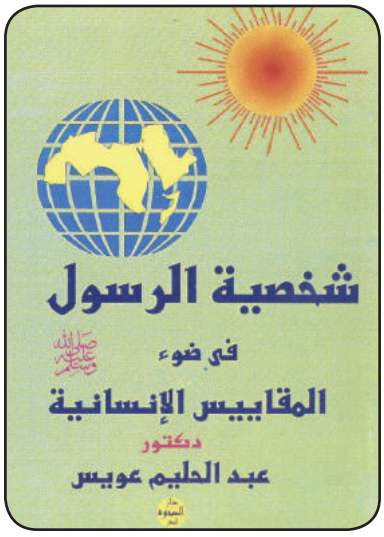

وكان لأستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس جهد كبير متميز في هذا المجال الفكري الذي لم يأخذ حظه اللائق من الدراسة والمتابعة.. فكتب «تفسيرُ التاريخ علمٌ إسلامي»، و«الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس»، و«دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية.. رؤية حضارية»، و«التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون»،.. وغير ذلك الكثير.

* * *

كان - رحمه الله- دائم التركيز على فقه الواقع وإدراك الأولويات وعدم الخوض في معارك مفتعلة حول أمور اجتهادية، الطرفان فيها مأجوران.. ودعا - بدلاً من ذلك- إلى الانتباه للمخاطر الحقيقية التي تهدد المسلمين جميعًا.

كان يرى ضرورة وَصْل العلوم الإسلامية بعضها ببعض

وعدم تفتيتها إلى جزر منعزلة؛ لأن ذلك يترتب عليه ترسيخُ النظر الجزئي الذَّري للقضايا والمشكلات، وعدم تكوين العقلية المقاصدية السُّنَنِية التي تهتم بالغايات والحِكم من التشريع والتوجيهات.. مستفيدًا في ذلك من صحبته الروحية والعلمية ومعايشته لشيخنا العلامة محمد الغزالي.. وأكرِمْ بها من صحبة ومعايشة..

إضافة لذلك، دعا - رحمه الله- إلى الاهتمام بـ «السنن الربانية» التي تحكم سير الأمم والحضارات في مراحل النهوض أو التراجع، معتبرًا أن تلك السنن هي الوجه المكمّل لـ«السنن الكونية» التي تنتظم الكون في معادلات وقوانين ثابتة لا تتغير.

لم يكتفِ بالدعوة النظرية البحثية إلى وحدة الصف ونبذ الخلافات، بل مارس ذلك عمليًا.. فكان قريبًا من كل التيارات والجماعات الإسلامية، يسعى لرأب الصدع بينها، ويؤمن بأن وسيلة إصلاح ما تقع فيه من أخطاء أن نخاطبها من «الداخل» ومن موضع الناصح الأمين لا من موضع «المراقب»، فضلاً عن المتعالي أو الشامت.

بل دعا - رحمه الله- إلى مدِّ الجسور مع المفكرين الذين وجهوا سهام النقد للواقع العربي المأزوم، وللحضارة الغربية وأصابوها في مقتل.. أمثال د. محمد جابر الأنصاري، ود. جلال أحمد أمين.. ورأى ضرورة الإفادة من جهودهم.. وأَمَلَ فيهم خيرًا أن ترسوَ سفينتهم الفكرية على شاطئ الإسلام..

تجسَّدت في أستاذنا (عالميةُ الإسلام) حين طاف معظم بلاد العالم الإسلامي من الهند إلى المغرب، إلى أوروبا وأمريكا، داعيةً وخطيبًا ومحاضرًا، ينسج شبكات من العلاقات الإنسانية على أرقى مستوى، ويمد جسورًا من التعارف والتناصح بين الشعوب الإسلامية.

ولك أن تعجب أنه وهو المحاضر الأكاديمي والباحث والمفكر، كان له أسلوب في الدعوة والوعظ يفوق المتخصصين في هذا المجال، حتى ظنه بعض من سمعه أستاذًا بجامعة الأزهر! وكانت تسجيلاته في إذاعة القرآن الكريم بمصر تلقى اهتمامًا واسعًا، لاسيما حلقاته عن شرح (أسماء الله الحسنى) التي بلغت مائة وعشر حلقات من حلقات برنامج «الإيمان والحياة»، الذي كان يُذاع صباحًا مع الإعلامي الراحل د. فوزي خليل، صاحب الصوت المميز... وقد تمنى عليه كثيرون أن يُخرجها في كتاب، لكن القدر عاجله..

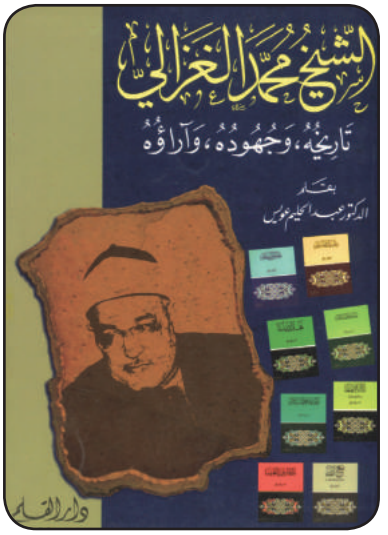

* * *

أعتقد أنه بات من الضروري الاستفادة من جهود أستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس وغيره من المفكرين والدعاة، وتحويل هذه (الأفكار) والأطروحات إلى (دليل عمل) وخطط وبرامج.. لنثبت من جديد قدرة الإسلام، ثقافةً وشريعةً وحضارةً، على الاستجابة للتحدي، وتلبية طموحات الإنسان وأشواقه عبر الزمان والمكان.. وما ذلك على الله ببعيد..

نَمْ يا أستاذنا قرير العين.. ولئن فَقَدكَ أبناؤك وأحباؤك، وسكبوا عليك الدمع مدرارًا.. فإن فيما تركته من علم نافع بعضَ العوض عن فقدك.. ولنا لقاء إن شاء الله تعالى مع صحبة خير الدعاة و«إمام حضارة المسلمين» محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم..■

عبدالحليم عويس .. الراحل المقيم

محيي الدين صالح- مصر

من حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يقوم على أمر الأمة الإسلامية وتراثها وثقافتها رجال مخلصون يقفون على ثغوره يذودون عن دين الله ومحارمه ، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكورا ، إنما يعنيهم رضا الله وثوابه، وفي سبيل ذلك فإن الله يصطفي من عباده ثلة يقومون بحمل لواء دينه فكرا وسلوكا ومنهجا، ويعينهم على حمل تلك الأمانة بإخلاص لا يخافون في الله لومة لائم ، ويرزقهم علما يتخذونه سراجا يهتدون به في ظلمات الدنيا ، ويمنحهم قوة يذودون بها عن حياض الإسلام عندما يقفون على ثغوره ، ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى العلماء ورثته، بما ورثوا من علومه .

وقد عودتنا الأيام أن المصائب لا تأتي فرادى، وإنه لأمر عظيم أن يرحل عنا عالم جليل، وداعية مؤثر، وأديب مخلص، ومعلم أجيال، كان يأوي إليه طلاب العلم من كل أقطار العالم الإسلامي ينهلون منه كل الخير، فيفتح لهم قلبه وبيته ومكتبته، ويسعى معهم في كل دروب المعرفة أينما كانت ليفتح لهم أيضا مغاليق الجهات والإمكانات، لا يرجو من كل ذلك إلا ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى.

وإننا لا نزكي أحدا على الله، ولا ينبغي لنا ذلك، إلا أننا حسب ما عهدناه منه نحسبه على خير، هذا العالم هو المغفور له بإذن الله الدكتور عبد الحليم عويس الذي غاب عن دنيانا بجسده، تاركا ما قام به صدقة جارية نسأل الله أن يتقبلها منه قبولا حسنا، وعلما ينتفع به سواء في مجال الدعوة من خلال الجمعية الشرعية، أو في مجالات العلوم الإسلامية من خلال أستاذيته في الجامعات، أو في مجال الثقافة والأدب من خلال رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي تذكر له فضل الريادة وهو يسعى بكل ما أوتي من جهد لفتح مكتب للرابطة في مصر، وظل يكافح وينافح مع رفاقه حتى وفقهم الله في افتتاح مكتب إقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، ومن قبل ذلك ومن بعده فإن له دورا لا ينكر في كثير من المحافل والمؤتمرات واللقاءات التي أينعت وأثمرت وآتت أكلها بإذن ربها أضعافا مضاعفة.

ولم يكن نشاطه وقفا على المسائل الدعوية وحدها، ولكنه كان يجيد توظيف كل ما يتاح له من فكر أو أدب

لخدمة الدعوة الإسلامية، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، ولأنه كان صاحب بصمة واضحة في مسار الثقافة على الصعيدين العربي والإسلامي، فقد تم تكريمه في كثير من بلاد العالم الإسلامي ودعوته لإلقاء محاضرات فيها، وحضور المؤتمرات المختلفة، وكان السودان من هذه البلاد التي تابعت جهوده في خدمة الإسلام، وقدرت فيه هذه الجهود الحثيثة والغيرة الحميدة، فمنحته جائزة البشير للعلوم الإسلامية، وهي جائزة تمنح سنويا لعالم واحد من العلماء المتميزين على مستوى العالم، سلمها له الرئيس عمر البشير في حفل تكريم لائق أقيم له خصيصا في الخرطوم في شهر أغسطس ٢٠١١م، هنا نذكر بكل الخير الدكتور جمال نور الدين الأستاذ بجامعة القرآن الكريم بالخرطوم الذي قدّر الرجل حق قدره عندما رشحه لهذا الوسام الرفيع الذي ناله الدكتور عبد الحليم عن جدارة واستحقاق.

والحديث عما قدمه الدكتور عبد الحليم عويس للساحة الثقافية العربية والإسلامية لا يحتاج إلى بحث وتنقيب، فما من بلد عربي أو إسلامي إلا وله فيها تلاميذ أو محبون، ولا نتجاوز.. إذا قلنا: مريدون! فقد كان للدكتور عبد الحليم عويس في نفوس من يخالطونه مكانة عظيمة لا ينالها كثير من الناس، بالإضافة إلى مكانته في وجدان القراء والمثقفين والمتابعين لمجلة التبيان التي توزع حوالي عشرة آلاف نسخة، إضافة إلى كثير من المجلات والصحف التي كان ينشر فيها الدكتور عبد الحليم فكره ورؤاه وأدبه وعلمه ودعوته ونقداته ومساجلاته، وكل ذلك في ميزان حسناته بإذن الله.

وقد اقتضت حكمة المولى عز وجل أن يهيئ كل إنسان لما خُلق له، وكان من نصيب الدكتور عبد الحليم عويس أن زاده الله بسطة في العلم، فكان له القدح المعلى في كثير من جوانب المعرفة، ومما ميزه في الساحة الدينية تمسكه بالوسطية بدون تفريط أو إفراط، وهذا المنهج الصعب على كثير من الدعاة الذين يسلكون سبل الدعوة إلى الله لم يكن صعبا عليه، فاستطاع أن يتعامل مع الجميع بنفس الأريحية التي تجذب الناس إليه مقتديا في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه في تعامله مع الناس سواء المؤمنين أو غير ذلك من أهل الكتاب والمشركين.

د. جمال نور الدين

ولم يعد في مقدوري إلا أن أتمثل بأبيات الشاعر الذي أوجز كثيرا مما نعانيه في أبيات قليلة، تحمل من المعاني النبيلة أضعاف ما تحمله من كلمات وهو يقول:

لستُ أرثي نفسي ببعض قصيد
فهي نفس إلى الخلود ستمضي
لا... ولا كنتُ راثيا لرفاق
أفلوا كالنجوم من بعد ومض
كيف أرثي نفسا أنابت، وصحبا
لم ينوؤوا بأي نفل وفرض
قدموا للعُلا الضرائب تترى
فحمى الصحوُ خلدهم بعد غمض
إن مشى الناس للعظائم هونا
ركضوا في سبيلها أي ركض
أنا أزهو بهم وإن كنت أطوي
حَزَنا للذين كانوا كبعضي

ولا يسعنا إلا أن نقول (إنا لله وإنا إليه راجعون) ونحن نعزي أنفسنا بهذا المصاب الأليم، سائلين الله أن يتغمده بواسع مغفرته، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا■

حوار: جمال سالم - مصر

الدكتور عبدالحليم عويس لمجلة البيان:

يجب أن تقودنا الفطرة السليمة المشبعة بالروح الإسلامية لدعوة الذين يتقبلون الرسالة ولا نتوقف على إفهام المسلمين دينهم فحسب!

مع مطلع شهر أبريل عام ٢٠١١م أصدر الرئيس السوداني عمر البشير، قرارا بمنح وسام العلم والآداب والفنون - وهو أرفع وسام في الجمهورية السودانية، ولا يُعطى إلا للشخصيات التي أثرت في الحضارة الإنسانية - للمفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس (أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية) على ما قدمه طوال سنين عمره للأمة العربية والإسلامية. وجاء في نص قرار البشير: أن الوسام يُعَد تسجيلاً صادقاً لجهده وعطائه المتصل في تفسير القرآن الكريم للنشء، ولبحثه المستمر في العلوم الإسلامية، وعرفاناً لدوره المتميز في كل المحافل الإقليمية والدولية بالحجة والقلم. هذا وقد جاء القرار في ظل ظروف صحية بالغة الصعوبة وهو ما خفف من آلامه الجسدية والنفسية.

(وقد أجرت مجلة البيان هذا الحوار مع الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله- ونشرته في العدد: ٢٨٨، وتاريخ ١٤٣٢/٧/٢٥هـ)، فإلى نص الحوار:

■■ البيان: يعتقد كثير من أعداء أمتنا أننا يجب أن نحارب الناس حتى نرغمهم على عقيدتنا؛ بمعنى آخر هو ادِّعاؤهم استخدام السيف لدعوة البشر للدخول في دين الله؟

■ هذا الادِّعاء كاذب، وخير شاهد على ذلك هو التاريخ نفسه؛ حيث توجد أقليات غير إسلامية عاشت ولا تزال تعيش أطيب حياة في كل البلاد الإسلامية، ومع ذلك لم يسجل التاريخ حالة غصب واحدة لغير مسلم لإجباره على الدخول في الإسلام إلا حالات فردية قام بها بعض الجهلاء ويرفضها الإسلام؛ بل إنك ترى أن الإرهاب العقدي يأتي من داخل الكنيسة نفسها، وما حدث بوفاء قسطنطين وكاميليا شحاته في مصر عنا ببعيد.

وأيضا شهد التاريخ أنّ التسامح كان صيغة أصيلة في كل سلوكنا وأحوالنا مع أهل الذمة قبل أهل الملة، وها هو قول ربنا - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل).

ويقول أيضاً: ﴿... كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ...﴾ (الأنعام ١٠٨)، وثمة عشرات الآيات التي تبين وتبرهن على الطبيعة السمحة للمنهج الإسلامي في التعامل مع العقائد الأخرى؛ فإن ما بيننا وبين العقائد الأخرى في الأرض قديماً وحديثاً، إنما هو تعايش مسالم من جانبنا.

■■ البيان: شهدت العصور الحديثة خللاً في موازين القوى في العالم، وللأسف احتل المسلمون مكانة متأخرة فيها؛ فما أسباب ذلك من وجهة نظركم؟

■ من أهم أسباب ما ذكرت: أنّ أهمل المسلمون الأخذ بأسباب القوة المادية والفكرية، والركون إلى الدعة والسكون، والاعتماد الخاطئ على المفاهيم المغلوطة في حق دينهم؛ فأصبح الزهد تواكلاً، وأصبح القرآن لا يجاوز حناجرهم، وأخذوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر، وانفصلوا حضارياً عن عصور تألُّقهم ومجدهم، فتُسأل: هل يركنون إلى العقل أم إلى الوحي؟ وكأن العقل والوحي ضدان لا يجتمعان، وتفشت أمراض كثيرة حول هذا الموضوع ومن هذا القبيل. ففوجئ المسلمون في القرن الثامن عشر بأنهم في آخر السُّلم الحضاري، وبأن عصر السيف والرمح قد ولّى، وحل مكانه عصر المدفع والقنبلة والذّرة.

■■ البيان: وما النتائج المترتبة على ذلك؟

■ أخذ المسلمون موقع المُدافع، بعد أن كانوا قادة الأرض؛ يُنصَرون بالرعب مسيرة شهر في شخص نبيّهم صلى الله عليه وسلم، فأجهز عليهم عدوُّهم بكل ثقله، مُستخدماً كلّ الوسائل غير الشريفة، وأفاق المسلمون على أخطاء داهمة: من تنصير لا يحاور بالحجة؛ وإنما بالمدفع الاستعماري، ومن يهودية تتعاون مع التنصير في هذا الغزو وتقتسم معه الأسلاب والمغانم، ومن شيوعية جدلية لا تقل عنهما خبثاً ولا سفكاً لدماء المسلمين، وتهجماً على عقائدهم، ومن وثنيات وفوضويات تحاول بدورها أن تغزو التراث الإسلامي بكل الصور والأشكال.

■■ البيان: تؤكدون أنه منذ ظهور الإسلام، فقد أخذ موقفاً مشرفاً من النصرانية، لم يشترك فيه دين غيره؛ فهلا وضحت لنا أكثر؟

■ هذه بديهية من بديهيات التاريخ لا تحتاج إلى كثير من الأدلة، وحسبنا أن نستشهد في هذا المجال بالكلمة التي ألقاها «أنريكي تراتكون» (مطران مدريد، ورئيس أساقفة إسبانيا) في مناسبة افتتاح ندوة للحوار الإسلامي والمسيحي بمدريد، حيث قال: إن علينا نحن المسيحيين أن نعترف بالانشراح الذي نشعر به إزاء المكانة التي يحتلها عيسى وأمه مريم – عليهما السلام – في الإسلام؛ فهناك كثير من النصوص القرآنية التي تسمي عيسى مسيحاً ورسولَ الله وكلمته: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ...﴾ (النساء ١٧١)، وتؤكد بكارة مريم وقداستها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ...﴾ (المائدة ٧٥)، وتوصي بمعاملة المسيحيين معاملة أخوية محترمة.

وإنه لمن العدل الاعتراف بأن الإسلام هو بلا ريب الدين الوحيد غير المسيحي الذي يعظم المسيح تعظيماً كبيراً.

ولعل أنريكي لا يدري أن هذا جزء أساسي من ديننا نؤمن به: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ...﴾ (البقرة ٢٨٥)، ونعتبر أي مساس بشخص عيسى وأمه – عليهما السلام – إنما هو كفر بالله والإسلام مثل الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وسارت شعوبنا الإسلامية في هذا الجانب نظيفة مطيعة لربها ملتزمة بتعاليم دينها وإسلامها.

مقارنة بيننا وبينهم

■■ البيان: إذا عقدنا مقارنة بين حال الأقليات غير الإسلامية في الدول الإسلامية، وأقلياتنا الإسلامية في الدول غير الإسلامية، فكيف ستكون النتيجة في رأيكم؟

■ لقد عاشت الأقليات المسيحية في المجتمعات الإسلامية على نحو أرقى بكثير من حياة الأقليات المسلمة التي كثيراً ما تُضطّهد بأبشع صور الاضطهاد؛ فعُقدَت لها محاكم تفتيش في المجتمعات المسيحية،

عبدالحليم عويس
سيرة ذاتية

– من مواليد قرية سندسيس – مركز المحلة الكبرى – غربية. بتاريخ١٢/٧/١٩٤٣م.

المؤهلات العلمية:

– حاصل على ليسانس الدراسات العربية والإسلامية من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.
– حصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٧ عن أطروحته: «دولة بني حماد في الجزائر».
– نال درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨ عن أطروحته: «ابن حزم الأندلسي مؤرخاً»
– حاز على درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية عام٢٠٠٩م.
– حاز على الوسام الذهبي للعلم والآداب والفنون من الجمهورية السودانية عام ٢٠١١م.

بل إنه لا وجه للمقارنة أصلاً، وهي الصورة نفسها بين تعاملنا مع شخص نبي الله عيسى - عليه السلام - وبين معاملتهم لشخص نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فالمسيح في ديننا لا نحتاج إلى الكلام فيه، فالكل يعلم مكانته في ديننا وقلوبنا. أما هم فقد أساء المستشرقون بصورة متعمّدة، والغريب أن هؤلاء من رجال الكنيسة، ولقد ذكروا مغالطاتهم العلمية والفكرية والمعلوماتية عن الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهي التي روجوا لها وخدعوا بها الإنسان الأوروبي قروناً طويلة.

■■ البيان: قد يقول قائل: هذا كان في العصور السابقة؛ فماذا عن الوضع في العصر الحديث؟

■ في العصر الحديث، ومع انحسار دور الكنيسة الروحي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وانهزامها التام في روسيا والصين ودول الكتلة الشرقية التي كانت المسيحية هي السائدة فيها، مع أن الكنيسة قد غُلبَت على أمرها في مواقعها الحيوية والأساسية، فإنها ما زالت متشبثة بالحروب الدائمة ضد الإسلام؛ سواء في مجال الفكر أو الحركة، وهي في ذلك تضع أيديها في أيدي الاستعمار الحديث، ولعلها صورت له أنها هي الستار الواقي لمنع الزحف الإسلامي الذي من شأنه أن يحول دون تحقيق الأطماع الاستعمارية في أفريقيا وآسيا، والذي يمكن كما تتصور الكنيسة أن يهدد أوروبا وأمريكا.

المسيحية الصهيونية

■■ البيان: وماذا عن المسيحية الصهيونية ومعاداتها للإسلام؟

الخبرات الوظيفية:

- عمل لمدة خمسة عشر عامًا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.
- وكان مستشاراً لرئيس الجامعة ومتعاوناً في تسيير أعمال رابطة الجامعات الإسلامية.
- أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة الزقازيق (منتدب) للدراسات العليا.
- نائبا لرئيس جامعة روتردام الإسلامية سابقاً.
- رئيس تحرير مجلة التبيان بمصر.
- عضو اتحاد الكتاب بمصر.
- عضو نقابة الصحفيين.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- عضو المجالس القومية المتخصصة.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجلس أمناء الرابطة، وعضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة؛ نائب رئيس المكتب (جمعية رابطة الأدب الإسلامي)
- باحث بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية بالكويت في الفترة ما بين ١٩٧١ - ١٩٧٥م.
- أوفدته جامعة الزقازيق أستاذاً

■ تواطؤ الكنيسة مع الصهيونية ضد الإسلام في أمريكا وأوروبا وأفريقيا وآسيا لا يحتاج إلى برهان، برغم أن اليهود هم أكثر من أساؤوا إلى المسيحية، وإلى المسيح، عليه السلام؛ لكنها السياسة - يا صاحبي - هي التي تجعل أصحابها ينسون تحت ظلالها بعض أساسيات الدين؛ وصولاً للمصلحة المرجوة من وراء تلك التحالفات الشيطانية.

ثم تطورت الأمور بين المسيحية والإسلام إلى ما هو أكثر من الحروب العابرة، والاتفاقات مع أعداء الإسلام وأعداء الأديان كلها ضد الإسلام، فتطورت الأمور إلى ما هو أكثر من ذلك، فأعلنت الكنيسة في العصر الحديث حرباً عالمية شاملة على الإسلام راغبة في التخلص منه إلى الأبد (كما يخيل لها).

■■ البيان: ما هي الأسباب التي تلجأ إليها الكنيسة في حربها على الإسلام رغم زعمها أنها تتحاور معه؟

■ تلجأ الكنيسة في حربها مع الإسلام إلى الأسلوب السياسي (والميكيافيللي) المعروف؛ فهي تستغل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ضد الإسلام، كما أنها أيضاً مُستعدة أن تتعاون حتى مع الشيطان ضد الإسلام.

ومع أننا نرى «إعلانات بابوية» متكررة عن ضرورة الحوار بين المسيحية والإسلام، إلا أننا لم نر - ولو لحظة - هدنة واحدة في حرب الكنيسة العالمية ضد الإسلام؛ حتى باتت ضرباتها الآن في قلب العالم الإسلامي ورمز الإشعاع الروحي للمسلمين، فترى أن مخالب الغزو التطويقي الذي دخل القرن الأفريقي كالصومال وجنوب السودان الذي اشتراه التنصير الفاتيكاني في صفقة من أغرب الصفقات في التاريخ، كما أن أكثر الخطوط تعرضاً الآن لهذا الدمار الكنسي هو خط الفلبين وتايلاند وإندونيسيا في آسيا وخط نيجيريا، ومصر في أفريقيا.

التفسير التاريخي

■■ البيان: هل ثمة تفسير تاريخي لتلك الحملات التنصيرية في قلب عالمنا الإسلامي؟

■ بالتأكيد! لقد كان ارتداد فلول الصليبيين منهزمة أمام جيوش المسلمين في الحروب الصليبية باعثاً على التفكير في وسيلة أخرى للقضاء على المسلمين؛ ما دام الصدام المباشر والمسلح لم يفلح في الإجهاز على هذه الأمة؛ بل كان في أكثر الأحايين باعثاً على وحدتها وإظهار معدنها الأصيل.

زائراً لعدد كبير من الجامعات في الهند (التي زارها خمس عشرة زيارة) وباكستان، وماليزيا، والجزائر (زارها أكثر من عشرين زيارة)، وتونس، والسودان، وتركيا، وغيرها.

- وقام بزيارات علمية وثقافية للولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وأسبانيا، وبلجيكا، وهولندا، ودول الخليج.
- حضر أكثر من مئة مؤتمر عالمي، ومؤتمرات أخرى إقليمية.
- أشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه في الحضارة والتاريخ في الجامعات السعودية والمصرية.
- أسهم في الدعم العلمي والتربوي لإنشاء الجامعة الإسلامية (بروتردام) (هولندا)، وقام بزيارتها لنحو شهر ونصف لعدة أعوام، حتى استقامت مسيرتها الأكاديمية.
- وأنشأ المكتبة العربية للجامعة.

الجهود الموسوعية للباحث:

- تفسير القرآن للناشئين (في ثلاثين جزءاً في علبة واحدة)، (بالاشتراك مع الأستاذ علي عبد المحسن جبر).
- تحرير (الملف الفقهي لجريدة الشرق الأوسط الدولية) باب

ولقد عُقدت مؤتمرات عدة، ودار جدل جديد حول الأسلوب الجديد الذي يَصلُح اتباعُه للقضاء على الغارة الإسلامية والعالم الإسلامي... ثم تمخضت هذه المؤتمرات وهذا الجدل عن الإيمان بمعادلة بسيطة واضحة:

«إذا كان هدف الغرب هو القضاء على المسلمين، فلا بد من القضاء على الإسلام ذاته، وقوته السياسية والمعنوية؛ فالإسلام هو الطاقة المحرِّكة للعالم الإسلامي، وبضربه لن تبقى لهم قوة ولا مَنَعَة، وسيتكون وقتها فراغ يمكن ملؤه بأي طاقات أخرى: كالمسيحية أو الشيوعية».

وكانت هذه المعادلة هي المنهج الذي سار عليه الغرب منذ هزيمة وارتداد الجيوش الصليبية وحتى اليوم، ولم يكن تصادمه المباشر مع المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين إلا مرحلة تأكيدية للقضاء على الإسلام، وعلى قوّته السياسية والمعنوية، على أنه في نفس مرحلة الاستعمار العسكري هذه كان يستغل انتصاراته التي كان يطوق بها العالم الإسلامي من أطرافه فيتبعها فوراً بمخطط تنصيري يقضي به على ما يكون قد بقي لدى المسلمين من طاقة إسلامية محرِّكة.

أريد أن أقول: إن إستراتيجية الغرب قد تبلورت فلم تَعُد هجوماً مباشراً على المسلمين؛ لأن المسلمين حتى في الحروب التي هُزِموا فيها عسكرياً على يد الاستعمار كانوا يعودون بالإسلام أقوياء من جديد.

ويجب إعلام الجميع أن الميزانيات المخصصة للحملات التنصيرية تفوق ميزانية دول النفط مجتمعة؛ فعن آخر الإحصائيات الخاصة بالتنصير، وكما ورد عن مصادر كنسية موثقة أن هناك ارتفاعاً شديداً ومكثفاً في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية، تمتلك أكثر من مائة مليون جهاز كمبيوتر وأكثر من ٣٥ شبكة إلكترونية

يومي لمدة خمس سنوات (١٩٨٢ - ١٩٨٧م)، ولذيوع الباب نتيجة عرض الفقه بطريقة حية، أصدرت المؤسسة ملفاته في ثلاثة عشر كتاباً، ثم أصدرها المؤلف في ثلاثة مجلدات، نشرت بالقاهرة عن دار الوفاء - مصر - تحت عنوان (موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر) ٢٠٠٥م.

- أشرف على عمل موسوعة في نحو عشرة آلاف صفحة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأُنجزت منذ عدة أعوام لسموّ الأمير الدكتور/ سعود بن سلمان بن محمد آل سعود بالرياض (وهي قيد المراجعة والطبع).
- إنجاز موسوعة موجزة في حدود (٨٠٠ صفحة) للجامعة الأمريكية المفتوحة، بالتعاون مع مساعدين له من الباحثين في التاريخ، وقد طبعت.
- قيامه - بالاشتراك - مع أربعة من الأساتذة بالإشراف العلمي على (موسوعة الإدارة العربية الإسلامية) لحساب المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، في ثلاثة عشر جزءاً (٧ مجلدات) وكان مسؤولاً ومسهماً رئيساً في إعداد مواد (إدارة الجيش والقضاء والشرطة وإدارة

موزعة على الكنائس الكبرى، وتصدر مئات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية بأكثر من١٥٠ لغة، وكلها تخدم التنصير وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة، كما أن هناك حوالي ١٠٠ ألف مركز ومعهد يتولى تدريب وتأهيل المنُصِّرين على مستوى العالم الإسلامي.

نماذج صارخة

■■ البيان: هلاّ أوردنا للقارئ الكريم نموذجاً من نماذج التنصير والتبشير الصارخة في العالم الإسلامي؛ ليقف على حجم الخطر الحقيقي المحدق بالأمة والإسلام؟

■ نكتفي بنقل تقرير سري أصدرته إرساليات التنصير البروتستانتية في جنوب شرق آسيا، ذكرت فيه ما نصه: «إن ما ينفق على التنصير سنوياً في إندونيسيا يزيد عن ٣٥٠ مليون دولار، منها ٥٠ مليون دولار لأعمال التنصير الإعلامية وحدَها».

كما تُقدّم هيئة المعونات الكاثوليكية ستة ملايين دولار سنوياً إلى حكومة إندونيسيا لمساعدة قطاع الإنماء القروي. وتقوم إحدى الهيئات التنصيرية الأجنبية في إندونيسيا بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣٢٠ ألف شخص من مختلف أنحاء إندونيسيا ينتمون إلى مختلف دور الأيتام والمؤسسات الصحية وملاجئ العجزة بجاكرتا. كما تقوم هيئة تبشيرية بروتستانتية بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣١ ألف شخص في مختلف أنحاء إندونيسيا، كما أنها تقوم بتقديم معونات طارئة عند الحاجة بالإضافة إلى مئات المشروعات القروية للإنماء؛ لترقية مستوى إنتاج المواد الغالية جداً؛ فلماذا كل هذا في نظرك؟

أما المؤسسة التنصيرية العاملة في أيريان الغربية فهي تمتلك ٧١ طائرة، فضلاً عن شبكة اتصالات لاسلكية من أعلى الشبكات تقدُّماً في العالم؛ كما تمتلك خمسة مطارات، وتقف هذه المؤسسة بكل كياناتها وإمكانياتها وراء الحركة الانفصالية التي تستهدف فصل أيريان الغربية عن إندونيسيا وإقامة دولة نصرانية مستقلة عن إندونيسيا المسلمة.

وفي قطاع الشؤون التعليمية تقوم مؤسسة «مونتفورت فاذر» ببناء المدارس العامة، والمدارس المهنية، ومدارس التمريض، والعيادات، والصيدليات في كل من سنتاخ وبينومارتينوس وبوتوس سيبا وسيغرام وبنغهابينا وبيكا وسراواي.

التنظيمات المهنية والحرفية العربية الإسلامية (النقابات) في الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي).

- أشرف على إنجاز معجم مصطلحات علوم القرآن لحساب دار الوفاء بالقاهرة، وأسهم بإعداد بعض المواد العلمية.
- رئيس تحرير (بالاشتراك) لمجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) لعدة سنوات.
- رئيس تحرير (بالاشتراك) (مع الدكتور / ظفر الإسلام خان - في دلهي - بالهند) لمجلة التاريخ الإسلامي التي صدرت عدة سنوات بطريقة دورية.

وله سوى ذلك حوالي ستين كتابا في التاريخ الإسلامي والفقه والسيرة والتراجم منها:

- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري.
- دولة بني حماد في الجزائر (٤٠٨ - ٥٤٧هـ).
- بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي.
- تفسير التاريخ علم إسلامي.
- التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون.

وفي قطاع ملاجئ الأيتام تقوم المؤسسات التبشرية الكبرى بتقديم المساعدات الغذائية والملابس لمئات ملاجئ الأيتام هناك، كما تقوم بتقديم البرامج والمساعدات التقنية، وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية لمنكوبي الكوارث الطبيعية واللاجئين والفقراء في مناطق إستراتيجية للتنصير.

أما في ميدان النشر والشؤون التعليمية فتقوم مؤسسة تنصيرية متخصصة مركزها جاكرتا ولها فروع أخرى بنشر كثير من الكتب سنوياً في مختلف الموضوعات الثقافية والفلسفية والدينية.

كما تقوم المؤسسة بتسهيل تعليم الشؤون الفنية الخاصة بنشر الكتب الدينية ويمتلك المنصرون مطابع متخصصة في طبع الأناجيل وبيعها بأقل سعر أو مجاناً، وفي قطاع المكتبات تتصدر عمارة دار النشر المسيحية بجاكرتا مكتبات دور النشر التنصيرية،

وفي ميدان الصحافة يملك التنصير صحيفتي كومبارس وأسينارهابان اللتين تطبعان يومياً زهاء ٢٠٠ ألف نسخة، هذا فضلاً عن مُلكية التنصير في سومطرا لمستشفيات ومطابع على مساحة تقدّر - تقريباً - بأربعة آلاف هكتار، وأسطولاً من السفن، وطائرات، وزوارق

سريعة جداً، وسيارات ودراجات بخارية، وغير ذلك مما قد يحتاجونه في تضليل المسلمين وجذبهم إلى النصرانية؛ وخاصة في ظل صمت وغياب من الدول الإسلامية.

الوجود الإسرائيلي في أفريقيا

■■ البيان: ما هي الأهداف السياسية للوجود الإسرائيلي في أفريقيا؟

■ تسعى إسرائيل لتحقيق كثير من الأهداف الإستراتيجية التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً: السعي لتحقيق متطلبات الأمن الإسرائيلي في جوهره: فلقد رأى الإسرائيليون بزعمهم أن خطر الاعتداء يحيط بهم ويحاك ضدهم من جراء إحاطة العرب لهم؛ وأنهم في «جيتو» على شكل دولة؛ ولهذا

- المدخل إلى الحضارة الإسلامية.
- قضية إحراق طارق بن زياد للسفن بين الأسطورة والتاريخ.
- الفكر اليهودي بين تأجيج الصراعات وتدمير الحضارات.
- تيارات حضارية في التاريخ الإسلامي.
- صفحات من جهود المسلمين في الحضارة الهندية.
- أثر التغريب وخيانة التاريخ على مستقبل الأمة الحضاري.
- التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس.
- ٤٠ سبباً لسقوط الأندلس.
- الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس.
- العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس.
- شخصية الرسول أمام المقاييس الإنسانية.
- النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة.
- فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية.
- دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية.
- الإسلام وتحديات العصر.
- ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة.

عملوا على خرق الجيتو، بالضغط نحو الطريق خارج حدود الجيتو المزعوم والالتفات نحو العرب باعتبارهم عناصر هذا الحصار، وكان ذلك يعني النزوع إلى توزيع ما أطلقوا عليه «المجال الإستراتيجي الحيوي». وتُعَدُّ أفريقيا دائماً هي أهم أقطاب هذا المجال الإستراتيجي الحيوي. وتم ترجمتها في إستراتيجية تعزيز الوجود الإسرائيلي في أفريقيا؛ لأن إسرائيل تسعى دائماً إلى ما يسمى «بالأمن المطلَق» والذي يعني في المقابل «انعدام الأمن» بالنسبة للدول العربية وما يرتبط بذلك من ضرورة التحكم في المنطقة، من خلال مجموعة من الآليات، من أهمها: خلق علاقات ودية مع الدول الأفريقية، والوجود العسكري في بعض المناطق. ومن هنا كانت المحاولات الإسرائيلية للحيلولة دون أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية، وضمان هجرة اليهود الأفارقة إلى إسرائيل.

ثانياً: كسر حد العزلة الدولية التي فرضتها عليها الدول العربية، ومحاولة كسب قواعد للتأييد والمساندة، وإضفاء نوع من الشرعية السياسية عليها في الساحة الدولية. وفي هذا الإطار نظرت إسرائيل إلى الساحة الأفريقية باعتبارها ساحة للنزال بينها وبين العرب.

ثالثاً: كسب تأييد الدول الأفريقية من أجل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي وَفْق الرؤية الإسرائيلية باعتبار أن الدول الأفريقية بعيدة عن أي انحياز سابق لأي من الطرفين، وهو ما يجعلها وسيطاً مقبولاً لدى إسرائيل.

رابعاً: العمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراتية خاصة بتقديم إسرائيل على أنها دولة نموذجية لشعب الله المختار، ويفسر ذلك أن إسرائيل اعتمدت دائماً على تقديم المساعدات التقنية والتنموية للدول الأفريقية حتى في حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية معها. ويعد مركز التعاون الدولي في وزارة الخارجية «الموشاف» الذي يرأسه نائب وزير الخارجية، هو الجهاز المسؤول عن تصميم وتنفيذ سياسات التعاون مع الدول الأفريقية، وكان «الموشاف» من وسائل الاتصال السياسية مع كبار المسؤولين في الدول الأفريقية، وعلى الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية كما حدث مع كينيا وزامبيا وتنزانيا وأثيوبيا؛ حيث كانت العلاقات الاقتصادية والفنية أكثر قوة من العلاقات السياسية.

التصدي للتنصير

■■ البيان: كيف نتصدى لهذه الحملات التنصيرية الكثيرة على طول العالم الإسلامي؟

- العقل المسلم في مرحلة الغزو الفكري.
- صور وبطولات من حضارتنا.
- في ظلال الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الإسلام كما أومن به .
- الشيخ محمد الغزالي: تاريخه، وجهوده، وآراؤه.
- المسلمون في معركة البقاء .
- الدولة الحديثة في المحيط الإسلامي بين الحقيقة والتزييف.
- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل.
- القيم الإسلامية في تاريخ المسلمين.
- ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية.
- بديع الزمان سعيد النورسي: رجل الإيمان والتجديد في مواجهة الإلحاد والتقليد.
- عقيدتنا الإسلامية (للبراعم الناشئة).
- أخلاق المسلم (للبراعم الناشئة).
- مواقف إسلامية رائعة (للبراعم الناشئة)
- سيرة الرسول (للأطفال والفتيان).

وكتب مراجعات ومقدمات لعدد من الكتب.

■ لا بد أن تكون لدينا صحوة ويقظة إلى تلك الحملات التنصيرية المنظمة على جميع أنحاء العالم الإسلامي، التي لا يقل خطرها وشراستها عن الحملات الصليبية العسكرية؛ ولكنها تستتر في ثوبها الجديد، وتتقلد أسلحة جديدة ألا وهي محاولة التشكيك في التراث الإسلامي وقيمه، وتفريغه من محتوياته الإنسانية والحضارية، كما أنها تحاول الطعن في رموز التيار الإسلامي والعربي، والغمز في رجالاته من خلال مواقف وسقطات بسيطة؛ جدُّوا في تضخيمها وتهويلها وهو ما يريحهم ويشرح صدورهم ويحقق مآربهم.

وللأسف فإنك تجد أن في بلادنا الإسلامية من يساعدهم في تحقيق أهدافهم؛ فتجد من يريد منع جمع الزكاة، وإيقاف العمل الخيري التطوعي، وإيهام المسلمين أن مالهم يذهب في غير محله إلى الإرهاب وقتل الناس، وتجد فضائيات عربية - وللأسف إسلامية - ترهب الناس من الإنفاق في سبيل الله؛ على الرغم من جميع ميزانيات كل الجمعيات الخيرية في دولة كمصر - مثلاً - لا تصل إلى ميزانية أقلِّ مؤسسة تنصيرية غربية.

والمطلوب:

- إيجاد دعاة ملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي، فاهمين ومطبقين لما جاء في القرآن، وعلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهجه سائرون.
- ضرورة دراسة معرفة القبيلة والبيئة التي سيدعو الناس فيها، ومعرفة الأمثال الواردة في القرآن والسُّنة عن الدعوة، واستغلالها بأحسن صورها لجذب المسلمين وإعادتهم إلى دين ربهم الحنيف.
- محاولة التغلُّب على العقبات التي تقابلنا في الدعوة؛ خاصة مع الأوروبيين.
- ضرورة التعامل الذكي والحذر في الرد على الشبهات التي يطلقها الأعداء ضد الإسلام كـ (المرأة، والرق، وعدم المساواة، وإكراه الناس في دخول الإسلام، وربط الإرهاب بالإسلام، والتخلف والرجعية، والبعد عن التحضر والتمدن، وإقصاء الآخر)، وغيرها من الشبهات التي تجدها موجودة في أعدائنا ويربطوها بنا ظلماً وجوراً وعدواناً.
- الثقافة الأوروبية، ثقافة استعلاء، والمسيحية دين الطبقة العليا، والدين لا يعرفه إلا القساوسة، فعلينا أن نوجد جيلاً يستطيع التعامل مع مثل هؤلاء، في مثل هذه الظروف.

- تقديم الخدمات التعليمية والصحية والغذائية والمياه للفقراء والمحتاجين؛ على الأقل في بلاد الإسلام؛ لنقطع الطريق على المبشرين والمنصرين والإرساليات التبشيرية.

يجب أن تقودَنا الفطرة السليمة المشبعة بالروح الإسلامية لدعوة الذين يتقبلون الرسالة، ولا نتوقف على إفهام المسلمين دينهم فحسب.

ضرورة تفهم ثقافات ونظام الآخرين، والرفق في دعوتهم، وتحويلهم خطوة خطوة ليفهموا الثقافة الإسلامية، وضرورة التأثير عليهم من داخل أُطُرِهم الثقافية ■

يعرض هذا البحث وجهاً من وجوه الاتجاه الإسلاميّ والخلقيّ في النقد العربيّ القديم، وهو موقف طائفة من النقاد من بعض الشعراء الذين عُرفوا ببعض التجاوز واللغو اللذين عدا انتهاكا لقيم دينية أو خلقية.

وقد هاجم النقاد ما صدر عن هؤلاء من هذا القبيل، واستهجنوه، وأطلقوا - في أحيان غير قليلة - عبارات نقدية قاسية تنم على الاستياء منه ومن قائله.

الموقف الإسلاميّ والخلقيّ للنّقاد العرب

من بعض شعراء السّفه

د. وليد قصّاب

وإن مما يجدر التنويه به في هذا المقام أن أي ناقد - وإن كان ممن يلتزمون الفصل بين الشعر والدين، أو الشعر والأخلاق، أو ممن يرون أن كفر الشاعر، أو تجاوزه للقيم الدينية لا ينتقصان من مكانته الفنية لا يرضى - في مجال النقد التطبيقي - عن نماذج من هذا القبيل، أو يبدي استحساناً لها مهما كانت قيمتها الفنية والجمالية.

ولم نعرف ناقداً واحداً في تراثنا احتفى بشعر يمثل زندقة، أو كفرا، أو تجاوزا لقيم العقيدة، أو انتهاكا صارخا لأخلاق المجتمع، أو عدَّ مثل هذه النماذج من القول نماذج رفيعة عظيمة، على نحو ما نجد عند بعض نقاد الحداثة في هذه الأيام، حتى قال قائلهم[1]:

«هنالك شعر أعده شعرا عظيما سماه بعض النقاد للسخرية والتنقيص من قيمته شعر التهتك والخلاعة والمجون، كشعر ابن الحجاج، وابن سكرة. إنه من أهم الشعر الذي كُتب في اللغة العربية، ومع ذلك فهو مكبوت مقموع كليا، هؤلاء الشعراء كانوا يحاولون أن يخلقوا ما يمكن أن نسميه بالجنة الأرضية...».

وسنعرض لطائفة من الشعراء القدماء والمولَّدين الذين شكّلت بعض أشعارهم ضربا من التجاوز العقدي أو الخلقي، وسنرى كيف جابهت طائفة من النقاد هذه النماذج، فاستهجنتها، وثلبت قائليها...

في العصر الجاهلي:

من شعراء الجاهلية الذين وُصِفوا بالتعهر والمجون امرؤ القيس. وعلى تقدمه الفني عند النقاد، وكونه أشعر ثلاثة أو أربعة من الجاهليين، إن لم يكن أشعرهم جميعا، أُنكِر عليه مجونه، وعُد من عيوبه وسقطاته.

قال المرزباني: «وعيب أيضا على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره، كقوله:

ومثلك حبلى قد طرقت....

إذا ما بكى....

وقالوا: هذا معنى فاحش»[٢].

وكان ابن سلام من قبلُ قد قسم الشعراء الجاهليين - على أساس ديني خلقي - إلى فريقين: فريق «يتأله في جاهليته، ويتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء»، وفريق «ينعى على نفسه، ويتعهر. منهم امرؤ القيس، قال:

ومثلك حبلى...

وقال:

دخلت وقد ألقت...

وقال:

سموت إليها...

ومنهم الأعشى، قال:

فظلّلت أرعاها...

وقال:

وأقررت عيني من الغانيات...

وقال:

وقد أخرج الكاعب...»[٣].

وقد نقد كثيرون عهر امرئ القيس وتفحشه في شعره، ولم يسيغوا هذا الضرب من القول المجافي للأخلاق والذوق.

وكان الباقلاني من أقسى النقاد عليه، أطال السخرية منه، والإزراء عليه، وراح يتعقب ما ورد في المعلقة من معان فاحشة، فينقدها بعنف، ويهزأ من قائلها.

قال في نقد بيته:

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له...

«البيت في غاية الفحش، ونهاية من السخف. وأي فائدة في ذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب هذه المذاهب، ويرد هذه الموارد؟ إن هذا ليبغّضه إلى كل من سمع كلامه، ويوجب له المقت. وهو - لو صدق - لكان قبيحا، فكيف يجوز أن يكون كاذبا...»[٤].

ونقد قوله:

فقلت لها سيري وأرخي زمامه

ولا تبعديني عن جناك المعلَّلِ

فمثلك حبلى...

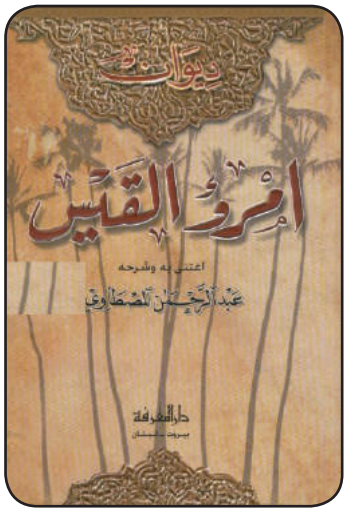

فقال: «البيت الثاني في الاعتذار والاستهتار والتهيام، وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول، لأن تقديره: لا تبعديني عن نفسك، فإني أغلب النساء وأخدعهن عن رأيهن، وأفسدهن بالتغازل. وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن، وترك إبعادهن إياه، بل يوجب هجره، والاستخفاف به، لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش، وركوبه كل مركب فاسد، وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله، ويأنف من ذكره..»[٥].

ودعا العلوي الشاعر إلى اجتناب السفه، والتعالن بالفاحشة، ومثّل لذلك بامرئ القيس، فقال: «ينبغي للشاعر أن يتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء، فإن العلماء ذموا من اعتمد ذلك، ومن كان يتعهر ولا يتستر، مثل امرئ القيس في قوله:

ومثلك حبلى...»[٦].

في العصر الإسلامي:

وفي العصر الإسلامي تشبّه الفرزدق - في بعض شعره - بامرئ القيس في التفحش والاستبهار بالقبائح. وعلى تقدمه الفني كذلك عند النقاد، وعدّه في الطبقة الأولى من الإسلاميين، لم يُرضَ عن مجونه، ولم يُتَلَّقَ عند أحد بالقبول، بل كان موطن انتقاص ونقد، وعرضة للمساءلة، وأوشك ولي الأمر أن يقيم عليه الحد.

ذُكر أن الفرزدق أنشد أبياتا عند سليمان بن عبدالملك، وكان منها قوله في النساء العذارى - وهي من فاحش شعره:-:

فبتن كأنهن مصرعات...

فقال له سليمان: قد وجب عليك الحد!، ولم يدرأ عنه الحد إلا احتجاجه بأن ما قاله من قبيل تسمُّح الشعراء في القول، وغلوهم فيه، على نحو ما وصفهم الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ »[٧].

وجعل ابن سلام الفرزدق - فيما مجن فيه واستبهر بالفواحش- على مذهب امرئ القيس، فقال بعد أن تحدث عن عهر الملك الضِّلِّيل:

«وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن. قال:

هما دلتاني من ثمانين قامة...

قالها وهو بالمدينة، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم - وهو وال على المدينة - فأجله ثلاثا، ثم أخرجه منها...».

وبعد أن أورد ابن سلام أبياتا من قصيدة الفرزدق السابقة التي أفحش فيها، قارن بينه وبين جرير، فقال:«وكان جرير - مع إفراطه في الهجاء - يعف عن ذكر النساء. كان لا يشبب إلا بامرأة يملكها...»[٨].

وأورد المرزباني - وهو يعدد مآخذ العلماء على الشعراء- كلام ابن سلام على الفرزدق، وأنه يترسم في هذا الفن من القول مراسم امرئ القيس...[٩].

وتعرَّض شعر عمر بن أبي ربيعة الذي يذكر فيه مغامراته مع النساء، ويشبب بهن غير محتشم ولا متبرقع، لكثير من النقد، وأثار حفيظة أقوام، منهم الخلفاء، والفقهاء، وغيرهم.

روي أن عبدالملك لقي عمر بالمدينة، فقال له: «لا حياك الله يا فاسق. قال عمر: بئست تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط، فقال له: يا فاسق، ذلك لأنك أطول قريش صبوة، وأبطؤها توبة. ألست القائل:

ولولا أن تعنفني قريش
مقال الناصح الأدنى الشفيق
لقلت إذا التقينا: قبليني
ولو كنا على ظهر الطريق
أُغرب..»[١٠].

وأنكر عليه سليمان بن عبد الملك عبثه هذا، وأرسل إليه فعنفه قائلا: ألست القائل:

وكم من قتيل لا يُباء به دم
ومن علقٍ رهنا إذا ضمه منى
وكم مالئ عينيه من شيء غيره
إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فلم أرَ كالتجمير منظر ناظر
ولا لليالي الجمع أقتلن ذا هوى

قال: نعم.

قال لا جرم. والله لا تحج مع الناس العام، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس حجهم...»[11].

ولقي عمر مرة ليلى بنت الحارث البكرية، فقال لها: عرِّجي أسمعك ما قلت فيك. قالت: أو فعلت؟ فأنشدها:... فقالت: آمرك بتقوى الله، وإيثار طاعته، وترك ما أنت فيه...»[12].

وقالت له مرة: «يا ابن أبي ربيعة ! حتى متى لا تزال سادرا تشبب بالنساء، وتشيد بذكرهن، أما تخاف الله...»[13].

وقال ابن جريج الفقيه في الإزراء على شعر عمر: «ما دخل على العواتق في حجالهم شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة...»[14].

وكان أبو المقوم الأنصاري يقول: « ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة...»[15].

وقال هشام بن عروة: « لا تُرَوُّوا فتياتكم شعر عمر ابن أبي ربيعة، لا يتورطن في الزنا تورطا...»[16].

التجاوزات العقدية والخلقية في شعر المولدين

على أن هذه التجاوزات العقدية والخلقية التي كانت يسيرة في الشعر القديم بدأت تكثر في شعر المولدين، بسبب ما نجم في المجتمع من نزغات جديدة: كالزندقة، والشعوبية، والمجون، والغزل بالمذكر، وما عرفه من ازدياد في الترف، والغناء، وتكاثر في الإماء والرقيق، والعنصر الأجنبي الذي حمل كثيرا من الأفكار والقيم والعادات الهجينة..

وأثر عن طائفة من شعراء العصر العباسي بعض هذه التجاوزات التي تمس الدين أو الأخلاق من قريب أو بعيد، كبشار، وأبي نواس، والمتنبي وغيرهم. وعلى مكانة هؤلاء الشعراء الفنية، وإقرار النقاد لهم بالسبق والتبريز، لم تُقبل تجاوزاتهم، ولم تحظ بالاستطراف أو الاستملاح، بل كانت موطن نقد كثير، واستهجان شديد.

وحسبنا الوقوف على نماذج يسيرة من شعر هؤلاء، شكلت اعتداء على القيم الدينية أو الخلقية، وأن نخبُر رأي النقد فيها، وموقف النقاد منها.

غضب المهدي لما بلغه قول بشار:

لا يؤيسنك من مخبأة
قول تغلّظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة
والصعب يمكن بعدما جمحا

واغتاظ وقال: «يحرض النساء على الفجور، ويسهل السبيل إليه؟

فقال له خالد بن يزيد بن منصور الحميري: يا أمير المؤمنين، قد فتن النساء بشعره، وأي امرأة لا تصبو إلى مثل قوله:

عجبت فطمةُ من نعتي لها
وهل يجيد النعت مكفوف البصر..

فأمره المهدي ألا يتغزل...»[17].

وقيل: إن المهدي - وكان غيورا - استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، فغضب، وقال له:«أتحض الناس على الفجور، وتقذف المحصنات المخبآت، والله

لئن قلت بعد هذا بيتا واحدا من نسيب لآتين على روحك...»[١٨].

وكان سوار بن عبدالله الأكبر ومالك بن دينار ينكران على بشار عبثه ومجونه في شعره، ويقولان: «ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة - البصرة- إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى، وما زالا يعظانه...»[١٩].

وقد يكون مجونه وتفحشه من جملة ما حمل المهدي على قتله[٢٠]، إذ رأى في هذا الشعر - وقد وعظ صاحبه أكثر من مرة - إفسادا لأخلاق الناشئة، واستبهارا بالفاحشة، مما ينافي الدين والأخلاق.

وأما أبو نواس فقد قوبل شعره الفاحش بغضب شديد، وإذا لم ينته صاحبه إلى المصير البائس الذي انتهى إليه بشار بن برد فقد كاد.

روي أن الرشيد أوشك أن يقتل أبا نواس لقوله:

«فإن يك باقي سحر فرعون فيكمُ
فإن عصا موسى بكفِّ خصيبِ

وقال له: «يا ابن اللخناء، أنت المستخف بعصا موسى نبي الله...»[٢١].

وقد استهجن ابن قتيبة بعضا من شعر أبي نواس، وحكم عليه بأنه كفر، أو كالكفر.

قال: «ومما كفر فيه أو قارب قوله:

تعلل بالمنى إذ أنت حيٌّ
وبعد الموت من لبن وخمرِ
حياةٌ، ثم موتٌ ثم بعث
حديث خرافة يا أم عمرِو

وقوله في غلام:

نتيج أنوار سمائية..

وأورد المرزباني بعض هذه النماذج وغيرها فيما أخذه العلماء على أبي نواس، وذكر استقباح النقاد، ونفرتهم منها.

ونقل عن بعض العلماء قولهم:«قال أبو نواس شيئا

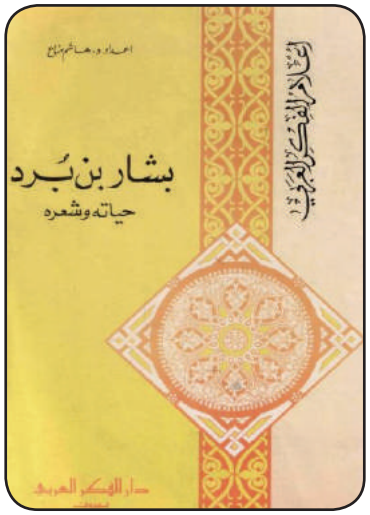

من الشعر اتهم فيه، لأنه قال قولا عظيما لا يتكلم بمثله مسلم، وهو وقوله في محمد الأمين:

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها
خَلْقاً وخُلْقَا كما قُدّ الشراكان
مثلان لا فرق في المعقول بينهما
معناهما واحد والعدَّة اثنان

ومما أنكر من قوله:

يا أحمد المرتجى في كل نائبة..
قم سيدي نعصِ جبار السماوات

لأن هذا أعظم جرأة، وأقبح مجاهرة، وأشد تبغض إلى العزيز الجبار عز وجل أن يقول: «نعص جبار السماوات» فذكر المعصية مع ذكر الجبار - عزّ اسمه- وأنه إياه عنى بالعصيان...»[٢٢].

ثم قال المرزباني: «قال: وحدثت عن أحمد بن أبي داود أنه ذكر هذا البيت، فتفرغ له، وجعل يقول: لعنه الله، لعنه الله!. وأحسن ابن أبي داود في لعنه إياه على هذا الكلام...»[٢٣].

وهاجم أبو عبيد البكري أبا نواس في قوله:

باح لساني بمضمر السِّرِّ
وذلك أني أقول بالدَّهرِ
وليس بعد الممات منقلب
وإنما الموت بيضة العقرِ

وقال في نقده: « هذا شعر دهري زنديق»[٢٤].

وأفرد مهلهل بن يموت في كتابه «سرقات أبي نواس» بابا سماه «الكفريات» عرض فيه نماذج من شططه، وسوء عقيدته، وعدها من سقطاته وعيوب شعره.

ولو أردنا أن نستقصي مآخذ العلماء على شعر أبي نواس من الناحية الدينية والخلقية، وما تعرض له من النقد الشديد، والانتقاد اللاذع لامتلأت صفحات كثيرات، وحسبنا ما وقفنا عليه من بعض النماذج...[٢٥].

وأما أبو الطيب المتنبي فلعله من أكثر الشعراء الذين تعرضوا للنقد الديني والخلقي بسبب بعض شعره الذي أفرط فيه، وتسمّح في القول، فانطوى على تجاوزات عقدية لم تحظ عند أحد من النقاد حتى الذين تعصبوا له، وأفرطوا في تقديمه..

وها هو ذا الجرجاني نفسه - أهم من دافع عن أبي الطيب، وأحد الذين فصلوا - في تقويم الشاعر - بين شعره ومعتقده - لا يستطيع أن يدافع عما أفرط فيه صاحبه، أو يجد وجها مقنعا في المنافحة عنه، ولا ينجيه من هذه الورطة إلا لجوؤه إلى القياس، فيعجب من ناقد «يغضّ من شعر المتنبي لوجود أبيات تدل على ضعف

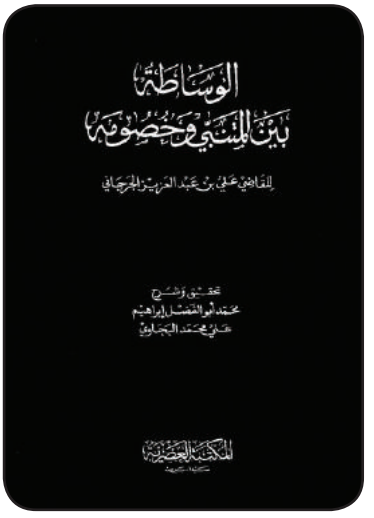

العقيدة، وفساد المذهب، كقوله:.... ثم يأتي الغاضّ ليحتمل لأبي نواس قوله...»[٢٦].

وكأن الجرجاني يقول: إن الناقد المنصف إما أن يؤاخذ الشاعرين كليهما على التجاوز والإفراط، وإما ألا يتخذ من سوء المعتقد معيارا في الحكم على شاعرية الشاعر.

وقسا النقاد على أبي الطيب في انتقاصهم من شعره المتجاوز، ولم يحملهم الإقرار بشاعريته الفذة، وعبقريته المتميزة، على الإعجاب بهذا الضرب من القول، أو السكوت عليه.

ومن هؤلاء النقدة الصاحب بن عباد، إذ كان من جملة مآخذه على أبي الطيب خروجه على الذوق والأخلاق في بعض المعاني، على شاكلة قوله:

«لو استطعت ركبت الناس كلهمُ
إلى سعيد بن عبدالله بُعرانا

فقال الصاحب مستهجنا: وفي الناس أمه، فهل ينشط لركوبها!؟.

وكذلك الممدوح لعلَّ له عصبة لا يحبُّ أن يُركبوا إليه. فهل في الأرض أفحش من هذا التسحُّب، وأوضع من هذا التبسُّط؟...»

ثم قال الصاحب: «وكانت الشعراء قبله لا تصف المآزر تنزيها لألفاظها عما يُستبشع ذكره، حتى تخطى هذا الشاعر إلى التصريح الذي لا يهتدي إليه غيره، فقال:

إني على شغفي بما في خُمرها
لأعف عما في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من عفافه هذا...»[٢٧].

ومرَّ بنا قبلُ مأخذ ابن بسام على الثعالبي لتساهله في رواية بعض الأشعار التي لا تتفق في ميزان الدين أو الأخلاق، ولكن الثعالبي يبدي أحيانا اعتراضه على ما كان من هذا القبيل، ويفصح عن توجه ديني خلقي.

أورد في اليتيمة طائفة من عيوب شعر المتنبي، منها ما سماه «إساءة الأدب بالأدب» فساق نماذج مما أفحش فيه أبو الطيب، أو تباذأ، أو استعمل ما لا يليق من الألفاظ والعبارات، مجافيا الذوق السليم، والحس الرفيع، على نحو قوله:

فغدا أسيرا قد بللت ثيابه
بدم، وبلَّ ببوله الأفخاذا

وقوله:

خفِ الله واستر ذا الجمال ببرقع
فإن لُحتَ حاضت في الخدور العواتق

وقوله:... وقوله....»[٢٨].

كما أورد الثعالبي طائفة من شعر أبي الطيب تمثل إفراطا في القول، أو جرأة على العقيدة، أو لا تعكس - على أخف تقدير - توقيرا وإجلالا كافيين للدين، على نحو قوله:

ونُصفي الذي يكنى أبا الحسَنِ الهدى
ونُرضي الذي يُسمى الإله ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح فيها العلوي:

وأبهر آيات التهامي أنه
أبوكم، وإحدى ما لكم من مناقب

وقوله:

تتقاصر الأفهام عن إدراكه
مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

وعلق عليه:« وقد أفرط جدا، لأن الذي الأفلاك فيه والدنا، هو علم الله عز وجل».

وقوله: وقد جاوز حد الإساءة:

أيُّ محل أرتقي
أيُّ عظيم أتقي
وكل ما قد خلق الله
وما لم يخلق
محتقرٌ في همتي
كشعرة في مفرقي

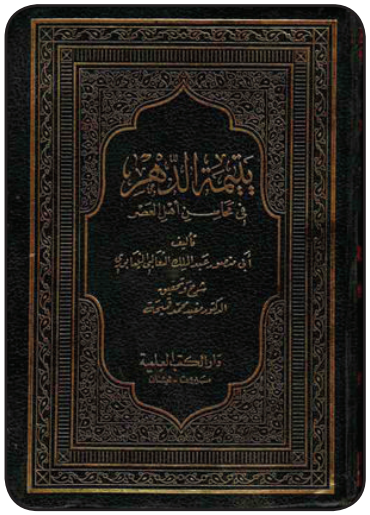

وعلق عليه قائلا: « قبيح بمن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو - فيما بينهما- بول وعذرة، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة...»[٢٩].

وقد أورد الثعالبي هذه النماذج وغيرها في باب العيوب تحت مسمى «الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين»،

وعلى الرغم من أن الرجل - على رأي الجرجاني صاحب الوساطة - لا يرى - عند التقدير الفني لشاعرية الشاعر - دخلا للديانة في ذلك، وهو لا يُدخل المعتقد معيارا من معايير تقديم القائل أو تأخيره إلا أنه - عند التطبيق العملي، ومواجهة نماذج من قبيل ما مر - لا يملك الثبات على موقفه، ولا غضَّ الطرف عنها، بل هي عنده مستهجنة مستقبحة، إنها من العيوب التي لا يجوز للشاعر ركوبها لما تفصح عنه من رقة دين، وسوء معتقد.

يقول الثعالبي: « على أن الديانة ليست عارا على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبب لتأخر الشاعر. ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولا وفعلا، ونظما ونثرا. ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته، وكثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله:....»[٣٠].

وقد أطال ابن وكيع التنّيسي في نقد بعض شعر أبي الطيب نقدا دينيا وخلقيا، وآخذه كثيرا على تجاوزه، وتسمحه في القول، أورد قوله:

يترشفن من فمي رشفات...
هنَّ فيه أحلى من التوحيد

وعلق عليه: « هذه ألفاظ فيها قلة ورع، وامتهان للدين، لا أحب له استعمالها...»[٣١].

وأورد قوله:

لم يخلق الرحمن مثل محمد
أحدا، وظني أنه لا يخلق

ونقده قائلا:«فمنع وجود مثله في الماضي والمستقبل، فحكم على الغيب...»[٣٢].

ونقد قوله في المديح:

لو لم تكن من ذا الورى اللَّذْ منك هوْ
عقِمت بمولد نسلها حواء

فقال: «بيت أبي الطيب فيه تجاوز. فأين به عن الأنبياء والأشراف والصالحين...»[٣٣].

ونقد ابن وكيع كذلك أبيات أبي الطيب التي مرت:

أيُّ محل أرتقي
أيُّ عظيم أرتقي..

فقال: «هذه أبيات فيها قلة ورع. احتقر ما خلق الله عز وجل، وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين، وخلق الجن والملوك والجبارين، وهذا يجاوز في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق الله وما لم يخلق، فكأنه لا يستعظم شيئا مما خلق الله، وهو من خلق الله عز وجل، الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه.

وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه لخروجه عن حد الكبر إلى حد الكفر...»[٣٤].

وقارن ابن وكيع بين قول أبي الطيب:

ومال وهبت بلا موعد
وقِرْن سبقت إليه الوعيدا

وهو يشبه قوله:

يمضي المنايا دِراكا ثم يُتبِعها
بيضَ العطايا ولم يُوْعِدْ ولم يعِدِ

وبين قول ابن الرومي الذي خالفهما:

تعطي الجزيل بلا وعد تقدمه
ولا تعاقب إلا بعد إيعاد

ففضل – من منطلق ديني – قول ابن الرومي. قال: «وكلام ابن الرومي أصح وأرجح، وهو يوافق أدب الله – عز وجل – في أنه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل والنبيين، كما قال: «وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون»[٣٥].

وهكذا أطال ابن وكيع الاتكاء على المعايير الدينية والخلقية وهو ينقد بعض ما أفرط فيه أبو الطيب، أو جاوز القصد...»[٣٦].

واتكأ ابن سيده كذلك على هذه المعايير، فنقد بعض تجاوزات المتنبي، وآخذه عليها. كقوله:

طلبنا رضاه بترك الذي
رضينا له فتركنا السجودا

فقال: «أي رضينا أن نسجد له إذ رأيناه، إكبارا له وإيثارا، إلا أنه لا يريد ذلك، لأن هذا إنما ينبغي لله عز وجل، فطلبنا نحن حينئذ رضاه بتركنا السجود الذي ترضينا له. فقد مدح بدرا هنا بشيئين: أحدهما جلالة

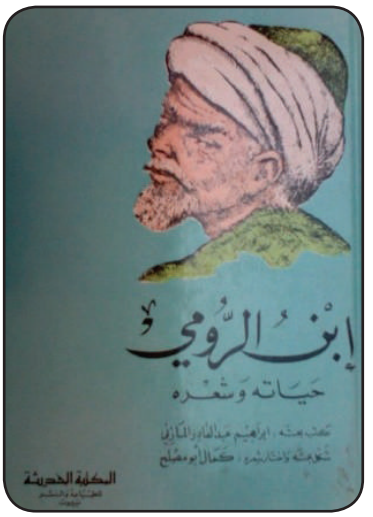

القدر حتى رئي أهلا للسجود له، والآخر تورع بدر عن هذا الذي رضيه المتنبي.

قبحا لكلامه! ونهرا في هذا الموضع وأشباهه لنظامه!...»[٣٧].

وصدر ابن بسام عن معيار ديني في نقد بعض شعر المتنبي، وانطوى على نفرة واضحة من إدخال الفلسفة إلى الشعر والنثر لما يسوق إليه ذلك من إفراط وغلو قد يصلان إلى الضلال والإلحاد.

أورد قول أبي الطيب:

تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمن هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه
وهذه الأجسام من تربه
يموت راعي الضأن في جهله
ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره
وزاد في الأمن على سربه

الذي أخذه من قول أبي غسان المتطبب:

حكم كأس المنون أن يتساوى
في حماها الغبيُّ والألمعيُّ
ويحل البليد تحت ثرى الأر
ض كما حل تحتها اللوذعيُّ
أصبحا رِمة تزايل عنها
فضلها الجوهريُّ والعرضيُّ
وتلاشى كيانها الحيواني
وأودى تقويمها المنطقيُّ

وعلق عليه قائلا: « وهذا كلام من الإلحاد على غاية الاضمحلال والفساد، فليس تساوي الناس في الموت والفناء حجة في عدم البقاء والمراتب في دار الجزاء...»[٣٨].

وأورد ابن عبد البر قول المتنبي:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقوله:

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس، روى رمحه غير راحم

فضربهما على محك الدين والأخلاق، فما وجدهما يصدران عن شيء من الصفح والمغفرة اللذين هما من أخلاق الإسلام، فقال مهجِّنا:

«هذه الأخلاق أخلاق الفساق، ومن لم يتأدب بأدب القرآن، ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة.

وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق:

إني وهبت لظالمي ظلمي
وغفرت ذاك له على علمي
ورأيته أسدى إليّ يدا...»[٣٩].

وهجّن ابن قيم الجوزية قول أبي الطيب:

يترشفن من فمي رشفات...

وسماه «العاشق الخبيث» وقال في نقد البيت: «صرح الخبيث أن وصله أشهى إليه من رحمة ربه...»[٤٠].

وبعد:

فقد عرض هذا البحث لوجه آخر من وجوه الاتجاه الديني والخلقي في النقد العربي التطبيقي للشعر،

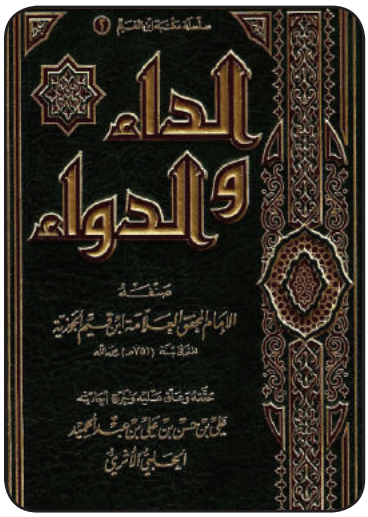

وتلمسه في موقف بعض النقاد القدماء من شعراء عرفوا ببعض التجاوزات الدينية، أو الخلقية.

وقد تجلى الاتجاه الذي نرصده هاهنا واضحا جليا، إذ أوضح البحث أن طوائف مختلفة من النقاد لم ترض عن هذه التجاوزات، أو تقرها، أو تستحسنها، أو ترَ فيها - على نحو ما ترى بعض التوجهات النقدية الحديثة - نقاط تميز وائتلاق.

تباين موقف بعض النقاد بين النظرية والتطبيق، فبدا هذا المنزع الديني والخلقي عند من رأى الشعر نكدا بابه الشر، مجاله دنيوي، يلينه دخوله في أغراض الخير كالأصمعي مثلا، وعند من رأى الشعر بمعزل عن الدين، وسوء المعتقد لا ينتقص من قدر الشاعرية، ولا يمنع الناقد من الإقرار بها كالجرجاني والثعالبي، وعند غير هؤلاء

إن هؤلاء وأولئك - بدوا وهم يقفون على نماذج مما غلا فيه الشعراء، أو تجاوزوا قيم الدين أو الأخلاق - منكرين مستهجنين، تصدم هذه النماذج حسهم الديني، فلا تشفع مكانة قائليها أن يغضوا الطرف عنها، أو يتقبلوها، بله أن يثنوا عليها أو يستملحوها، وظلت عندهم من عيوب الشاعر وسقطاته، يؤخذ بها، ويسلب من أجلها، وقد تؤخره عند طائفة أو تمنع من الاحتجاج بشعره.

قال أبو عبيدة عن أبي نواس: «لولا تهتكه لفضح جميع الشعراء»[٤١].

وقال أبو عمرو الشيباني: «لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول»[٤٢].

وهذا كله يؤكد حضور الاتجاه الديني والخلقي في النقد العربي القديم، وصدور كثير من النقاد عنه في الحكم على العمل الأدبي وتقويمه ■

الهوامش:

(١) أدونيس، انظر في قضايا الشعر العربي المعاصر: ١٥٩.
(٢) الموشح: ٤٥.
(٣) طبقات فحول الشعراء: ٤١-٤٣.
(٤) إعجاز القرآن: ١٦٧.
(٥) إعجاز القرآن: ١٦٧، وذكر نماذج من نقد الباقلاني لفاحش شعر امرئ القيس في الصفحات: ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.
(٦) نضرة الإغريض: ٣٩٤.
(٧) الكشاف: ٢٧/٣، وانظر عيون الأخبار: ٢٧/٢.
(٨) طبقات فحول الشعراء: ٤٤-٤٦.
(٩) الموشح: ١٥٥-١٥٨.
(١٠) الموشح: ٣١٨.
(١١) الموشح: ٣١٩.
(١٢) الأغاني: ١٥٦/١.
(١٣) السابق: ١٥٧/١.
(١٤) السابق: ٧٤/١.
(١٥) السابق: ٧٦/١.
(١٦) السابق: ٧٤/١.
(١٧) زهر الآداب: ٤٣٥.
(١٨) الأغاني: ٢٤١/٣.
(١٩) السابق: ١٨٢/٣.
(٢٠) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٥.
(٢١) الشعر والشعراء: ٨٠٨، والخصيب: هو الخصيب بن عبدالحميد، أمير مصر، وانظر في غضب الرشيد، وحبسه أبي نواس، الموشح: ٤٢٨.
(٢٢) الموشح: ٤١٧.
(٢٣) السابق: ٤١٨.
(٢٤) سمط اللآلئ: ٥٢٣/١.
(٢٥) انظر نماذج أخرى من النقد الديني والخلقي لشعر أبي نواس، في: رسالة الغفران: ٤٣٤، الموشح: ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٠٣، ٤١٥.
(٢٦) الوساطة: ٦٢-٦٤.
(٢٧) الكشف عن مساوى المتنبي (ضمن كتاب الإبانة): ص٢٥٠.
(٢٨) يتيمة الدهر: ١٦٧-١٦٨.
(٢٩) السابق: ١٧٠.
(٣٠) السابق: ١٦٨.
(٣١) المنصف: ١٤٦.
(٣٢) السابق: ١٧١، وأورد ثمة قصة في السخرية منه.
(٣٣) السابق: ٤٨٧.
(٣٤) السابق: ٢٠٣.
(٣٥) المنصف: ٤٧٩.
(٣٦) انظر أمثلة أخرى في المنصف: ١٢٨، ٣٤٦، ٤٦٧....
(٣٧) شرح مشكل شعر المتنبي: ١٠٠
(٣٨) الذخيرة، القسم٢، المجلد١، ص٤٨١-٤٨٢.
(٣٩) بهجة المجالس، ٣٦٦/١.
(٤٠) الداء والدواء، ص١١٢.
(٤١) ديوان أبي نواس: ١٤.
(٤٢) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٠٢.

هذا أُنس يخدمك

(من رسائل أم سليم إلى مسلمات القرن الحادي والعشرين)

فاطمة محمد شنون - سورية

نشوة لا تعفّي أفراح الدنيا على آثارها أن أَعُدّ على أصابعي من تصلنا أخبار إسلامهم، ولم تلبث كنوزي أن فاقت الأصابع عددا، ثم هتن الغيث، ثم انهل، ثم انسكب، فقد عاد أقمار يثرب الاثنا عشر من موسم الحج وقد بايعوا رسول الله عند العقبة، يصحبهم فتى مكة الجميل الجليل مصعب بن عمير، يتلو علينا كتاب الله، ويعلمنا ديننا. وراح يتداعى إلى مجلسه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فتزهو في القلوب مروج، وتشرق في العقول شموس، وتتلألأ على الشفاه الشهادة الخالدة ما دامت السماوات والأرض.

كان الناس يهربون من حمى الفتن والحروب التي دأب يهود على تسعيرها بين الأوس والخزرج، إلى منجاة تُحصِّن القلوب من التباغض والشحناء، وكنا على نحو مبهم نجد في مجالس ابن عمير الأمن الذي طال شوقنا إليه. وقد حرصت وزوجي وابني على الاستماع إلى مقرئ المدينة، فكان يومي كله تهيئة لتلك الجلسة الثمينة، حيث نخلي الفكر، ونفتح شغاف القلوب للهدى الجميل.

كنت أتنازل لأبي طلحة عن قيادة الخطا، لأمسك خفية بقيادة الفكر والقلب، كنت فيما بيني وبين نفسي أدرك أنني أصنعهما: زوجي بالحبّ والحذق والرفق، وولدي بالحكمة والعطف والقدوة، وكان يلذّ لي أن يمارسا فوقيتهما عليّ، فينكشف لي جنى ما ألقيته باسم الله، في تربة آليت أن تكون جنتي في هذه الحياة الدنيا، ووعد ربي بجنة الخلد يوم ألقاه زوجة وأما كما شاء لي أن أكون.

كنز جديد أضفته إلى كنوزي أن كان أبو طلحة بين المبايعين في العقبة الثانية، وبعدها تحوّلت يثرب كلها إلى حضن حنون ينضح ولاء وحبا وانتظارا. وراحت تحتضن كل يوم فوجا من المسلمين الهاربين بدينهم من بطش قريش وجبروتها في مكة، وكأنما امَّحى وجه يهود، وامَّحت أشباح التباغض والشحناء بين شطري المدينة، وتفرغت لتعيش الانتظار الجميل.. انتظار سيد الخلق.

لقد ضاعت من الذاكرة الأيام التي سبقت إشراق رسول الله على يثرب، وتقلص الزمان، فإذا هو تلك الأيام المباركات الحفَّل بمجد العقل ومجد القلب... ذلك المجد الذي حمل الخير للإنسانية كلها من هنا، من مدينة رسول الله.

عندما يشعر المرء أنه بعض من نور الحق تكبر يده ويكبر قلبه حتى يتسع للدنيا كلها... هكذا بت أحس أن بوسعي أن أحلم بخطوات أكبر وأوسع، خطوات إلى حيث لم أكن أحلم قبل أن يملك عليّ نور الحق قلبي وعقلي.

وعندما حلّ رسول الله بيثرب، راح يرهقني الإحساس بأنني مدينة لذلك النور الذي أنزل معه، أن حبي وولائي وحدهما لا يشفياني... ورحت أحبو على عتبات تلك الدنيا البديعة المشرعة الأبواب بكل عظمتها وبهائها، وأحسست أن كل نفائس الدنيا طوع يدي، واستنفر ذلك الإحساس طاقاتي، وأرخى لأحلامي الأعنة، فاتسعت أمامي الدروب، وتوالدت الفلوات بلا نهاية...

- إلى أين يا أم سليم؟

- إلى أقصى غاية الحلم... أريد أن أحقق إنجازا خارقا، أنا صاحبة أغلى مهر في الدنيا، أحلم بخطوة فريدة ترضي تطلع القلب ومناه. وإذا بلغت الإرادة بالمرء أن يكون والمراد، أو لا يكون هو ويكون المراد، فإن معجزة من السماء تلقي المفتاح بين يديه، فيفتح الأبواب إلى مراده، وتختصر به خطاه المسافات كأنها لا تعترف بالممكن والمتاح. وكان المفتاح:

يا رسول الله... هذا أنس، غلام يخدمك!..

يا قلبي الصغير.. أي مجد هذا! أي خلود أن تخرج بسنواتك العشر من حجري إلى ملازمة سيد رجال الكون... إلى حيث ينتهي أبعد أشواط الهمة والطموح... إلى حيث يجدر بأم مسلمة أن توصل ابنها! ■

أجمل الأوقات

شيخموس العلي - سورية

أجمل الأوقات عندي
حينما أرتاح وحدي
بين أولادي وأهلي
وطموحاتي و زهدي
وقراءاتي وجدِّي
و انكساراتي ومدِّي
و انعزال وهدوء
لا أقاضيه بنقدِ
كل من قابلت قالوا :
من ذوي الألباب عندي
إنَّ قتلَ الوقت في الأسـ
ـواق ؛ أمر غير مجدِ
فاتق الرحمن و افهم
- يا أخا الإيمان - قصدي
وانأ عنها تتحرَّرْ
سالما من كل قيدِ

التحيزات اللاهوتية للنقد الغربي: النقد الشّكلاني نموذجا

د. علي صديقي* - المغرب

ينفي كثير من النقاد العرب المعاصرين وجود أي صلة بين المناهج النقدية الغربية بمضامينها الفلسفية، ومرجعيتها الحلولية المادية العَلمانية الكامنة وراءها. ويؤكدون، بالمقابل، أنها «كونية»، و«موضوعية»، و«إرث إنساني مشترك» لا ينبغي أن نتردد في استيرادها وتوظيفها في دراساتنا.

أما نفي هؤلاء النقاد صلة هذه المناهج بالعقائد اللاهوتية - البروتستانتية المسيحية والقبَّالية اليهودية- فهو -بدون شك- أشد وأقوى، رغم الدراسات النقدية الغربية والعربية التي تناولت هذا الموضوع، وتحدثت عن الجذور الدينية -المسيحية واليهودية- لكثير من مناهج النقد الغربي الحديث؛ وأذكر هنا على الخصوص دراسات كل من سوزان هاندلمان Susan A. Handelman [١]، ودافيد باكان David Bakan[٢]، وهارولد بلوم Harold Bloom[٣]، في الغرب. وصبري جرجس[٤]، وعبد الوهاب المسيري [٥]، وسعد البازعي [٦]، في العالم العربي الإسلامي. ويمكن أن نضيف إلى هذه الدراسات اعترافات كثير من النقاد الغربيين أنفسهم بصلتهم بتراثهم الديني البروتستانتي المسيحي أو القَبَّالي اليهودي، أمثال هلس ملر، وإدموند جابيس، وجاك دريدا Jacques Derrida؛ حيث يوقع دريدا، الفيلسوف الفرنسي اليهودي، بعض دراساته باسم «الحاخام رضا» (Reb Rida)، أو «الحاخام دريسا» (Reb Dérissa)[٧]. كما صرح في مقابلة له مع الناقد العربي كاظم جهاد قائلا: «أنا يهودي جزائري» [٨]، وقد تحدث سعد البازعي عن اعتراض بعض المثقفين العرب عليه عند إلقائه محاضرة بعنوان: «المكون اليهودي في الثقافة المعاصرة»، وصف

فيها سبينوزا باليهودي. وأساس الاعتراض هو أن هذا الوصف «نوع من التهجم على فيلسوف تجاوز انتماءه إلى اليهود أصلا»، وكأن هذه الإشارة، مجرد الإشارة، إلى يهودية سبينوزا، حسب هؤلاء، تقلل من شأنه، مع أن دراسات كثيرة صدرت في الغرب تربط سبينوزا بخلفيته اليهودية [٩].

وهدف هذه المقالة هو الكشف عن التحيزات الدينية - البروتستانتية المسيحية- للنقد الغربي؛ بالحديث عن أثر منهج تفسير الكتاب المقدس، الذي أرسى معالمه باروخ سبينوزا Baruch Spinoza، في النقد الشكلاني الغربي.

النقد الشّكلاني ومنهج تفسير الكتاب المقدس

ليس المقصود بالنقد الشكلاني هنا نقد الشكلانيين الروس فحسب، وإن كان الشكلانيون يشكلون بلا شك أهم روافد هذا النقد، بل المقصود به مجمل النقد الغربي الذي تشكل منذ بدايات القرن العشرين وإلى حدود يومنا هذا، والمعروف بالنقد «النصي»، أو «المحايث»، والذي سعى نحو دراسة الأدب من الداخل وليس من خارجه.

لقد كان النقد الأدبي قبل ظهور الشكلانيين الروس، بداية القرن العشرين، نقدا خارجيا يعتمد معايير مستمدة من خارج النص الأدبي، ويُعنى بدراسة سيرة المؤلف، ونفسيته، ومحيطه الاجتماعي. وعندما ظهرت الشكلانية، كان من أهم المبادئ التي قررتها، هو وضع العمل الأدبي في مركز الاهتمام، ورفض كل المقاربات الخارجية، حيث أصبح موضوع ما سمي «علم الأدب» ليس هو الأدب، وإنما «الأدبية»، كما عبر عن ذلك أحد أبرز رواد هذه المدرسة رومان جاكبسون. يقول بوريس إيخنباوم: «لقد اعتبرنا، ولا نزال نعتبر كشرط أساسي، أن موضوع العلم الأدبي يجب أن يكون دراسة الخصيصات النوعية للموضوعات الأدبية التي تميزها من كل مادة أخرى، وهذا باستقلال تام عن كون هذه المادة تستطيع بواسطة بعض ملامحها الثانوية، أن تعطي مبررا لاستعمالها في علوم أخرى كموضوع مساعد.

إن رومان جاكبسون... هو الذي أعطى لهذه الفكرة صيغتها النهائية حين قال: إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما «الأدبية» أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا.» ورفض إيخنباوم ما

رومان جاكبسون

نورثروب فراي

سماه «الخلط اللامسؤول» بين العلوم المختلفة؛ مثل السيرة، وعلم النفس، والسياسة، والفلسفة، لدراسة الأدب [١٠].

أما الناقد الكندي البروتستانتي نورثروب فراي Northrop Frye، الذي يعد نقده الأسطوري حلقة وصل بين النقد الجديد والنقد البنيوي، فيذهب إلى أنه من الضروري، لتحقيق استقلالية النقد الأدبي وعِلميته، أن تستنبط

مبادئ النقد وفرضياته من الفن نفسه الذي يتناوله النقد، وليس من أي شيء خارجه، سواء كان لاهوتا أم فلسفة أم سياسة أم علما. يقول فراي: «لابد لبديهيات النقد وفرضياته من أن تنبع من الفن الذي يتناوله. وأول ما على الناقد الأدبي أن يفعله هو أن يقرأ الأدب، أن يقوم باستعراض استقرائي لحقله، وأن يجعل مبادئه النقدية تتشكل من معرفته بذلك الحقل،

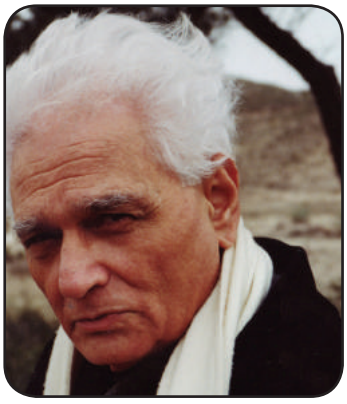

جاك دريدا

سبينوزا

فالمبادئ النقدية لا يمكن أخذها جاهزة من اللاهوت أو الفلسفة أو السياسة أو العلم أو أي مزاوجة بين هذه الحقول»[11].

كما أن هذا المبدأ هو نفسه الذي يقرره جاك دريدا حين يلح على عدم مشروعية تجاوز النص إلى ما هو خارج عنه. يقول دريدا: «... إذا كانت القراءة لا تكتفي بأن تعيد النص وتكرره، فإنها لا تستطيع بصورة مشروعة أن تتعدى النص إلى شيء آخر مختلف عنه، إلى مرجع (واقع ميتافيزيقي، تاريخي، واقع نفسي، بيولوجي.. إلخ.) أو إلى مدلول خارج نص يحدث مضمونه، أو يمكن لمضمونه أن يحدث، خارج اللغة، أي بالمعنى الذي نعطيه هنا لهذه الكلمة، خارج الكتابة بوجه عام. ولهذا السبب فالاعتبارات المنهجية التي نجازف بها هنا من خلال أحد الأمثلة تعتمد بشكل وثيق على قضايا عامة قد بلورناها فيما سبق، وتتعلق بغياب المرجع أو المدلول المتعالي، لا يوجد ما هو خارج النص»[12].

من هنا، يمكن القول: إن الجامع بين مختلف المناهج الشكلية الحداثية وما بعد الحداثية، سواء تعلق الأمر بالشكلانية الروسية، أم بالنقد الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية، أم بالنقد الأسطوري عند فراي، أم بالبنيوية، أم بالتفكيكية، «هو التأكيد على استقلالية الأدب عن غيره من أنواع الخطاب اللغوي، وذلك من خلال العلاقات الشكلية: الرموز، الاستعارات، إلخ. مرجعية الأدب ليست الحياة الاجتماعية أو حركة التاريخ وإنما الأدب نفسه.»[13].

ويربط كثير من الباحثين - العرب والغربيين-[15]. بين هذا النقد ومنهج تفسير الكتاب المقدس الذي أرسى معالمه سبينوزا؛ إذ دعا هذا الفيلسوف إلى دراسة الكتاب المقدس دراسة «علمية» باعتماد معايير مستمدة من داخل النص نفسه، معتمِدا في ذلك على المبدإ البروتستانتي المعروف «الكتاب وحده»، ورفض اللجوء إلى آراء آباء الكنيسة والتراث المسيحي.

وفي هذا السياق، يؤكد سبينوزا أن طريقة سابقيه في قراءة الكتاب المقدس التي اكتفت بمحاولة التوفيق بين تأملات أفلاطون وأرسطو وبين الكتاب المقدس، دون الاستناد إلى أي نظرية، هي التي جعلته يعقد العزم على إعادة فحص هذا الكتاب من جديد، بعيدا عن الأحكام المسبقة، وبحرية كاملة، ووضع «منهج جديد» للتفسير، مستمد من نصوص الكتاب المقدس نفسه. يقول سبينوزا: «لذلك عقدت العزم على أن أعيد

من جديد فحص الكتاب المقدس بلا ادعاء وبحرية ذهنية كاملة، وألا أثبت شيئا من تعاليمه أو أقبل ما لم أتمكن من استخلاصه بوضوح تام منه. وعلى أساس هذه القاعدة الحذرة وضعت لنفسي منهجا لتفسير الكتب المقدسة.» وتتمثل أهمية هذا المنهج عند سبينوزا، في قدرته على تحرير قارئ الكتاب المقدس من كل أحكام اللاهوتيين المسبقة، وجعله يميز بين ما هو «بدعة» من وضع البشر، وبين ما هو «إلهي»[١٦].

ويشبه هذا المنهج، الوحيد والصحيح في نظره، المنهج المتبع في تفسير الظواهر الطبيعية، فهو مثله يقوم على الملاحظة، وجمع المعطيات، والاستنتاج. وفي هذا يقول: «ألخص هذا المنهاج فأقول: إنه لا يختلف في شيء عن المنهج الذي نتبعه في تفسير الطبيعة، بل يتفق معه في جميع جوانبه، فكما أن منهج تفسير الطبيعة يقوم أساسا قبل كل شيء على ملاحظة الطبيعة، وجمع المعطيات اليقينية، ثم الانتهاء منها إلى تعريفات الأشياء الطبيعية، فكذلك يتحتم علينا في تفسير الكتاب أن نحصل على معرفة تاريخية مضبوطة، وبعد الحصول عليها أي على معطيات ومبادئ يقينية، يمكننا أن ننتهي من ذلك إلى استنتاج مشروع لفكر مؤلفي الكتاب»[١٧].

ويستند هذا المنهج إلى ثلاثة مبادئ أساسية، هي: لغة أسفار الكتاب المقدس، وتجميع آيات كل سفر وتصنيفها حسب موضوعات أساسية محدودة، ثم الفحص التاريخي للكتاب. غير أن أهم هذه المبادئ وأولها، هو محاولة فهم «طبيعة وخصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس والتي اعتاد مؤلفوها التحدث بها. وبذلك يمكننا فحص كل المعاني التي يمكن أن يفيدها النص حسب الاستعمال الشائع. ولما كان جميع من قام بالتدوين؛ سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد، عبرانيين، فلا شك أن معرفة اللغة العبرية ضرورية قبل كل شيء، لا لكي نفهم أسفار العهد القديم المكتوبة بهذه اللغة فحسب، بل لكي نفهم أيضا أسفار العهد الجديد. فهذه الأسفار الأخيرة، مع أنها قد انتشرت بلغات أخرى، إلا أنها مملوءة بالتعبيرات العبرية»[١٨].

ويرى سعد البازعي أن هذا المنهج القائم على النقد الداخلي للنصوص قد أثر بشكل كبير في النقد الغربي الحديث لدرجة يصعب معها فهم هذا النقد دون العودة إلى سبينوزا[١٩]. وتتضح خطورة هذا التأثير أكثر إذا علمنا أن سبينوزا

عبدالوهاب المسيري

د. سعد البازعي

–بحسب البازعي– «يدعم اتجاهين متعاكسين تماما، الأول يدعو إلى عقلانية صارمة وعلمية يقينية في تناول الظواهر، ومنها الظاهرة الأدبية، والآخر يدعو إلى موقف شكوكي ونسبي لا يثق بقدرة العقل ولا بمصداقية العلم أو مفهوم الحقيقة نفسه. الاتجاه الأول هو ما نجد في تيارات نقدية حديثة مثل الشكلانية الروسية بأنواعها والبنيوية والتحليل النفسي الفرويدي والماركسية

التقليدية وما يتصل بها من واقعية؛ بينما يتمثل الاتجاه الثاني في تيارات ما بعد بنيوية مثل الذرائعية الجديدة والتاريخانية الجديدة والتقويض والتحليل النفسي اللاكاني وما إليها»[٢٠] ■

الهوامش:

(*) دكتوراه في الأدب العربي الحديث، المغرب.

(١) انظر دراستها الموسومة بـ: قتلة موسى، ظهور التفسير الحاخامي في النظرية الأدبية الحديثة.

TheSlayersOfMoses. TheEmergence - Of Rabbinic Interpretation In Modern Literary Theory; State University of New York Press; .Albany; 1982

(٢) انظر كتابه: فرويد والتراث الصوفي اليهودي، ترجمة وتقديم: طلال عتريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٣) يتضح اهتمام هذا الناقد الأمريكي بالتراث القبالي اليهودي في عدد من كتبه، أبرزها كتابه: القبالاه والنقد الصادر عام ١٩٧٥.

Kabbalah and Criticism. Seabury- .Press. New York. 1975

(٤) صبري جرجس عالم نفس مصري، له دراسة رائدة حول علاقة فرويد بالتراث اليهودي والصهيوني، عنوانها: التراث اليهودي والصهيوني في الفكر الفرويدي، صدرت عن دار عالم الكتب بالقاهرة عام ١٩٧٠. وقد أشار إليها بعض الباحثين، وفي مقدمتهم عبد الوهاب المسيري في: فقه التحيز، ضمن: إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، تحرير: عبد الوهاب المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، سلسلة المنهجية الإسلامية٩، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١٠٣. وطلال عتريسي في كلمته التي افتتح بها ترجمته لكتاب دافيد باكان السابق الذكر، ص١٣. غير أن هذا الباحث أضاف أن جرجس قد استند في دراسته «بشكل أساسي» إلى ما جاء في كتاب باكان.

(٥) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٩٩، مج٥.

(٦) يراجع كتابه: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

(٧) Jacques Derrida: L'écriture et la différence; Edition du seuil. .paris. 1967. p:116 &p:436

(٨) جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨، ص٥٦.

(٩) سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، م.س، ص٢١. وقد أخبرني البازعي في رسالة إلكترونية بتاريخ: ٢٠٠٨/٠٩/٣٠، أن ناقدين عربيين بارزين كانا من بين هؤلاء المثقفين المشار إليهم أعلاه، وأنه قد فوجئ بهما وهما يحتجان على إشارته إلى يهودية سبينوزا. يقول البازعي: «... فوجئت بكليهما يحتج على إشارتي إلى سبينوزا بوصفه يهوديا، مجرد الإشارة إلى يهوديته التي لم ينكرها سبينوزا نفسه من حيث الانتماء الإثني والتي ألفت فيها الكتب الكثيرة وباعتزاز شديد من قبل باحثين يهود... نعم هناك حساسية عربية «ليبرالية/تقدمية» تجاه وصف أي كاتب غربي ذي أصل يهودي بأنه كذلك، حساسية لمستها بعد إلقاء محاضرتي... وفي مناقشات كثيرة بعد ذلك.»

(١٠) بوريس إيخنباوم: نظرية «المنهج الشكلي»، في كتاب: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط/مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص٣٥.

(١١) نورثروب فراي: تشريح النقد، محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، الأردن، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٧.

(١٢) جاك دريدا: في علم الكتابة، ترجمة وتقديم: أنور مغيث، ومنى طلبة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٠٧.

(١٣) سعد البازعي: استقبال الآخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٥٢.

(١٤) من أبرز الباحثين الغربيين كريستوفر نوريس، صاحب كتاب:

(١٥) Spinoza and the Origins of Modern Critical Theory. Basil .Blackwell. Oxford. 1991

(١٥) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩٧، ص١١٧.

(١٦) المرجع السابق، ص٢٤٢.

(١٧) المرجع السابق، ص٢٤٢.

(١٨) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(١٩) سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، م.س، ص١٥٩.

(٢٠) المرجع السابق، ص١٦٠.

أمي

عبدالله الحميد- السعودية

في حضرة الأم ، وأصداء صوتها العذب الحنون يغمر وجداني بالحنان والرقة والعذوبة والروحانية ، عبرت بهذه القصيدة مستشعرا ذلك التدفق الوجداني الأثير.

يميتني صوتُكِ الأشجى، ويحييني ... يا جنّةً من رحيق الحبِّ تسقيني

تشنَّجت في جحيم العجز أوردتي ... وشرَّش الحزنُ في نبضي وتكويني

أناملي ذبلت والصمت شكّلها ... مجامراً بالأسى والبؤس تكويني

أكادُ أهربُ من همِّي ومن سقمي ... فيهرب الدربُ من دربي ويرميني

كأنّني في مفاز البَين زئبقة ... بين السَّراب تراءَتْ لي شياطيني

لا تتركيني بهذا اليمِّ مسغبةً ... للهمِّ. والحزن، والشّكوى تُغشّيني

يا واحة في خريف العمر تهتف بي ... أغصانها ضوَّعت بالماء والطينِ

وشهقة من ركام الموت تنقذني ... وواجفات الضنى واليأس: واسيني

الاختيارات في كتب الأدب العربي*

د. محمد علي حمد الله - سورية

بصراحة صادقة أقول:

ندبت لهذه المحاضرة في زيارتي الطبية للمملكة، فتذكرت تدريسي الجامعي فيها في ستينيات القرن الميلادي السابق، مع أن الذاكرة عليلة الآن، ولم أجد في قعرها من أسماء طلاب كرام سابقين سوى القليل.

منهم د. عبد الله عسيلان، ود. الخنين ود. عبد الفتاح عبد الحفيظ.. فوا خجلي من الباقين.

كما أذكر من الأساتذة الكرام: د. عبد القدوس أبو صالح، ود. عبد الله التركي، ود.محمد الصباغ، والفاضل المعروف عبد الرحمن الباني، وعاصم البيطار، وعبد الفتاح غندور، وعبد العزيز المسند، وعبد الرحمن الدخيل، ومناع القطان، والبرقاويَّين، وغيرهم.

اللهم ربي ارحمنا وارحمهم جميعا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض.. ياكريم.

* محاضرة ألقاها باختصار شديد في مقر الرابطة بالرياض يوم الأربعاء ١٤٣١/١١/٢٦هـ ٢٠١٠/١١/٣م.

أمـا – وقـد نكصت بـي عربة التـاريـخ إلـى وراء فـلا بـد لـي من اهـتبـال فـرصـة سـنـحـت – وفـي السنوح فتوح – لأقـول، بل لأبـوح بمشاعري مرددا:

شكرا للصديق عبد القدوس أبو صالح الزميل القديم الفاضل، على استضافتي هذه بينكم، وشكرا لـه على التكليف، ثـم على تعديل عنوان موضوعي، من (المختارات) إلى (الاختيارات) أي الأعمال التي أنتجت تلك الكتب وغيرها، وشتان بين الاستمطار والمطر، وإن كان الأصل الثلاثي واحدا.

وإن أنـس لا أنـس أنـي إبـان عمله للدكتوراه بتحقيق ديوان ذي الرمة، زرته في بيته هنا بالرياض عام ١٩٦٦ الميلادي فرأيت قطارا من (الطاولات) بسطت عليها ١٥ مخطوطة لديوان ذي الرمة، جمعها من أنحاء العالم، ونضدها على تلك المناضد ليطوف حول قطارها، فيقرأ كل بيت من ذاك الديوان الضخم ١٥ مرة في ١٥مخطوطة، ويسجل على أوراق بيده (فروق النسخ).. الله أكبر.. ماذا أرى ولسان العرب يرصد كل لفظ غريب بدوي ليتمكن من إدراك معاني الأبيات، وصورها البيانية، فشعرت والله كأن جمجمتي ستنفجر، وإلى أيـن يفـر الـرجـل مـن جمجمته؟!

د. عبدالقدوس أبو صالح ود. محمد علي حمد الله في مقر الرابطة بالرياض

صورة تذكارية ما نسيتها ولن..

هـذا هـو العـالـم العـامـل. فهل سامعي الآن وقارئي غدا ألـمَّ بهذه الصورة المرعبة؟؟

وبعـدُ... أتجـاوز هـذه الصورة لأقول:

الكلمة المفتاحية في جلستنا اليوم هي (الاختيار): ما المراد به؟ وما نفعه؟ وكيف يتم؟ وما معاييره؟

أه والانفلات من أي رأي خارجي؟ وهل يختلف هذا الدافع أو الذوق الفردي بين مختار وآخر،حتى سماه النفسانيون: (الفروق الفردية) اصطلاحا عندهم؟

أجل..وهذا ما نراه في أدبنا، أي:

- في اختياراتنا الشعرية وغيرها؟
- في كتب الأمثال للميداني والعسكري والزمخشري وغيرهم؟
- في كتب الأدوات كالجنى الداني والأُزهيَّة ووصف المباني وغيرها؟
- في كتب الفروق للأصمعي والعسكري والبحراني وغيرهم؟
- في كتب المثلثات لابن مالك وقطرب والنعساني وغيرهم؟
- حتى كتب: الشواهد الكبرى وفرائد القلائد وجامع الشواهد ومعجم الشواهد...

إذا قارنا بعضها ببعض نجد زيادة هنا ونقصانا هناك. ونرجح أن (الاختيار) فعل ذلك، وإلا فلماذا نسبوا أبياتا إلى مرجع مسمى عندهم، وأسقطوا أبياتا شواهد وهي في المرجع نفسه؟؟؟

وبعدُ... (التأليف) من (الألفة والتآلف) بين منازل الحي الثقافي، فكيف نسمح إذا بالتنافر والتجافي بين سكانها ثم نقول: ألَّف فلان أو فلانة.. ونحن نقص ما انطوى عليه الكتاب آخر المطاف!! وما الحل إذا ترهل الكتاب فوجب (الاختيار) بترك هذا وإبقاء ذاك؟

الجواب: لاتختصروا قبل أن تتخيروا. وفهمكم كفاية.

وكأني الآن أسمع من يقول: وماذا نفعل إذا بعدت الشقة وعظمت المشقة؟؟

- عندئذ أروي لكم قصة واقعة آملا ألا أخرج بعيدا عن موضوعنا وهو (الاختيار).

أراد الممثل القدير (عبد الوارث عَسَر) أن يؤلف كتيبا مختصرا - مع الوضوح - في (فن الإلقاء المسرحي). والإلقاء المسرحي - كما تعلمون- فن الإنشاد الشعري. فأضاع الرجل زمنا طويلا بين كتب علم النفس يقرأ فيها عن أساليب (التأثير) العاطفي في الآخرين، ولكنه أخيرا نجح وحدد

عبدالوارث عسر

ما لم يحدده أحد قبله بمثل إصراره وصرامته؛ وذلك حين قال: الشعور العاطفي اثنا عشر نوعا بالتحديد». وسردها في الخاتمة حتى قلت في نفسي: ليتني قرأته من الآخر إلى الأول حتى إن صارت كلمة (شِعْر): (رَعْش). وما أحوج الشعر إلى الارتعاش والاهتزاز طربا. أوليس الشعر من الشعور؟! كما قال ابن قتيبة؟؟!! وهل ما بين الكلمتين غير جسر معلق بين قلبين: قلب الشاعر وقلب عبد الوارث عَسَر، أعني الممثل؟! وهل نخطئ إذا قلنا: كل من الرجلين (الشاعر والممثل) تتحدد قدرته الفنية بالمقدار الذي يتركه بالآخرين، وإثارة إعجابهم هي المطلوبة.

عفوا قارئي الكرام، أردتها محاضرة أدبية بحسب الطلب فجاءت نقدية أدبية فنية تحليلية، فهل الزيادة في الخير إلا خير..! لهذا أقول:

أورد كل من أبي تمام والبحتري أبياتا في الحماسة، ولم يطابق اختيار أحدهما الآخر، مع أن الفنَّ واحد، والغرضَ واحد، والعصرَ واحد، فلماذا (كان الذي كان) من غياب التطابق بينهما في الشعر الحماسي؟

ترى هل تجنب البحتري ذلك متعمدا؟

ج: ممكن، دعوني أزاحمكم في الإجابة لأقول:

(القصة) ليست (قضية) - وإن تقاربتا في الصورة لا الصوت - لأن (القضية) قد تنتهي في ظل فقرة واحدة من قانون القضاء في المحاكم، بعنت محمول -في حين أن (قصة الاختيار) تحتاج إلى الفقرات (الاثنتي عشرة) التي نص عليها (عبد الوارث عسر) في (قبضة)

كتابه اللطيف (فن الإلقاء). وما أقرب صورة (قبضة) من صورتي (قضية) و(قصة) السابقتين!.

إذن.. المشابهة لا تعني المطابقة، ولا المقاربة أحيانا، فلا تكون ذريعة.

آمنا حتى الآن وصدقنا أن الأدب ظاهرة جذورها نفسية خاصة، يطببها – إذا مرضتْ: النقد الأدبي.

أجل.. (النقد)، ولن أقول (البلاغة) لأني لست كمن ضاعوا بينهما، أو خلطوا دِبْساً بلبن.

فالبلاغة تعلمنا أساليبها المشهورة.

والنقد يلاحق تلك الأساليب وغيرها ليتحقق من أداء واجبها معنى ولفظا.

وبعبارة أخرى: البلاغة تحقق المأمول من النص معنى ولفظا. والنقد يتحرى ذلك المأمول؛ أتُراه تحقق أم خابت آمال الكاتب فيه؟

وبعبارة ثالثة: الفرقُ بين البلاغة والنقد الفرقُ بين (ما يحسن أن يكون) من جهة، و(ما هو كائن حقا) من جهة أخرى.

أو لنقل: هما (المنطق والفلسفة) أو كـ (علم النفس) و(التحليل النفسي).

هذا، وقد عزفت عن استهلال أمثلة تطبيقية للاختيار، أو للموفق وغير الموفق، لأنه (الثقافة) و(النزعة الفردية في الأذواق) تحول دون اتفاق النقاد جميعا على حكم قضائي، بعضه بالريشة الخضراء اتفاقا، وبعضه بالريشة الحمراء تحظيرا. وفي هذا تذكير وتأكيد لما أسلفناه في التفريق بين النقد والبلاغة.

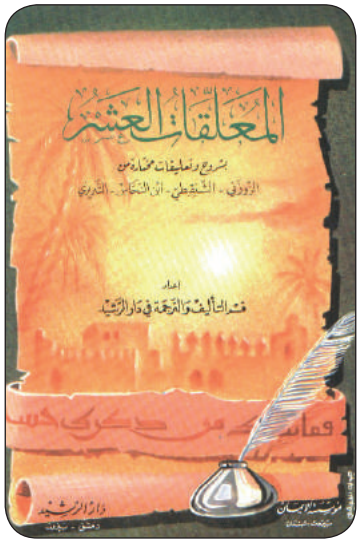

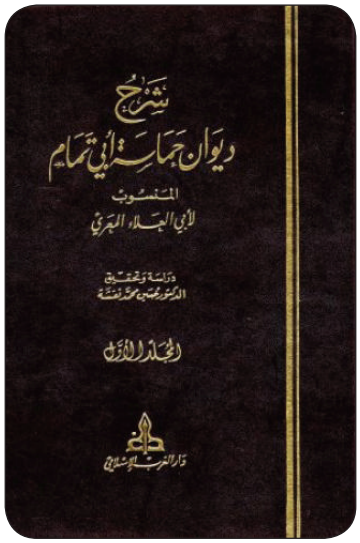

أما (القاسم المشترك) فلا ندعو إليه هنا لأن البلاغة سابقة، والنقد لاحق بالضرورة، وما كان لعربة أن تجر حصانها إلا إلى الوادي!!! إذن لا قاسم هنا ولا اشتراك.

وبعد: نرجع مرة أخرى إلى موضوع الاختيار لكي نقول: هل كانت (مدرسة عبيد الشعر) واحدة من ثمرات (الاختيار) الشعري؟

أنا أقول: هذا ممكن، ولكن إلى حد ما.

فيقول قائل: إذن؛ لماذا اقتصر القدماء ثم طه حسين على ذكر أربعة أو خمسة منهم فقط؟

أقول: الكمال لله، وليظهر من المدارس سادة أو عبيد؛ فليس في هذا ذم ولا مديح؛ إذ ليس للمشهد الشعري على مسرح الأدب، ولا لشعراء التنقيح في عصر من العصور أن يرتدوا – كالشرطة مثلا – لباسا موحدا، ولا يمكن لأي شاعر أن يكون شعره كله منقحا، واللوم هنا – في رأينا – موجه إلى (النقاد) الذين لم يتتبعوا أخبار هذه المدرسة، بل سموا التنقيح (تكلفا وتصنعا) وأسبلوا الستارة!!

وها هو ذا ابن رشيق يقول في (العمدة): الشعر ثلاث طبقات: (صنعة وتصنيع وتصنُّع). وهي النظرية القديمة التي نال بها

شوقي ضيف درجة الدكتوراه بعد تسعة قرون من ابن رشيق صاحب النظرية المسروقة. وقبل الانتهاء من حديثنا عن (مدرسة تنقيح الشعر) و(اختيار) اللفظ والصورة والبحر الشعري... إلخ، أذكر لهواة (البحث والدراسة من بعدي)، أني أرشح لمدرسة التنقيح هذه أربعة وثلاثين شاعرا قديما اعترفوا في شعرهم نفسه أنهم نقحوا... وأسأل الله أن يعين على نشر ذلك، ولو في مقالة. ودعاء الناس نافع إن شاء الله في (مئة وثمانية مشروعات) هي عندي، ولكن العمر ثلاثة وثمانون.

(الاختيار) طريقة أو شكل من التأليف:

(الاختيار) طريقة أو شكل من التأليف، له غاياته النافعة جدا في ساحات كثيرة، حتى في ساحة (الشعر ونقده). أي هو اختيار في الشكل والمضمون الشعريين معا، وهو السابق الأقدم في اللغة العربية. ولأنه الأقدم جاء معتمدا على ثلاثة فقط: صوت الكلمة، ووقعها، ومعناها.

ولكن المتقدم البشري العام أوجد مع الزمن اختيارات أخرى؛ كان يختار المؤلف (عِلْما)، لا فنا شعريا، أو (شريحة) من الناس – ككتب التراجم – أو (جانبا) من حياة الناس (تاريخا وبلدانا ومعتقدا وفنونا وغير ذلك)، نسأل الله حسن الاختيار في مطالبنا.

إذن.. الاختيار باق على قدم وساق، سواء أكان من (الشعر وأغراضه [1] أم من غيره وغيرها، ومن العربية أم من غيرها، ومن علم محدد أم من غيره، ومن عصر محدد أم من زمن مفتوح... إلخ

بداية الاختيار في الأدب العربي:

نبدأ مع بداية الاختيار في الأدب العربي لنقول:

غني عن البيان أن أقدم الاختيارات الشعرية وأشهرها هي: المعلقات – وهي بداية الاختيار – ثم المفضليات، ثم الأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب، ومنتهى الطلب، وهو كتاب كبير في ستة أجزاء – جمعه ابن ميمون البغدادي.

وقلنا عن المعلقات: إنها بداية تيارات الاختيار؛ لأن الذي في يقيننا أن الموازنة بين معلقة زهير ومعلقة طرفة مثلا مطلب يعوزه المزيد من العدالة والرضا، رغم ثبوت كونهما من القصائد الأربع التي ثبت تعليقها بأستار الكعبة كما جاء في خبر عن عبد الملك بن مروان، وليستا محل اختلاف في التعليق وعدمه كمعلقتي النابغة وعنترة.

فإن قيل: إن الموازنة بين زهير وطرفة صحيحة سائغة لأن كليهما جاهلي كباقي المعلقات،

قلنا: أليس الموازنة بين الرمح والسيف مثل ذلك العوز إلى العدالة والرضا؟ سبحان الله... لابد من الاختلاف في كل مشابهة.

بعد ذلك. اتجه (الاختيار) إلى (غرض) شعري معين هو (الحماسة). وكان أبو تمام رائد هذا النوع، وتبعه البحتري، ومن بعده حماسات أخرى كحماسة ابن المرزُبان، والجراويّ، والبيّاسيّ المغربي، وغيرهم.

أما (غرض الغزل) فمثاله كتاب (الزهرة)، والغزل يذكر بالنساء، والنساء يذكرنني بكتاب (المستطرف من أخبار الجواري) للسيوطي، وهوكتاب مختارات أيضا، لها عطرها الخاص، عند بعض

الخواص. لذلك نفر منه إلى كتاب (شاعرات العرب) وهو للمكتبة الأهلية بصيداء لبنان.

توسيع دائرة الاختيار

هنا، نوسع دائرة (الاختيار) لنقول:

نظر القدماء في حكم كليلة ودمنة فأعجبتهم، فشقوا عباب الشعر العربي القديم، جمعا لما يضاهي تلك الحكم – وكأنه رد على الشعوبية – وصنعوا مما اختاروه من هذا وتلك، كتابا شعريا نادرا في بابه، سموه (مضاهاة كليلة ودمنة)، يضم البيت الشعري العربي، مقرونا بحكمة من (كليلة) جاءت في معنى ذلك الشعر، فضلا عن أن بعض المتأخرين جدا نظم حكايات كليلة ودمنة شعرا. ومن هؤلاء (عثمان جلال) الذي نشر سنة ١٩٠٨م: (نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة). فظهر بعده من نظم ألفاظا نثرية (مختارة).

وليتني – وأنا بعيد جدا عن مكتبتي بدمشق – أتذكر أمثلة لكل ما تقدم.

نقرأ ونقرأ ونقرأ.. ولا تغيب (صوى) الطريق الطويل (أي اللافتات الكيلو مترية) عن الأبصار.

أجل.. لقد طال حديثنا عن (الاختيار) ولسوف يطول. .. لماذا؟؟ لأن الشاعر يختار ثم ينظم، والمؤلف يختار ثم يكتب، فإن لم يحسنا الاختيار فلن يحسنا نظما ولا تأليفا. وعندئذ قد يستديران فيقرآن الصوى على الجانب العائد من الطريق فيصبح الكاتب كابتا، والشاعر راعشا... ولنا هنا سؤال:

ما الذي قد يجعل اختياراتنا حسنة لا نحسة؟؟

ج- الأسباب كثيرة. منها: الثقافة المختزنة عموديا – أي بعمق – وأفقيا – أي باتساع – إذ كلنا نعترف – على سبيل المثال – بثقافة الجاحظ، والثعالبي . وكلنا نعترف بثقافة ابن زيدون في رسالتيه الرائعتين، وكلنا حائرون بشأن العتّابي.. أشعره أعلى أم نثره؟؟ وهل اختيار تفاحة من شجرة في الجنة، كاختيار تفاحة من شجرة ما، في قرية ما؟؟؟

(ضعف الطالب والمطلوب) فاهتزت عظام (الاختيار الصعب) في الحالتين... ضعت وضاع الصواب مني، فقال بعض صحبي: (مَهْ.. فليس مع الصواب حيرة). فأجبته: (بل.. ليس مع الحيرة صواب)!

أنواع الاختيار في التأليف

وبعد: فمن أنواع (الاختيار) في التأليف أن يتناول الكتابُ المؤلف عصر مؤلِّفه أو قطره أو الظرفين معا (زمانا ومكانا)، ويسقط ما هو غير ذلك. والمثال هنا يتيمة الدهر، وهو أشهر نظائره، لأن الثعالبيَّ أوسعهم ثقافة وحسن اختيار مع خطة حميدة وأسلوب محبب ومضمون غني.

ومن الكتب الشبيهة به: الخريدة، والسلافة، والدمية....

ومن مزايا هذه السلسلة: أنها ليست تراجم وأخبارا فحسب، بل فيها الكثير من الشعر والنثر مع تعليقات نقدية أحيانا.

هذا، ولا غضاضة – عندنا – أن نسمي هذه الفترة (فترة كتب شعراء العصر) أو سلسلة (شعراء العصر) رغم أنه في الوقت نفسه فترة (كتب الأمالي). مع ملاحظة أن الأمالي أميل إلى الجدِّية العلمية الصادقة منها إلى (فنية الشعر) و(أدبية النثر).

من هذه الأمالي: أمالي القالي، والفارسي، والمرزوقي، والشجري، وابن الحاجب، والمرتضى... و(ابن ابن زيدون) ولم يطبع.

هذا، ووصفنا للأمالي – قبل أسطر –بغلبة الجدية عليها لا يمنع أن تكون أمالي القالي مثلا أغنى في الشعر واللغة، وأمالي ابن الحاجب أغنى في النحو القرآني. والمهم في هذا البحث أن كل أولئك قام على (الاختيار البارع) في جمع مادة الكتاب.

والآن... ماذا على الضفة الأخرى المقابلة لـ (كتب الأمالي) وجديتها؟

طرحنا السؤال فردت الأسمار وسمارها قائلة:

نحن هنا... نروح عن الأنفس سأمها وكلالها ساعة بعد ساعة، بعيدا عن الفحش والصفاقة، وذلك في أشباه كتاب (مسامرة الندمان)، و(زهر الآداب)، و(ثمرات الأوراق)، و(فاكهة الخلفاء) لابن عربشاه، و(سُكردان السلطان) لابن أبي حجلة، ومعنى السكردان: (خزانة الشراب)!!

ظاهرة أخرى في التأليف

ظاهرة أخرى في التأليف أيضا هي أن القدماء أحيانا كانوا يؤلفون الكتب المطولة لكي يأتي بعدهم من يختصرها، أو يؤلفون (الكتب المختصرة) ليأتي بعدهم من يشرحها.

وفي كلا النوعين من التأليف (اختيار). والناس في كلتا الحالتين (بالخيار)، وأنا بدوري اليوم (مختار) لكثير مما في هذا البحث الذي قدر الله له أن يولد في الغربة، ومن دون مراجع، مع أن البحث يقتضي أن يكون تطبيقيا ليصدق القولُ العملُ.. لكن.. أين أنا من مكتبتي في دمشق!؟. ولهذا أنا الآن مستميح للعذر منكم.

كتب النخبة والنجابة

بعد هذه الفينة القصيرة التي ذكرت فيها كتب السمر التي يغلب الترويح بها عن النفس، حقيق بنا أن نشير إلى نوع، أبطال أخباره عشاق لتراث الأمة يريدون أن يدللوا عليه أو على تنوع موضوعاته. وأستبق الأمور لأقول: من أراد هذا حقا فليرجع إلى (مفتاح السعادة) تأليف (طاش كبري زاده)، أو إلى فهارسه فقط.

في هذا التوجه تطالعنا – فتطالعها – كتب تتحدث عن النخبة، عن ذوي النجابة والتفوق والفوز – رغم العوائق – عن نخبة كلنا نحتفي بأدبها وأدبائها نحو كتاب (الأذكياء) وما شاكله وهو كثير...

حتى كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن ظفر الصقلي، رغم قلة نظائره، لأن علم التاريخ قلَّ ما أفرد كتابا عن الناشئين، مع أنه عرج على ذكر طفولة بعض العظماء، ولكن في كتب الكبار.

هذا عن الذين تميزوا فامتازوا بصفات خلقية حميدة فيهم. أما الذين تميزوا عن غيرهم بنعوت خلقية لا ترفع ولا تخفض أحدا فهم أصحاب العاهات كالعميان والعوران والحولان والأعشَيْن والأعمش والأخافشة والأكشف والأفلح والأصلم والأشرم والأجدع والأشتر والخرسان والبرصان والسودان والأقطع ومقطوع اليد أو الرجل والعرجان (كالحجاج والزمخشري) والمفلوكين أي أصحاب الطالع التعس نحو(كتاب الفلاكة والمفلوكين وهو للدلجي). وما ذكرت هذه الأوصاف إلا لتشجيع شباب اليوم أن يؤلفوا لهم أو عنهم كتيبات. وأنا أعلم أن هذا العمل يقتضي منهم مطالعات طويلة. وكفى

بالمطالعة مفيدا، فإن تهيبوا ذلك فالبديل هو العمل الجماعي في لجان صغيرة.

أما بعد: فالعلوم لدى كل مثقف ليست سواء في تعويلها (على الفهم) أكثر، أو (على الحفظ) أكثر.

وقد عرف القدماء هذه الحقيقة، وعرفوا أن (الوزن) الشعري و(وقعه) في الأذن – رغم اختلاف بحر عن بحر – يساعدان على الحفظ، فنظموا أساسيات بعض العلوم الدقيقة، ولاسيما الحفظية كأوزان منتهى الجموع..

ثم ظهرت (الألفيّات) نحوا وصرفا وغيرهما.

و(القراءات القرآنية) كالشاطبية في الأندلس، و(مثلثات العرب) اللغوية كما فعل قطرب، وابن مالك في (الإعلام بمثلث الكلام، والنعساني في (نيل الأدب بمثلثات العرب) وهي الألفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركة فائها أو عينها... فضلا عما في

مجموعة (مهمات المتون) في علوم اللغة وعلوم أخرى...

وهذا أيضا ضرب من التأليف. وفيه خير.

أخيرا: معذرة ثم معذرة عن إطالتي في هذا البحث الذي ما كتبته إلا لأسهل على باحثينا وكتابنا، ومؤلفينا ومحاضرينا (مشقة الاختيار) لما يبحثون فيه ويكتبون ويؤلفون ويحاضرون.. عسى أن ننجو من تشابه ما ينشر اليوم من الموضوعات.

أكرر فأقول: كتبت هذا البحث المفتوح للجميع، وكلي أمل أن ينفتح به أكثر من فريق، وأذكر منهم هنا:

- فريقا يبحث عن موضوع (جديد) يصنع منه بحثا لدبلوم أو ماجستير أو دكتوراه دراسة وتحقيقا.
- وفريقا عزم على تكوين مكتبة منزلية.
- وفريقا يفكر باختيار كتاب يهديه إلى عزيز.
- وناشرا يريد أن يسد فراغا في الأنواع الأدبية واللغوية المطبوعة.
- ومحاضرا يحرص ألا يشد الناس إلى ما سئموه.

(وعلى الله قصد السبيل)

ختاما:

أعلنت (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) أنها قررت منح صاحب هذه المقالة – قبل تأليفها – لقب: (عض وشرف) في الرابطة.

فقال: «هذا فضل لا يدانيه فضل في عالم الأقلام» ■

همهمة قلب

انتصار اليحيى - السعودية

سأبحث في زوايا الكُنه عني ... وأصمت كي أَلُمَّ شتات روحي
جميلٌ أن أصوغَ مسارَ عمرٍ ... وأجملُ أن يُحققني طموحي
سأصبرُ إن بعد العسر يسرا ... وعند الله ما يشفي جروحي
فخلِّص رقَّ روحك من عقالٍ ... وأطلق للعنانِ مدى النزوحِ
ستُبصرُ إن فررتَ إلى إلهي ... معينَ السعدِ في الأُفقِ الفسيحِ

وعرفت السبب..!!

د. عبدالله بن صالح العريني

الدموع تطل من محاجر عيونهم، وأنا لا أستطيع أن أتحمل هذا المنظر..، هم يريدون أن أشتريه..!! وأنا لا أملك النقود الكافية،.. وراتبي المتواضع لا يحقق الحد الأدنى من الحاجات..، فكيف لي أن اشتري خروفا للأضحية؟؟ وثمنه يساوي نصف راتبي..!! وكم سيكون راتب (ساع) في دائرة حكومية؟!

أم العيال - سامحها الله - تعرف الحال، وتعرف (البير وغطاه) ومع ذلك وقفت في صفهم.. هكذا هن النساء!! فأصبحت تساعدهم في إقناعي لأشتري الأضحية، وتترجى، وتلح مثلما يترجون ويلحون، وتزيد عليهم أنها تبين لي فضل الأضحية، والأجر العظيم في دمها وكل شعرة من شعرها.. سبحان الله!! وهل أنا بحاجة لمن تخبرني بفضلها وأجرها..؟؟

آه.. لو كنت أمتلك المال اللازم لما أحوجتهم إلى هذا الترجي والاستعطاف الذي يلين القلب القاسي.

ملابس العيد يلبسونها.. آه.. لو علموا كم تعبت.. وتعبت من أجل أن أشتريها لهم..!!

وحلوى العيد هي الأخرى اشتريتها وأنا أترحم على كل ريال دفعته من أجلها.. لأنها مهما كانت فهي حلوى..!! مجرد حلوى.. وعندنا حاجات ضرورية أهم منها..

طلبهم ما زال مستمرا.. والإلحاح ما زال متواصلا.. ماذا أفعل يا ربي!!

وانتقل أولادي وزوجتي إلى مرحلة الصياح والبكاء، فلم أعد أحتمل.. قلت في نفسي: إلا هذه الدموع..!! وإلا هذا البكاء.. فهو نقطة ضعفي.. أنا مثل أي أب في هذه الدنيا لا يحتمل منظر أولاده يبكون!!

وواصلت أم العيال إلحاحها وكانت تردد:

- تستطيع أن تتدبر قيمة الخروف لو أردت..!! والأضحية لا تكون إلا مرة في السنة!! فتجمل معنا، الله يجزيك عنا كل خير.

أحسست أنها تقول: إنك بخيل!! وللحق فهي لم تقل ذلك صراحة، لكن مضمون كلامها يدل على هذه التهمة التي أنا بريء منها.. ولماذا لا تقول: إنك بخيل وتخلصنا؟؟ وتذكرت المثل الذي يقول: «المرأة والطفل الصغير يحسبون الرجل على كل شيء قدير!! فترحمت على قائل هذا المثل، ودعوت الله تعالى أن يسقي قبره شآبيب رحمته.

قلت لزوجتي وأولادي: لا تظنوا بي ظن السوء.. لا تظنوا أني لا أشتري لكم الأضحية بخلا بي.. لكن صدقوني أنا لا أجد والله ثمنها. والله يعلم الحال والمشتكى.

لكن كلامي لم يزدهم إلا تصلبا في الرأي، هكذا هم وأمهم إذا وضعوا في رؤوسهم شيئا فلن يقبلوا بالتخلي عنه.. وأنا لا أتحمل منظر العيون الباكية.. والشهقات المتواصلة.. والبكاء المكتوم.. هذه الأشياء تجعلني ضعيفا.. مهزوما.. أمام جيش المشاعر الزاحف باتجاه شخصي الضعيف.

ولأن اعتذاراتي تذهب أدراج الرياح..

ولأن ما أقول لا يجد آذانا واعية..

ولأن أعصابي لا تستطيع أن تتحمل المزيد..

لذا رأيت أن أخرج من منزلي.. وهكذا خرجت دون أن تكون لي وجهة محددة.. كان الخروج بالنسبة لي هدفا بحد ذاته.. ركبت سيارة النقل المتواضعة التي اشتريتها بالتقسيط ولم أسدد كامل قيمتها حتى الآن.

لا أحد يفرج كربتي إلا الله.. فهو الذي يملك مساعدتي في هذه الأزمة.. قلت:

- يا إلهي.. أنت أعلم بحالي.. وأنا ما حبست عنهم شيئا.. وكيف أبخل على أولادي في شيء أنا أعلم منهم بفضله وضرورته؟! لو وجدت إليه سبيلا!! كيف أرضى أن يحرم أبنائي من لحم الضأن الشهي، وجيراننا عن اليمين والشمال يذبحون الآن أضاحيهم، ودماؤها تخرج من منازلهم..!!

وسرت قليلا في الشارع الرئيسي بالمدينة المنورة، وفجأة ومضت فكرة في عقلي.. لم لا أذهب باتجاه المسجد النبوي الشريف.. هذه البقعة المضيئة على سطح الأرض.. راودتني فكرة أن أدعو الله وألح في الدعاء وأن أبكي بين يديه.. لقد كنت عصي الدمع أمام أبنائي وزوجتي، أتظاهر بالتجلد والتماسك، لكن الأمر يختلف بين يدي الله، فكل الخلق بين يديه أضعف الضعفاء.. وهو وحده تعالى يملك إعطائي ما أريد، وعنده خزائن السماوات والأرض، ويداه مبسوطتان لا تغيضهما النفقة، وأنا بحاجة إلى خروف العيد، وأعجبتني الفكرة.. وانشرح صدري لها.. ففاضت بالسكينة نفسي.. شعرت أنني أنا المقصر حين لا أضع حاجاتي بين يدي أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين..

حين وصلت المنطقة المركزية المحيطة بالحرم الشريف، أوقفت سيارتي في مواقف المسجد النبوي.. وذهبت، فتوضأت.. أحسست بنشاط.. شعرت بارتعاش لذيذ من برودة الماء والجو.

وحين انضممت إلى جموع المصلين.. شعرت بأطياف الملائكة تشهد الصلاة معنا، وتستغفر لنا، وتؤمن على دعائنا.. صورة زوجتي وأبنائي لم تبرح مخيلتي:

ترى أما زالوا يواصلون البكاء؟!

أما زالوا يطعمون في أضحية، ينعمون بلحمها وشحمها كما ينعم الجيران من حولهم؟!

بدا لي خروف العيد شيئا كبيرا.. ملأ نفسي.. وخيالي.. ومشاعري وأصبح هو سؤالي، ورجائي، وهو كل دعائي.. لم أعد أفكر إلا فيه، ولا أسأل إلا عنه، ولا أطلب شيئا غيره.

بعد الصلاة.. ركبت سيارتي، وخرجت من المنطقة المركزية حول

الحرم إلى شارع متفرع ثم إلى شارع رئيس.. عند الإشارة كانت بجانبي سيارة صغيرة من النوع الياباني، في مقدمتها السائق وامرأة بجانبه. أشار لي السائق بيده. عرفت من إشارته أنه سيقف ويريد أن أقف خلفه في أول فرصة.. تركته يتقدمني وأنا خلفه.. ثم حصل ما توقعته، فقد وقف غير بعيد، فوقفت خلفه.. نزل من سيارته وجاء إليَّ وأنا ما زلت في سيارتي.. فقال بدون مقدمات:

- أتريد لحما؟؟

رددت بلهفة:

- نعم..!!

لم يدعني أكمل حديثي.. سارع إلى صندوق سيارته ففتحه وقال:

- خذ..!!

ونظرت فتملكتني الدهشة..! خروف كامل مذبوح وملفوف بقماش أبيض نظيف..!! لم أصدق ما أرى.. لبثت برهة لا أدري أأنا في حلم أم في حقيقة؟ ومددت يدي بارتعاش نحو الخروف.. رحت أتحسسه بأطراف أصابعي.. وأنا لا أكاد أصدق ما أرى.. وكأنني في حلم.. وجدت الخروف سمينا مكتنزا شحما ولحما.. ساعدني الرجل على حمله ووضعه في سيارتي، وأنا بين مصدق ومكذب.. قلت بتلعثم:

- جزاك الله خيرا.. الله يتقبل منك، ويرحم موتانا وموتاكم وموتى المسلمين.. ويخلف عليك بالبركة.

ردّ بعبارات سريعة، لم أسمع أي واحدة منها، فقد كنت في عالم آخر، ثم ركب سيارته وهمَّ بالتحرك، بل تحركت سيارته بالفعل حركة بسيطة، سار بضعة أمتار فقط، ثم توقف ونزل من السيارة، وجاء باتجاهي، وقال:

- تعال..!! الوالدة تريد أن تكلمك.

حين اقتربت من سيارتهم، وجدت امرأة متدثرة بعباءتها، واضح من جلستها، وهيئتها أنها امرأة كبيرة في السن. هي إذن والدته، قالت:

- يا ولدي.. هل أنت من أهل الزكاة!؟

- نعم يا خالة

- أكيد.!

- أكيد.. والله لدي (كوم) عيال، لا عائل لهم بعد الله إلا أنا.. وأنا مثلما ترين..

- عندي مبلغ من المال هو زكاة.. إن كنت لست من أهلها فلا تظلم نفسك بأخذه.

- بل أنا من أهل الزكاة.. ثقي أنها وقعت موقعها إن شاء الله.

- المبلغ عندي في البيت، فامش خلفنا يا ولدي حتى نصل البيت وأسلمك إياه..

- حاضر.. حاضر.. يا خالة.. الله يجزيك خيرا..

وسرت بسيارتي خلف سيارتهم، قلت في نفسي:

- يـا ســلام..! «فـرجـت وكنت أظنها لا تفرج»، ورحت أتخيل فرحة أبنائي بهذا الذي أحضرته.. سأضع بين أيديهم هذا الخروف كاملا غير منقوص.. ثم أترك لأم العيال أن تقوم بالباقي.. ستوزعه كما تشاء.. تطبخ منه ما تريد وتدخر منه ما تريد.. حسنا.. ستشبعون يا أبنائي لحما وشحما.. لن يكون أبناء الجيران خيرا منكم.. ثم قفزت لذهني صورة النقود التي سوف تعطيني المرأة الكريمة.

ترى كم ستعطيني ألفا.. ألفين.. ثلاثة.. أربعة؟؟ وربما أكثر فلا بد أن زكاتها كبيرة.. وإلا لما بحثت عمن يستحقها، وحلفتني كل تلك الأيمان.. سوف أعود بخروف يراه أفراد عائلتي، ومبلغ كبير من المال سوف أخفيه عن الجميع حتى عن أم العيال، وأجعله للضروريات، وأنفق منه كلما ضاقت بي الدنيا.

سرت بسيارتي خلف سيارتهم تماما وكأنها ملتصقة بها!! لكنني طوال الطريق لم أستطع طرد خيالات كثيرة من عقلي، تلك الخيالات التي جعلتني أسهو وأغفل مرات متعددة فأخرج عن مساري في الطريق، بل كدت أصطدم بسيارة مرت بجانبي. وسمعت أكثر من شخص يقول لي:

- انتبه يا (هوه)!!

- الشارع ليس لك وحدك!!

- اذهب واشبع نوما ثم تعال سق سيارتك الـ (...).!

كنت أنتبه من شرودي ثم أعود لأركز على الطريق.. خلف سيارة الرجل وأمه.. وهكذا.. إشارةً بعد إشارة.. وطريقاً بعد طريق والأحلام تملأ نفسي.. لا أكاد أصدق؟ كيف سيكون شعوري عندما أتسلم المبلغ الكبير الذي وعدتني به المرأة الكريمة..!!

وأفقت من شرودي فجأة.. في منطقة شديدة الازدحام عند إشارات المرور، وصعقت لأن السيارة التي أمامي ليست هي السيارة التي أريد؟؟.. ضاعت سيارتهم في الزحام.. ابتلعتها شوارع المدينة المنورة.. لا بد أنني اختلفت معهم في مكان ما في هذه الطرق المزدحمة فغابت عن ناظري، وغاب معها حلمي الكبير بالمال الوفير..

التفت يمينا وشمالا.. التفت في الاتجاهات كلها، فلم أر لسيارة الرجل ووالدته أي أثر.. عدت إلى المكان الذي قابلتهم فيه أول مرة، وسرت في كل الطرق التي تبعتهم فيها.. ولكن لا فائدة؟! كأنما الأرض انشقت واحتوتهم!! تمنيت لو عرفت رقم هاتف الرجل، أو رقم جواله.. أو شيئا يدلني على منزله لأذهب إليه، ولكن لا شيء من ذلك أبدا.. فكما ظهر أمامي فجأة،، ها هو ذا يغيب عني فجأة.

وعندما يئست من العثور عليهم.. عدت إلى منزلي، ومعي الخروف المذبوح.. كنت نصف فرح ونصف حزين..!! ربحت خروف الأضحية الذي تمنيت، وخسرت مبلغا كبيرا كنت على وشك امتلاكه.

دفعت الخروف الشهي إلى أبنائي وزوجتي، فتعالت صيحات الفرح وأشرقت وجوههم بالبشر والسرور.. أما أنا فلم أستطع أبدا أن أنسى الفرصة السانحة للحصول على مال وفير.. تلك الفرصة التي تحولت إلى غصة كلما ذكرتها.

وفي غمرة فرحي وحزني وتساؤلاتي كيف ضاعت عليّ الفرصة؟؟

هل يمكن أن أرى ذلك الرجل ووالدته مرة أخرى؟

ومضت في خاطري فكرة..

وكأنما وضعت يدي على السبب الحقيقي، فقد تأكدت أنني لن أجدهم أبدا!! وأنني لن أحصل على النقود التي وعدتني بها المرأة. لم أعد أشك في أنني عرفت السبب في فوات ذلك الخير عليّ.. نعم أنا السبب، وأنا الذي بخلت على نفسي يوم لم أطلب ممن يملك خزائن السماوات والأرض سبحانه، لم أطلب من فضله العظيم.. لم أطلب منه إلا خروفا.. خروفا فقط فأعطاني ما طلبت!! ■

قبسات... من أدب الدكتور راشد المبارك

الأدب ما تأخذ به نفسك من محمود الخصال، وكريم الفعال، وهو – كذلك – فن القول الجميل: شعرا كان أم نثرا. فالأدب – بهذا النظر – أدبان، ومن كليهما أخذ الدكتور راشد المبارك حظا وافرا.

أما أدب النفس فلا يعرفه في أديبنا إلا من عاشره عن قرب وطالت عشرته له، وأنا واحد من هؤلاء؛ إذ جاورت صحبتي له ثلاثين سنة رأيته فيها في: غضبه ورضاه، وصحته وسقمه، ومنشطه ومكرهه! فوجدت فيه مجموعة من المزايا هو فيها نسيج وحده؛ ولا يملك من عرفه حق المعرفة إلا أن يحله من نفسه مكانة خاصة، سواء وافقه الرأي أم خالفه.

لقد زرع أبو بسام في قلب كل شخص عرفه شجيرة ورد، سقاها: تعهدا وودا، وتفقدا ورفدا.

د. أحمد البراء الأميري – سورية

هذه لمحة عن أدب النفس الذي عز في هذه الأيام وفي سواها، والذي وجدت من حق الوفاء عليَّ أن أقدم به بين يدي حديثي عن أدب القول.

أما أدب القول، الذي هو شعر ونثر؛ فقد تألق بساحتيه شاعرنا حتى ليصدق فيه قول أخينا الشاعر المبدع الدكتور عبد الكريم المشهداني في قصيدته «اليراع المزهر»:

تدفق كما شئت يا شاعرُ
ففيك استوى الناظم الناثرُ
ولِمْ لا يذل عصيُّ الكلا
م وأنت به اللاعب الماهرُ
وتستسلم الشرَّدُ النافرا
ت كما قاد مأسوره الآسرُ
فإمَّا نظمتَ وإما نثرت
فأنت مروِّضها الساحرُ

نثر الدكتور راشد المبارك نوعان: أدبي، وعلمي. أما الأدبي فأضرب عليه مثالين موجزين – وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق – وهما ما كتبه – على البديهة – إهداء لي على كتابه «قراءة في دفاتر مهجورة»

وديوانه الأول « رسالة إلى والدة »:

قال في الأول: أخي أبا عمر: هذه الصفحات صدى استبق - هذه المرة - الصوت الذي بعثه، وهو صوت قلة من الرائين أنت واحد منهم، مع الود والتحية.

وقال في الثاني: الأخ الكريم أبو عمر: خفقات جناح، إذا قدر لها أن تلامس بعض أوتارك فقد وصلت إليك!

وأما ما سميته - تجاوزا - النثر العلمي فهو سائر كتاباته التي تقرؤها في كتبه: هذا الكون ماذا نعرف عنه؟ وفلسفة الكراهية، وشعر نزار بين احتباسين، وقراءة في دفاتر مهجورة، وهو الذي قال في تقديمه شيخنا الكبير محمد الغزالي رحمه الله ما نصه:

«عرفت الدكتور راشد المبارك من سنين، ومنذ عرفته حرصت على صحبته ومجالسته وقراءته، فهو عقل كبير، وخلق رحب، والطريف أنه أستاذ في علوم الكون والحياة، ولكنه مكين في الأدب العربي، خبير بشعره ونثره، ويظهر ذلك في أسلوبه الذي يتضمن عبارات فنية من مصطلحات الفيزياء، والكيمياء، ولعله يظهر قبل ذلك في منطقه العقلي حين يعالج قضايا مختلفة بين الدين والحضارة والتاريخ...».

وقد صدق الشيخ الغزالي - رحمه الله - فالمنطق العقلي لأي كاتب يظهر في أسلوبه؛ ذلك أن الجمل الموجزة البسيطة، غير الجمل الطويلة المركبة، والأفكار الواضحة اليسيرة غير الأفكار الغامضة العسيرة على فهم القراء العاديين.. وأعطي مثالا واحدا على الجمل الطويلة المركبة هو السطور التي قدم بها أديبنا لمقاله: «دعوة إلى قراءة في دفاتر مهجورة»،

قال: «إذا بدا لفرد، أو أفراد، أن في هذا الفصل نبرة حادة، أو تصورا يصدم ما ألفت أنفسنا، من دعة فكر صنعها الإلف الطويل لنمط واحد من التعليل والتحليل، يتكرر في ديمومة وإلحاح فيما يقرأ ويشاهد ويذاع، فليست الحدة ولا الإيلام مقصدا من مقاصد هذا الفصل، ولا غاية من غاياته، ولكنها دعوة للنفس وللآخرين إلى محاولة لفهم بواعث ما يعانيه العالم الإسلامي، والوطن العربي، وتشخيص لسبب ما هو عليه من حال، ليس مظهرا من مظاهر الصحة، ولكنه عرض من أعراض مرض لم تجد قواميس الطب له تعريفا».

أنتقل الآن للحديث عن الشعر الذي يشكل الشطر الأعظم من أدب الدكتور راشد المبارك، والذي ضمه ديوانه:«رسالة إلى ولادة» بجزأيه الأول والثاني، لأقتبس منه بعض القبسات، أمهد لها بالحديث عن مفتاح شخصية الشاعر التي تعيننا على فهم شعره.

كان من عادة الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - عندما كتب (العبقريات) أن يعقد في الحديث عن كل عظيم فصلا بعنوان: «مفتاح شخصيته»، وكان مما قاله وهو يتحدث عن عظمة سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في تعريف هذا المفتاح: «مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها، وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض، فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة، فإذا عالجته بها، فلا حصن ولا أغلاق!».

وأستدرك على العقاد - رحمه الله - فأقول: إن النفس البشرية أغنى وأوسع من أن يفتح أغلاقها مفتاح واحد، بل البيت الصغير لا يفتح أبواب غرفه المتعددة مفتاح واحد، ناهيك عن خزائنه وأدراجه، وأسراره وأستاره، فكيف بالإنسان؟!

لكن هذا الاستدراك لا يمنعني من الاستفادة من الفكرة الذكية للعقاد في حديثنا عن الدكتور راشد المبارك.

إن من أهم مفاتيح شخصية الدكتور راشد المبارك التي تفتح لك أبوابها، وتلقي الضوء على شعره هو حب الجمال في كل وجوهه: في المرأة، والزهرة، واللون، وفي التعبير البارع، والتصوير الدقيق.

ومفتاح آخر لا يقل أهمية عن الأول هو (الإحساس المرهف) بآلام الآخرين ومعاناتهم إحساسا يكدر عليه صفوه، ويشعره بالذنب كأنه المسؤول عن معاناتهم وآلامهم.

إن استحضار هذين المعنيين يعيننا على الغوص في أعماق شعره، غوصا لا يقدر عليه إلا الخبراء في صيد اللآلئ، فشعره ليس للخاصة دائما، بل هو لخاصة الخاصة أحيانا، عندما يمعن في الغوص أو التحليق.

القبسة الأولى: العطش:

إن الطبيعة تجنح إلى الارتواء، لكنك عندما تقرأ «العطش» في شعر أبي بسام تحن إليه، آملا أن تنطفئ نار ظمئك بالسبب الذي أورى نار عطشه؛ وهذا ليس استنتاجا يتعب القارئ في الوصول إليه، بل هو التعريف الذي اختاره الشاعر لديوانه عندما قال عنه: هذه الصفحات هي:

خفقات من جناح عاشقٍ
أيكة تخضل في بوح كنارْ
قطع العمر حنيناً ظامئاً
لندى، ورد إلى ذوب نضارْ
باحثا في عطش، في لهفة
عن ينابيع، وعن ضوء نهارْ
يا حنين الضوء أظمأت الظما
في حشاشاتي، وأبعدت المدارْ

ومع أن الإبحار في هذا التيار كثير الأخطار، فإني أجد أن لابد لي من الإشارة إلى قصيدة (مفاتن) التي يخاطب الشاعر صاحبتها بقوله:

دنيا من الشهوات الحمر صاخبة
تجتاح جسمكِ تغلي في الشرايينِ

ومطلعها:

عيناك تسلب لبي، تستثير دمي
تفجر الرغبة الخرساء، تغريني
تغوي ابتهالات قلبي، تستبد بها
بعاصف من فتون الحسن مجنونِ

وتأتي قصيدة «عطش نهر» ظمأ مختلفاً عن ظمأ «فتون» يغلب فيها ظمأ النفس على ظمأ الحس، تأتي في أربعة عشر بيتاً ختامها هذا التوسل:

صبي بَهاكِ بقلب لا ارتواء له
وأطفئي فيه ما لاقى من الحرقِ

القبسة الثانية: الحس المرهف:

قلنا: إن من مفاتيح شخصية الدكتور راشد المبارك: إحساسه بآلام الضعفاء والمظلومين، وهذه صفة يراها بالعين المجردة كل من رأى صاحبها، ويراها بعين الذوق كل من قرأ شعره.. أليس هو القائل:

أنا نشيج الأسى في صدر من ظُلموا
أنا أنين الشجى في قلب من نُكبوا

والقائل عن نفسه في «وصيته» إنه كان:

يكتوي بالدمع في عين يتيم
لم يداعبه حنان من حميم
فقد الأم التي تحنو عليه
والأب السمح الذي.. يرنو إليه

وإنه كان:

يكتوي بالهم في قلب سجينْ
غاب عن أم وعن طفل سنينْ
نسي الشمس فدنياه ظلامْ
عصرته عضة القيد وقبرُ
وسياط تأكل الجسم وأسرُ
ذنبه: أن لم يكن مغتبطا
بسياط الظلم من حاكمهِ
بفتاوى الجور من صاحب فتوى
يبسط الكف لتقبيل مريدْ
يخفض الرأس لحفنات السلا
طين ومن خوفٍ وعيدْ!!

وإذا كان هذا الإحساس كاوياً من أجل طفل أو سجين، فهو من أجل الأمة: حُرق، وتفجع، وألم وغضب..

جاء في قصيدة «أرض الهوان» التي نظمت بعد قصف الطائرات اليهودية مواقع عربية، دمرت فيها البيوت وقتلت ساكنيها:

توزعتنا الأعادي شلو معركة
شلَّ الخنا في وغاها السيف والقلما
قد أخمد الجور فينا كل نخوتنا
وقد طوى الذل فينا العز والعلما
لو كان للذل يوما من يعلمه
لورثتنا الليالي راية وسما

لكن هذا الهجاء المر المظلم لا يلبث أن يتحول إلى رجاء حلو مشرق:

لن تستقيم على ذل جوانحنا
لليلنا ألف صبح يهزم الظلما
إنا وإياك، والأيام شاهدة
ليعلم الدهر أنَّا أعز حمى

رحم الله أبا ريشة! إذ التاريخ يعيد نفسه، والشاعر بالشاعر يذكر، والجرح بالجرح يذكر، رحم الله أبا ريشة، القائل عام ١٩٤٥م في قصيدته التي ألقيت في ذكرى المولد النبوي الأغر، في الأسبوع الذي أعلن فيه الرئيس روزفلت أن الميثاق الأطلسي، كفيل الحريات الأربع، لا أثر له في الوجود:

ويا نجيعاً على التذكار منسرباً
هل من ضماد يرد الجرح ملتئما
تلك الربوع التي نام الفخار بها
لم تلق من حولها إلا الذي هدما
وللعلوج على أنقاضها سُرر
لو استطاعت لأهوت فوقهم رُجما
وما المواثيق إن فاه القوي بها
ونصب الخَتْل في أقداسها حكما؟!
ما كان أغناه عن تزوير غايته
من يحمل السيف لايبري به قلما!

من جلسات أحدية المبارك في الرياض

◁◁ القبسة الثالثة: براعة التصوير وبراعة التعبير:

إذا كان للشعر العالي ركنان لا ثالث لهما؛ فإن براعة التعبير وبراعة التصوير هما في يقيني هذان الركنان!

أما المقصود ببراعة التصوير فواضح، وأما براعة التعبير فأعني بها: جمال التركيب، وسلاسة اللغة، وعذوبة الأسلوب (التي أسهمت جميعها في صناعة عبقرية البحتري الشعرية حتى قيل عن شعره: إنه كسلاسل الذهب، وأراد أن يشعر فغنى!).

وقبل تجلية هذه القبسة بأمثلة أستحسن أن أورد ما قاله صديقنا الشاعر اليمني المبدع الأستاذ قاسم ابن علي الوزير في تقدمته للجزء الأول من «رسالة إلى ولّادة» وهو يتحدث عن التصوير في شعر الدكتور راشد المبارك:

«والصورة فيه واضحة في عمق، عميقة في وضوح؛ يحول وضوحها دون تحولها إلى ألغاز، ويمنع عمقها السطحية من الاقتراب منه، أو تسلل التقريرية إليه.

«ظلالها ندية موحية. وحرارتها لاذعة ملهمة، وهي تجيء وتروح مع المعاني مانحة إياها أبعادا أعمق، مرتادة بها آفاقا أعلى، فما تزال الدهشة

تهزك متجددة مع كل قراءة، تكشف، خبايا مذخورة من متع «السمع والبصر» وهزة الاكتشاف لأفانين شتى من معاني العاطفة الصادقة التي ما تنفك تتوالد».

ولله درُّ قاسم الوزير في قوله:«من متع السمع والبصر» كيف اختزل صفحتين في كلمتين! فمتع السمع هي ديباجة الشعر، ولغته، وتركيبه، وموسيقاه، ومتع البصر هي الصور التي تتجلى لعين البصيرة النافذة والذائقة المدربة. ولله - كذلك - درُّ من وصف تصويره وتعبيره بهذين الوصفين فكانا حقا وصدقا.

إن أرقى وصف لجمال حسناء بارعة الجمال لا يرقى إلى التملّي من النظر إليها، وكذلك الثناء على الشعر الجميل لا يعدو أن يكون حاجزا بينك وبينه.. فلنتأمل بعض صور شاعرنا المبدع تأملا تسمح به ثواني القراءة المستأنية، ولا توفيه حقه إلى إدامة النظر مثنى وثلاث ورباع:

أفدي العيون التي يلهو بها السهرُ
ويغتلي الشوق فيها، يطفح الضجرُ
تحجر الدمع في آماقها فرقا
من أن يبوح بما في صدرها النظرُ
يا لؤلؤ الحسن، دفق الضوء رنقه
قبل المغيب انسكابُ اللون في الشفقِ
ويا نضارة زهر ماج في مرح
وعودة الرفة الجذلى إلى الحدقِ
نلم كل لذاذات الحياة على
شفاهنا، تلتقي شوقا وتعتذرُ
يحاصر الشوق روحينا فيمزجها
حتى ليتحدُ المنظور والنظرُ!!
إذا ما التقينا صار للصمت ضجةٌ
تصيح لهمس الهدب قد عانق الهُدْبا
يشب هواها والجوى في مفاصلي
لقد زرعت في كل عضو لها قلبا!!

إن شعر الدكتور راشد المبارك غني بالصور، وهي صور متفردة مرسومة بريشة خاصة وأصباغ خاصة، فهو حين يرسم قصائده يغمس ريشته بالمداد، والعطر، وبسلاف من العواطف، والعواصف، وربما يمزجها ببعض الدم فيخرج ذلك اللون العنيد، (كما يقول الأخ الشاعر عصام الغزالي في قصيدته: النزف على الأزرق):

سأغمس ريشتي بدم ولون
فيخرج منهما اللون العنيدا!

هذه لمحة موجزة عن براعة التصوير أتبعها بأخرى عن براعة التعبير:

يعلم كل من عرف الدكتور راشد المبارك إعجابه بالشاعرين الكبيرين بدوي الجبل، وسليمان العيسى، وبمدرسة الرحابنة، وصوت فيروز، وطبيعة لبنان، إعجابا خاصا مضافا إلى إعجابه بكل شعر جميل وأدب وسيم: يحفظه، ويتملاه، وينشده.. وليس بمستغرب أن تظهر ملامح ذلك الإعجاب في شعره، فإذا أردت أن تضع شاعرنا في إحدى قائمتين اثنتين أولاهما تضم: المتنبي، وأبا تمام، والبارودي مثلا، والأخرى تضم: سليمان العيسى، وبدوي الجبل، والأخطل الصغير... فأنت - لاشك - ستضعه في القائمة الثانية لأسباب يكفينا منها في هذا المقام: سلاسة التعبير، وأناقة الألفاظ، وعذوبة اللغة.

استمع إليه مخاطبا الشاعر المهجري الراحل زكي قنصل، وتمتع بعذوبة اللغة، وانسياب اللحن، وحلاوة القافية:

تبرج الروض وافترت مراشفه
عن قبلة عتقت فيها حُمَيّاهُ

ما قيمة النغمات البيض تطلقها
قيثارة الوجد أضناه وأشجاهُ
إن لم يصغها بيان الشعر قافية
بها من الألق القدسي أسناهُ

ثم اقرأ بدوي الجبل:

ليت الذين وهبناهم سرائرنا
في زحمة الخطب أغلوا ما وهبناهُ
ولا وفاء لقلب حين نؤثره
حتى تكون رزايانا رزاياهُ
قد هان حتى سمت عنه ضغينتنا
فما حقدنا عليه، بل رحمناهُ

واقرأ راشد المبارك:

موجع أن يعالج الجرحَ جرحُ
وغليل يطفي لظاك غليلُ
جرح قلبي القديمُ ما زال
مخضرا بأوجاعه التي لا تزولُ
في الثرى من حشاشة القلب أمشاج
وفي القلب دهر حزن طويلُ

ثم اقرأ بدوي الجبل:

لا تسلها فلن تجيب الطلولُ
المغاوير مثخن أو قتيلُ
موحشات يطوف في صمتها
الدهر فللدهر وحشة وذهولُ
غاب عند الثرى أحباء قلبي
فالثرى وحده الحبيب الخليلُ
وسقوني على الفراق دموعي
كيف يروى من الجحيم الغليلُ؟!

وبعد؛ فهذه ثلاث «قبسات» من أدب الدكتور راشد المبارك، ليست دراسة له، ولا محاولة لتحليله والإحاطة بخصائصه. إنها مجرد قبسات تقرأ..

ولسائل أن يسأل: أين تضع الدكتور راشد المبارك بين الشعراء؟ وأقول: الجواب موجود في آخر الجزء الثاني من الديوان الذي يضم ثلاث رسائل شعرية من أبي بسام إلى الشاعر العملاق سليمان العيسى، وجوابين من أبي معن عليها. اقرأ الرسالة والرد وتساءل معي: أليس الشاعران في هذه القبسات فرسي رهان؟

قال أحدهما:

يا ابن الصهيل المستريح على الشذا
زمني بدارك جنة وعبيرُ
قطّرتمُ أغلى الرحيق شمائلا
وشربت حتى اخضوضر التعبيرُ

وقال الآخر:

خمرة تلك التي رقرقتها
أم سناً رقَّ هوى فانبثقا
كلما حدقت في لألائها
خطفت عيني وصارت حدقا

إن لم تعرف من قال ماذا، وقلت: نعم، هما فرسا رهان فقد أجبتك عما تريد!■

توبة قاطع سبيل*

ياقوت الحموي

كان رجل من بني جشم بن بكر يقال له: جحدر، يخيف السبيل بأرض اليمن، وبلغ خبره الحجاج. فأرسل إلى عامله باليمن يشدد عليه في طلبه، فلم يزل يجد في أمره حتى ظفر به، وحمله إلى الحجاج بواسط.

فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: كَلَبُ الزمانِ، وجراءةُ الجَنانِ. فأمر بحبسه، فحبس فحن إلى بلاده، وقال:

لقد صدعَ الفؤادَ وقد شجاني ... بكاءُ حمامتين تجاوباني

تجاوبتا بصوتٍ أعجميٍّ ... على غصنين من غَرَبٍ وبانِ

فأسبلتُ الدموعَ بلا احتشامٍ ... ولم أكُ باللئيم ولا الجبانِ

فقلتُ لصاحبي دعا ملامي ... وكُفّا اللَّومَ عني واعذُراني

أليسَ اللهُ يعلمُ أنَّ قلبي ... يحبُّك أيها البرقُ اليَماني

وأهوى أن أعيدَ إليكَ طَرْفي ... على عُدَواءَ من شُغْلي وشأني

أليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرٍو ... وإيَّانا فذاكَ بنا تَدانِ

بلى، وترى الهلالَ كما أراه ... ويعلوها النهارُ كما علاني

فما بين التفرقِ غيرُ سبعٍ ... بقينَ من المحرَّم أو ثمانِ

ألم ترني غَذَيْتُ أخا حروبٍ ... إذا لم أَجْنِ كنتُ مِجَنَّ جانِ

أيا أخوَيَّ من جُشَم بْنِ بكرٍ ... أقلا اللومَ إن لا تنفعاني

إذا جاوزتُما سعفاتِ حِجْرٍ ... وأوديةَ اليمامةِ فَانْعَياني

لفتيانٍ إذا سمعوا بقتلي ... بكى شبَّانهم وبكى الغواني

وقولا: جَحْدَرٌ أمسى رهيناً ... يحاذرُ وَقْعَ مصقولٍ يماني

ستبكي كلُّ غانيةٍ عليهِ ... وكلُّ مُخضَّبٍ رَخْصِ البَنانِ

وكلُّ فتىً لهُ أدبٌ وحلمٌ ... مَعَدِّيٌّ كريمٌ غيرُ وانِ

فبلغ شعره هذا الحَجّاجَ، فأحضره بين يديه، وقال له: أيُّما أحبُّ إليكَ أن أقتلكَ بالسيفِ أو ألقيكَ للسباع!؟ فقال له: أعطني سيفاً، وألقني للسباعِ!. فأعطاه سيفاً، وألقاه إلى سبُعٍ ضارٍ مجوَّعٍ. فزأر السبُعُ وجاءه، فتلقَّاه بالسيفِ ففلق هامته!. فكرَّمَه الحجاجُ واستتابه، وخلع عليه، وفرض له في العطاء، وجعله من أصحابه.

* معجم البلدان، ياقوت الحموي، المجلد الثاني، ص٢١٠-٢١١، منشورات مكتبة الأسدي، رقم٧، طهران، ط١٩٦٥م.

صيحة الحق

عبدالرحمن البجاوي - مصر

وحدك، لا والد يدعى ولا ولدُ ... ولا صديق ولا أهل ولا بلدُ
ولا طريق ولا نهر ولا شجر ... ولا طيور ولا زاد ولا مددُ
وتسألَ الرملَ: ما للرمل أخرسه ... صمتٌ من الذل واستشرى به الكمدُ
وحوله الجيف الشوهاء كالحة ... والبوم يخطف والحيتان تزدردُ
والأفق غيمانُ لا تبدو بوارقه ... والرعدُ يقصف والديجور يحتشدُ
وتبصر الجبل المزهو في صلف ... يقول: قد ذل تحتي الصخرُ والوتدُ
فمن تنادي، وهل في الحي مستمع ... والسيلُ طاغٍ وكيف الرمل ينعقدُ؟

■ ■ ■

لأنت والسيف صنوانٌ، وها أنذا ... أراك فوق جواد الريح تعتمدُ
إن كنت وحدك فانظر في السماء تجدْ ... زُهر النجوم عن الصبيان تبتعدُ
والشمس ترسلُ من آلائها قبسا ... للناهلين، ويفنى تحتها الزبدُ
لو نام من في رحاب الكون توقظه ... حرارة الأمل النامي فيتقدُ
لكنها النار تشوي كل من فجروا ... عمدا، وما ركعوا للحق أو سجدوا

■ ■ ■

يا ابنَ الحنيفية البيضاء قد خضعت ... لك العصورُ فأنت الصبر والجلدُ
وبين أجدادك الأمجادُ ماثلة ... قوامها العدل والأعداء قد شهدوا
عبرت من (مكة الشماء) مقتدرا ... مثل الأعاصير في الآفاق تطردُ
وسار ركبك في البلدان مفتتحا ... يسوده الحبُّ والإخلاص والرشدُ
كم ذاد عن ملة الإسلام لا وهن ... ولا جمود، ولا يأس، ولا لددُ

■ ■ ■

لا كان من عبدوا الطاغوتَ وارتكسوا ... في غيهم فتهاوى الصَّيد والصيدُ
وإن لي موعدا في الله أطلبهُ ... بالروح ترقى إلى العلياء ترتفدُ
تقول: عدنا إلى الفردوس نشهده ... وترجم الشرك مهما غره أمدُ

■ ■ ■

إنا لنرقب فجر الحق مبتسما ... وملؤه العزمُ والإشراق والرغدُ
وسوف تعلو بساحات الوغى أمم ... يوم اللقاء ويجني الخلدَ من صمدوا
فترتقي أمة الإسلام ناهضة ... بالعلم والمال في الأجيال تتحدُ

■ ■ ■

الرواية التاريخية
جنة الطوارق نموذجا

إدريس اليزامي -المغرب

توطئة:

كثر الحديث في الأعوام الأخيرة عن الرواية التاريخية، والتاريخ والرواية... حتى غدت هوس الجميع، والشغل الشاغل للكتاب والنقاد والمخرجين والمنظمين للمؤتمرات الأدبية.. فانخرط في هذه الموضة الكثير، وتبرم منها آخرون، وكتبوا الرواية المضادة التي تشكك في صدق التاريخ، وتقلل من شأنه بدلا عن الرواية التي تمتح من التاريخ، وتعتمد مادته فتظل رهينة لحقائقه وخصائصه بما في ذلك لغته.. ويصبح المؤرخ ساردا ينطلق من وثائق...

أما الرواية فتنتج تاريخها لبشر عاديين يهملهم التاريخ الرسمي، يعيشون في قاع المجتمع، لا يهتم بهم أحد.. في حي مهجور، يعيشون حياة بسيطة فتقتنص لحظاتهم، وتشيد بها معمار حياة موازية فتضج بالحركة والصخب، فتنتقل من الشفاهي إلى الكتابي... وتنتج ما لا ينتجه التاريخ.

الرواية وما علاقتها بالتاريخ:

الرواية جنس أدبي يعتمد فيه الروائي الخيال لينقل الحياة بإعادة تصويرها بعبارة أخرى عالما موازيا للعالم المعيش مما ينعكس في ذهنه. ويعرفها الناقد د. محمد غنيمي هلال بقوله: «فالرواية كالحياة، معقدة متعددة الجوانب، ممتدة حية المعالم، وقصد المؤلف فيها إلى حكاية الفشل أو النجاح أقل من قصده إلى عرض مناظر، وتحليل شخصيات، ترمي إلى هدف واحد يتصل بحال الإنسان في موقف خاص، وما يحيطه به من بؤس، وما يتوعده من أخطار، وما يمكن أن يواجه به هذه الأخطار بما لديه من وسائل وبما منح من إرادة، ويتكشف هذا كله عن فكرة كبيرة، وهي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معنى»[1].

إذا، فالرواية متصلة بقضايا الناس وآلامهم في إطار فني تتشابك فيه الأحداث، وتنمو لتصل إلى الذروة ثم الحل.

والـروايـة التاريخية قـد يكون موضوعها الحـرب والسياسة والانقلابات والصراعات المريرة على السلطة والنفوذ، أو تعود إلى الماضي لتستمثر أحداثه في قالب فني، معتمدة على الوجدان والأخـلاق. فتكون قيمة الأولى بسيطة غير ذات أهمية كروايات جرجي زيدان.

والروائي ليس مؤرخا، بل فنانا يسعى إلى إيقاظ المشاعر الإنسانية وتحريكها نحو الخير ضد الشر، والشعور بالخجل أمام بؤس الآخر واغترابه.

وتكون الـروايـة دواء للنفوس العليلة، وقد نلمس عند جيل الأربعينيات من كتاب هذه الأمـة هـذه النظرة، فكان التاريخ مطيتهم لـطـرح الأسـئـلـة الـكبرى التي أرقت الأمة عند كل من محمد سعيد العريان وعبد الحميد جودة السحار، وعلي الجارم، وعلي أحمد باكثير، الذي يقول: «لعل اهتمامي بقضايا الأمـة العربية ذو أثـر في ولعي بالتاريخ واستلهامه، على أن هناك أسبابا أخرى منها: أن الفن عموما ينبغي عندي أن يقوم أكثر ما يقوم على الرمز والإيحاء، لا على التعيين والتحديد، فتكون الحقيقة التي يصورها العمل الفني أوسع وأرحب من الحقيقة التي يصورها الواقع».

أحمد توفيق

وأحداث التاريخ تعين الكاتب على بلوغ هذه الغاية أكثر مما تعينه أحداث الجيل المعاصر»[٢].

وقد أنتج باكثير روايـات منها: وإسلاماه، والثائر الأحمر، وسيرة شجاع، وهي ذات حس إسلامي عربي، تصور الصراعات والحركة في الأوطان.

واستدعى الدكتور نجيب الكيلاني التاريخ الإسلامي ليقدم نماذج رائعة لحضارتنا (حوالي أربعين رواية)، منها: نـور الله، وعمر يظهر في القدس، ودم لفطير صهيون، وغيرها. وكتب ست مجموعات قصصية. فأين تتموقع رواية جنة الطوارق[٣].

الرواية بنت التاريخ:

جـاءت روايـة جنة الطوارق لأحمد توفيق؛ لتجسد تجربة لها خصوصيتها اللغوية والفنية ما دامت رواية جديدة.. وقد اشتغلت على سؤال كبير وسعت إلى الإجابة عنه، إنه الهجرة السرية! هذا الباب المشرع نحو العالم المجهول:... الجنة، الجحيم، كما جاء في الرواية...

وهي بذلك تحاول التأريخ لهذا الحـدث الـذي هز المجتمع العربي والمغربي خاصة، نظرا للمآسي والفواجع التي تركها ضياع كثير مـن الشـبـاب في عـرض الـبـحـر، وأدغال الغابات وغياهب السجون هناك! (وراء البحر)..

إنـه تـاريـخ إبـداعـي وإبـداع تـاريـخـي لـشـبـاب مـغـاربـة وهـم يصارعون الموت على ظهر قارب «مـوت» مـن صنع أيـديـهـم... وفي اللحظات العصيبة حين مواجهة طائر الموت المر نجد «سليمان الطالب الجامعي الذي يتماهى مع طارق بن زيـاد الـذي ركب البحر وأحـرق المـراكـب، يمضي نحو تحقيق المـجـد، تحقيق حلم الأمـة، نشر الاسـلام في أوروبـا، بينما طـارق اليوم (المهاجر) لا يتعدى حلمه أرنبة أنفه! تحقيق الحطام: سيارة، منزل، شقراء، ورصيد في البنك... إن وجد إلى ذلك سبيلا[٤]، وتأتي الوثيقة التاريخية (خطبة طارق...) لتشهد على الحياة لا للتزيين وتأثيث النص بديكور براق، بل لتصحيح ما شاب الحدث من تشويه وتحريف، خاصة لدى شبابنا المعاصر الـذي أهمل تاريخه ورمـوزه... إلا أن الحوار

الداخلي كشف فيه الكاتب عن وعي سليمان وسبب تورطه وغيره مثل سعيد بن الغني في هذه المغامرة حين أحدق الخطر بالمركب، وعانق الموت بعينين مفتوحتين... هنا تأتي قمة الألم والانهيار فتهون كل الدنيا أمام لحظة يغالب فيها الإنسان الموت.

ويحاول دفعه بما ملكت يداه من جدوى... هو الاستسلام لقدر الله! ماذا يملك المنهوك غير الاحتماء بالدعاء والفرار إلى الله!؟

ويواصل سليمان سرد قصته بعد أن نجا من الموت بأعجوبة، فوجد نفسه مرميا فوق سرير بالمستشفى، واعتقد نفسه «ميتا حيا» واسترسل يصور ما يدور في نفسه من كمد...

هذه التجربة القاسية أضرمت في صدره نار الحقد على الوطن، وانتقم منه بالزواج من رومية بعد فشله في الزواج من ابنة خاله التي حاولت استغلاله... فأنجب منها أطفالا، واندمج في المجتمع الفرنسي، وغير جلده، وصرم حبل الوصال مع الأهل والوطن والدين...! ما عاد يذكر ماضيه وهويته إلا حين إظلام الدنيا أمام عينيه، في حال الضعف والانهيار طبعا.

أما سعيد بن الغني[٥] فمغامرته لم تكن إلا رغبة في تحقيق نزوات عابرة، لكنه عاد إلى رشده بعد تجربة مريرة انتهت بعودته إلى الله والوطن، وتعاون مع عبدالهادي في استثمار أموالهما في الوطن، ونجحت مشاريعهما وامتدت فروعهما إلى أوروبا، عكس عبدالرحمن الذي لم يأخذ بنصيحة صديقيه سعيد وعبدالهادي بترك التعاون مع العصابات في المحرمات، فأغواه الاغتناء السريع، فانتهى به إلى أحد سجون مرسيليا لقضاء ما تبقى من حياته في زنزانة معزولة، ومطارق الشعور الذنب لا تهدأ من القرع.

إلا أن نهاية النص في حكي دائري ابتدأ من الحلم بالجنة، إلى العودة إليها حلما وواقعا، أرخ لفضاء مهمش مهمل في ريف الوطن، منحدر من الشخصيات، فحاول الراوي أن يضع أصبعه على الجرح الغائر، سبب الهجرة الرئيسي في افتقار القرية إلى البنيات التحتية، واندثار أشجار الغابات والحقول بسبب الإتلاف البشري والجفاف، فأثر في الفلاحة والرعي، فهاجر الكثير من الناس إلى المدينة، ومن بقي فضل الهجرة الخارجية وخاصة السرية لغلاء عقود التشغيل وأوراق الإقامة من خلال الزواج[٦].

خلاصة:

ساهمت جنة الطوارق في التحقق والتأكد من صحة وقائع العبور لطارق بن زياد - رحمه الله - وإصراره على تحقيق حلم واسع يتجلى في فتح ما وراء البحر... لا يملك إلا سيفه وإيمانه، أما الطوارق الجدد فجلهم لا يهتمون إلا بذواتهم وجمع التراب، ولم يكن الهدف من هذا التأريخ التسلية والإعجاب بقدر ما كان هو العبرة والشهادة على صدق الناس وكدهم وكفاحهم، وعلى ضعف آخرين ومجازفتهم في منطقة أهملها التاريخ، فكان التاريخ الأدبي العميق للحدث الهدف الرئيسي. ■

قلبي هناك

— حورية وجدي - الجزائر —

هل راكبٌ ذاهبٌ للقدس يأتيني
برشفة من شذا حقلي ومزرعتي
بنظرة من عيون الفجر ترمقني
وقرية بقضاء القدس تَذكُرني
فارقتها مُكرها والقلب يعشقها
قلبي هنالك .. قد خلفته دَنفًا
قلبي هنالك .. يحيا بين من حملوا
قلبي هناك مع الأطفال يرجمهم
قلبي هناك .. مع الأسرى وأهلهم..
قلبي هناك وقد أعيا البعاد دمي
على الشتات أنا عمرٌ يحنُّ إلى
كنّا نعيش بأحلى الأرض قاطبة
وكانت الشمس تدنو كي نقلّدها
فنحن سرُّ الهوى المعقود من زمن
من بعدنا الشمس لا تزهو ببسمتها
من بعدنا الصبح يا قدسي تكدّره
حتّى المآذن تشكوهم لبارئها
يا قدس يا غرَّة الدنيا وزينتها
أشربتُ طفلي هواك .. فانبرى دَنفًا
نعود يا أبتي.. للقدس في غدنا
فلست أرضى بديلا عن ربا وطني
قد فاقني في الهوى طفلي فعلّلني
جيل يُعِدّ رباط الخيل يعشقها
جيل تفجَّر من أصلاب أمتنا
يا قدسُ يا أملا في القلب أحمله..
ما زال وجهُك نبع الصبر في خلدي
قلبي هُناك.. أبى وصلا لغيركمُ

بقبضة من ثراها كي يُداويني
ترد فيَّ دماء الروح تحييني
في مسجد ظل مشتاقا يناديني
ومنزل في رباها كان يؤويني
واسترجَعَتْه وبات البعد يكويني
يبقى وفيّا إلى الأقصى ويجفوني
سلاح عزّتهم في وجه صهيون
بالجمر واللهب المعجون بالطينِ
ينازل الشوق في قلب الزنازينِ
بالله أسألكم.. إليه رُدُّوني
ماضي الطفولة في بعدي يواسيني
ونقطف الزاد من أحلى البساتينِ
عقدا نوشّيه من عطر الرّياحينِ
ما بين شمسك والزيتون والتينِ
قد بات وجه الدُّنا من غير تلوينِ
أقدامُ من سرقوا أرضي وزيتوني
تظل تُنظرهُم يوما كحطّينِ
مازال عشقُك نبضا في شراييني
يُسابق الشوق للأقصى ويحدُوني
تسري مواكبنا بين الملايينِ
مدى الحياة .. ولن أرضى بتوطينِ
بأن جيلا سيأتي سوف يشفيني
وقوة من سلاح العلم والدينِ
يواجه الموتَ كي تحيا فلسطيني
يبقى يصارع وجدا كاد يُفنيني
يحنو عليَّ وفي ضعفي يقوّيني
عسى أعودُ.. وفي الأقصى يُلاقيني..

في مغرب الشمس ...

رياض عبدالله حلاق* - سورية

عادل:

لا تستغرب أن تأتيك رسالة مني وتبدأ بـ «عادل».

لقد تعودت أن تقرأ في رسائلي حبيبي ... عزيزي. أما اليوم، فإنك لم تعد بالنسبة لي سوى عادل.

لقد ترددت كثيراً قبل أن أكتب إليك، وقد قررت أن أفاتحك بالأمر – الذي أصبح شغلي الشاغل – ولكنني خشيت إن قابلتك أن يفوتني شيء مما أودُّ ذكره.

لقد أحببتك وأحببتني أنت بدورك.

أتذكر يا عادل يوم تقابلنا أول مرة؟ أنا لن أنسى ذلك مطلقاً ... كنت تبحث في عيني عن سبب لقلقك واضطرابك، فإذا بي أبحث عن السبب ذاته ...

والتقينا ... وتحدثنا ... وبنينا الآمال الكبار والأماني العراض، رسمنا مخططاً دقيقاً، للبيت الذي سنحيا فيه معاً إلى الأبد ...

تحدثنا عن اسم ابننا الأول، واختلفنا وتناقشنا ثم اتفقنا: سنسميه «جذلان»، ولم نترك شاردة ولا واردة، إلا وتحدثنا فيها، وكنا نخرج في كل مرة مخرج الظافر، أجل يا عادل ... كل تلك الآمال بنيناها معاً، كنا نحسُّ بالسعادة في أثناء ذلك ... وحين كنت تضمني بين ذراعيك، كنا نغيب معاً عن وجودنا، فننسى حقيقتنا، ثم، ثم ماذا ؟ ألا تذكر؟ حين نجحت بالثانوية، فهللت لنحاجك ... وقرر أهلك أن يرسلوك إلى أوروبا لتحصيل العلم ... لقد مانعت كثيراً، وجئتني وفي نفسك ثورة ... كنت حانقاً على والدك لإصراره على إرسالك لإكمال دراستك، وأبديت رأيي في الموضوع وقلت لك:

– اذهب يا عادل .. اذهب وسأنتظرك!

وثرت ساعتها، وزمجرت وقلت لي: إنك لا تريد السفر لأجلي، بل لأجل بيتنا.

فأجبتك ودمعة تترقرق في عيني: لا بأس عليَّ يا عادل، سأنتظرك حتى تعود .. وفي النهاية، وافقت على السفر.

كنت أعلم أنني سأنتظر مدة طويلة «ست سنوات» ولكنَّ طموحي، آه ما أشنع هذا الطموح! سأكون زوجة المهندس الكبير.

وذهبت معك لأودعك، فوقفت على شاطئ البحر في بيروت أرقبك بعيون دامعة، وكنت تبكي وتقول: «لا تحزني يا سلمى، سأعود .. اكتبي لي كثيراً، واعتني بنفسك، سأعود».

وضاع صوتك مع صفير الباخرة، وابتعدت فأخرجت منديلي الأخضر – الذي أهديته إليَّ – ولوحت لك به ... وغبت وراء الأفق البعيد ..

وعدت أدراجي وقد أودعت قلبي وآمالي وسعادتي، هناك، هناك، في مغرب الشمس ... ولم أخف عنك – في رسائلي – كم قاسيت من أهلي، الذين كانوا يريدونني أن أتزوج، قبل أن يفوتني قطار الزواج السريع.

«الطبيب والمحامي والأستاذ؟ كل أولئك لا يجلبون لك السعادة؟» هذا ما كان يردده والدي صباح مساء.

ولكنني تحديتهم، ووقفت في وجههم، وحدي، وحدي، والأمل الذي أودعته – هناك – في الأفق البعيد، في مغرب الشمس.

وأخيراً عدت، أجل لقد عدت، فعاد الهيام إلى قلبي وهللت وكبرت.

وتقابلنا..! (ولا يمكنني هنا أن أصف لك ما اعتراني من شعور آنذاك، بل يكفيك ما لاحظته عليَّ، وما رأيته في عيني). ورحت تقصُّ عليَّ – الحكاية التي يرويها – بإتقان، أكثر الذين يعودون من أوروبا، الرقص ... الحرية ... الاختلاط ... وكأني بالذين يعودون، لا يجدون ما يتحدثون عنه غير الرقص والسهرات الصاخبة. لماذا لا يتحدثون عن أشياء نفتقر إليها! ألم يجدوا هناك: الصدق والأمانة والتأدب في الحديث والثقافة! ولكنهم يريدون أن يأتوا بشيء جديد علينا، بشيء نجده غريباً فنعجب بهم وتلك غايتهم.

وكنت أتساءل وأنت مسهب بحديثك، عن آخر سهرة: ألم تعرف أنني متحررة، ألم تعرف أنني أول من ثار على تقاليد بيئتنا! ألم تتابع معي مرحلة أخذ حريتي! أم أنك تطلب مني أن أعجب بك، وإنك لتعرف حبي لك؟

وكنت أنصت إليك بكل ما أوتيت من قوة وذكاء، وصوتك يشعرني بالسعادة القصوى. ثم عدت لأتساءل:

– لم حلقت شاربك! كنت قبل أن تسافر تحدثني: «أن الشارب هو الفارق بين الشاب والفتاة ..» ألا تذكر ذلك؟

واستغربت تلك اللهجة الواضحة على نبرات صوتك، وتلك الأسماء التي لم أعتد سماعها، لقد شعرت بضيق منك، ولكنني زجرت نفسي وقلت: كل ذلك يمكن أن يتبدَّل ويعود إلى سيرته الأولى ... وشممت ذات مرة رائحة الخمر من فمك..!

فقلت لنفسي: لعله شرب هذه المرة ولسوف يتغير .. وفاتحتك بالموضوع فقلت لي: إنها لا تؤذي .. هناك في أوروبا الصغار والكبار يشربون .. سنشرب مرة ..

– وهل أنت في أوروبا الغربية، أم في سورية العربية؟

وضحكت ... قهقهت، ورأيت السخرية (من عقلي المتأخر) بادية في عينيك، حتى إنك لم تراعِ شعوري وإحساسي.

وافترقنا ثم التقينا، ثم افترقنا ... ثم إلى متى؟ إلى متى سأبقى أنا بعقلي القديم البالي، وأنت بعقلك التقدمي «المتفرنج»!

لا.. يا عادل، عندما ودعتك على ظهر الباخرة، ودعت رجلاً يتسم بالرجولة والشهامة ..

عندما كنت أملي وحبي: كنت عادلاً العربي، ذا الكيان وذا الشخصية، أما ما أراك عليه اليوم، فهذا ما لم يخطر لي على بال!

أريد أن أسالك: من أنت؟

فإن قلت: عربي أصيل. فهاك ذراعي وصدري، وإن قلت «متفرنج» فاذهب من حيث أتيت، فليس لك في قلبي مكان.

أجل لقد عدت، ولكنَّ الذي عاد ليس عادلا الذي أعرفه...

إن حبيبي الذي ودعته لما يزل هناك، وراء الأفق البعيد، في مغرب الشمس ■

---

* صاحب مجلة الضاد ومديرها المسؤول، ورئيس تحرير مجلة الكلمة.

د. غازي طليمات - سورية

المشهد الأول

(يرفع الستار عن حجرة مضاءة بشمعة هزيلة، وفي الحجرة أثاث، وبابها الأيمن مفتوح على الشارع، وبابها الأيسر يفضي إلى حجرة أخرى، يدخل من الباب الأيمن فارس مدجج بالسلاح بعد أن يقرع الباب، فلا يجيبه أحد).

الفارس: أين حراس أمير المؤمنينْ؟
أتراهم من غروب الشمس غطوا نائمينْ؟
وعلام الباب مفتوح أمام الوافدينْ؟
أَهْوَ قصر، أم طريق عبدت للعابرينْ؟
الفارس (وهو يجيل بصره في أثاث الحجرة الرث):
ويح رجلي!
أخطت سهوا إلى كوخ لبعض الناسكينْ؟
لا أرى غير بساط رثَّ من قرِّ السنينْ
وحشايا من بقايا الغابرينْ
ومصلى كاد يبلى من جباه الساجدينْ
وكتاب الله في المحراب، في ركن ركينْ
الفارس (وهو يتجه إلى الباب الأيمن):
فلأبارحْ، قبل أن أُطرد طرد الواغلينْ
(ثم يلتفت إلى صدر الحجرة):
أوما كان هنا عرش سليمان بن عبد الملك؟
مشرقاً كالشمس إذ تعلو بروج الفلك
أَمضى بالعرش عفريتٌ؟

فأبقى قصره في حلكِ؟
رحم الله سليمان، قد اختار عمَرْ
خلفا، والشمس لا يخلفها إن غربت مثل القمَرْ
(**الفارس** وهو يتجه إلى الباب مرة أخرى):
فلأبارِحْ
(يخرج من الباب الأيسر إلى الحجرة رجل يحمل بين ذراعيه مجموعة من الطوامير والأوراق):
لا تبارحْ
أنت في القصر الذي يممته، يا مسلمَةْ
أنا فيه خادم، يكرم من حلَّ به، أو يممَهْ
(يلقي ما يحمل ويعانق مسلمة بن عبد الملك):
مرحبا،
أنت أحق الناس أن أكرمهُ، أن أخدمَهْ
كيف خلفت ثغور السِّند والصُّغدِ؟
مسلمة: لقد تم الظفَرْ
ونشرت الأمن والعدل عليها، يا عمَرْ
لا بسيفي أو بخوض الملحمَةْ
بل بما أوليت ما جاورها من مرحمَةْ
من سنى عدلك لا من منصلي شع ضياء المكرمَةْ
(يدخل كهل مسرع الخطوات ويتجه نحو عمر بن عبد العزيز)
عمر: **يا** ابن حيوَةْ
لمْ تأخرتَ؟
عمر (مشيرا إلى الأوراق):
وعندي ألف شكوى
أو تلهو عن حقوق الناسِ؟
رجاء بن حيوة: لا والله، ما قارفت لهوا
جاء وفد من بلاد الصُّغدِ
(رجاء يقترب من رأس عمر ويناجيه)
عمر: أدخله بلا همس ونجوى
رجاء (وهو يشير إلى مسلمة):
وحقوق الضيفِ؟
عمر: **لا** تبطلُ حقَ المشتكي من مظلمةْ
أدخلِ القوم لئلا يبصروا في الأمر إهمالا وسهوا
أدخلِ القوم، فما أقدمهم إلا معاناةٌ وبلوى.
رجاء: أونغفو عن شكاة؟
عمر: **لا** أذاق الله أهدابك غفوا
مسلمة (بعد خروج رجاء):
لمَ لا تمهلهم حتى غد؟
ثَمَّ ترى في الأمر رأيا
عمر: **أفأطوي** الحق طول الليلِ؟
هبني شئت، لا أسطيع طيا
فحقوق الخلق لم تُبْقِ من النوم لأجفانيَ بُقْيا،
لست أدري، هل سأقضي نحبيَ الليلة أم للغدِ أحيا؟
(يعود رجاء مسرعا ومعه ثلاثة رجال يرتدون ثيابا صغدية الأزياء).
الصغدي الأول: (وهو ينحني) أسعد الله أمير المؤمنينْ.
الصغدي الثاني: (منحنيا أيضا) وحباه المجد والعزة والملك المكينْ؟
الصغدي الثالث: وحبانا بعض ما يحبو من العدل جميع المشتكينْ.
عمر: **انهضو** لا تركعوا إلا لرب العالمينْ..
ما الذي أقدمكُمْ؟
الأول: ظلم تجرعناه من سبع سنينْ
الثاني: منذ أن صبَّحنا جيش قتيبةْ[1].
الثالث: لم يبادرنا بإنذار، ولو أنذر بادرنا بأهبةْ
أو أجبناه لما يطلب عن حب ورغبةْ.
عمر (متجها إلى مسلمة): ما يقول السيف في شكواهم يا مسلمةْ؟

مسلمة: أو يمضي كلَّ ما يقضي به سيفي قضاءُ المحكمةْ؟

عمر: إن قضى بالحق، لا نمضيه حتى نعلمهْ

ثم نستفتي بما يقضي على المشكوِّ، كيلا نظلمهْ.

مسلمة: رحل الخصم الذي يشكونه، أعني قتيبةْ

فلماذا تنبش القبر؟

وماذا تجتني من نبش تربةْ ؟

هل ستحييه لكي تقتص منه؟

عمر: بل سأبقي شرعنا حيا، لئلا يتردى بعد حقبةْ

مسلمة: لو نزعنا حجرا من قبرهِ

وزرعنا ريبة في نصرهِ

لتداعى ألف حصن شاده في عمرهِ

وغزانا الشرق بحرا مائجا في زخرهِ

يطلب الثأر، فيعيا بأسنا عن دحرهِ

عمر: فلنغضَّ الطرف عما كانَ

عينُ العدل لا تغمضُ طَرْفا

أو تعيد الحق للمظلوم صِرْفا

عوده بالعهد والذمة أوفى

وهو للمؤمن ممن يشتفي بالسيف أشفى

مسلمة: إن ما يشفيك قد يمرض آلافا صحاحا

قد يثير الكر والفر، وقد يدمي البطاحا

ويضرِّي نسل يأجوجَ ومأجوجَ

إذا أبديت ضَعْفا

أو تقاضيت إلى الحلم، ولم تستفت سيفا

عمر: حسبنا ما قلت، ولنصغ إلى فتوى (رجاءْ)

عمر (متجها إلى رجاء بن حيوة):

اِقض ما أنت به قاض، وأنصفْ يا ابن حيوةْ

غير معتز بسلطان وقوةْ.

أيبيح الشرع للسيف اجتياح الناس عنوةْ؟

رجاء: لا يبيحْ

غير أن النقض بعد العقد بالأمن يطيحْ

فلماذا نستثير الريحَ؟

عمر: إن العدل ريحْ..

تقلع الظالم من الأرض، فليس الحكم نزوةْ

رجاء: (بعد تفكر وتدبر): أسلمُ الآراء عقبى ما رآه مسلمةْ

خذ بما قال، وأرضِ الوفد بالرفد، وشجب المظلمةْ

بَعُدَ العهدُ بشكواهم

وبُعْدُ العهد قد يأسو الجروحْ

أرضِ رسلَ الصغد، لا تنكأ من الماضي القروحْ

أرضِهم، ما فاتَ ماتْ.

فلماذا تنفخون الروح فيمن مات، والميتُ رُفاتْ؟

الصغدي الأول: لم يمت، لو مات ما جزنا إليك الفلواتْ

الثاني: لم يمت، لما تزلْ في سمرقند السوحُ ريّا بالدماءْ

الثالث: لم يمت، لو مات لم تجهر لهاةٌ بالدعاءْ
لم تبح ألسننا بالشكواتْ

عمر (متجها إلى رجاء ومسلمة) أخطأ العابد والقائد فيما زعما

عمر (متجها إلى الوفد): وأصبتم، لا يموت الحق مهما قدما
نحن لا نغزو لكي نجبي أموالا، ونرقى قمما
بل لكي نهديَ ضلالا، ونرعى ذمما

عمر (متجها إلى رجاء): هاتِ قرطاسا وحبرا ويراعا يا ابن حيوةْ
ليس حكم الناس بالقسطاس تسويفا لغزوةْ
قد غزاها فاتح الشرق فتيبةْ
ثم ولّى قبل أن يصلح ما أفسد أو يعلن توبةْ
هات قرطاسكَ واكتبْ ما سأملي
بعد ما شاورت فيما قلتما عقلي ونقلي:
من أمير المؤمنينْ
عمرَ المسؤولَ يوم الدين عن كل شكاوي المشتكين
من ذرى الأطلس حتى الصين
والويلُ لمن يحكم حكم الغافلينْ
لسليمان أمير الصُّغد والي سَمَرْقَنْدْ:
تجمع القاضي «جُمَيْعاً» بوجوه الصغد من أهل البلدْ
فيقاضيهم بشرع الله من غير اعتساف ولددْ
ثم تُمضي كل ما يفتي به القاضي ويقضي
ساريا، من غير تعديل ونقضِ
نافذا، من غير تأجيل ورفضِ

مسلمة (وهو يهم بالخروج غاضبا): عجبا!!
جئتك بالبشرى وبالنصر، فجوزيتُ بالألمْ
جئت مزهوا بما أنجزتُ، والآن تساقيني الندمْ
كل ما شيَّده سيفي سيرديه «رجاء» بقلمْ

مسلمة (مشيرا إلى الوفد): أمن العدل شموخ السفحِ
(ثم مشيرا إلى نفسه): يا ويلي، وتهديمُ القممْ؟

عمر: بل سأبنيها، ولكن بالسجايا والمزايا والقيمْ
أمتي لا تبتني المجدَ بأنقاض الأممْ
لستُ فرعونَ الذي يعلي بأجساد رعاياه الهرمْ
ثم يثوي جيفة فيه كما تثوي الرِّممْ

رجاء: يا أمير المؤمنين
هل ستملي، بعدُ

عمر (مشيرا): حسبي ما هرفنا وهرفْ
نحن لا نبحث عن قمة مجد نرتقيها، أو شرفْ
أو عن النصر، وإن فاض علينا بالترفْ
بل عن العدل الذي يسعد كل البائسينْ
من عباد الله مَنْ أسلم، أو دان بدين المشركينْ
ادفع الطِّرس إلى الوفد وزوده بما ينفق من غير سرفْ
مثلما ينفق في العيش أمير المؤمنينْ
ثم أتبعه عيونا، ترقب الوالي وتأتي باليقينْ

المشهد الثاني

(يرفع الستار عن سُرادق كبير، يتصدره القاضي جُمَيْع بن حاضر، وأمامه سليمان بن أبي السريِّ والي سمرقند وأعيان الصغد بملابسهم الوطنية)

القاضي: باسم من أسماؤه الحسنى تضمُّ العدلَ والحق المبينْ
واضع الميزان والقسطاس للمختصمينْ
ينصتَ القاضي جُمَيْعٌ لشكاوي المشتكينْ
غيرَ منحازٍ إلى لون ولِسْن أو إلى قربى ودينْ

أحد الصغد: كيف نشكو الظلم، والمشكوُّ منه قد مضى؟

هل ستحييه، وتحيي مَنْ قضى؟

القاضي: لا، سأحيي العدل في هذي الربوعْ
أرجع الحق إلى المظلوم

الصغدي: هيهات الرجوعْ!

صغدي آخر: فحقوق الصغد لا يرجعها ذرف الدموعْ
واعتذار فوق أجداث الضحايا وخشوعْ

القاضي: هذه محكمة لا مأتمُ
بحماها يحتمي كل بريء، ويُدان المجرمُ
بالذي شرَّعه الرحمن لا الشيطان دوما تحكمْ
تنصف الإنسان أيّا كان، في كل زمان ومكانْ
فافضحوا من غير خوف ما جنى المتهمُ

صغدي ثالث: قبل سبع السنوات الخاليات
وعيون السَّمْرَقنديين غرقى في السباتْ
وبشيرُ الفجر يأتي من وراء الفلواتْ
يفتق الديجور بالنور، يشق الظلماتْ
كرتِ الخيلُ كرور السيل من سفح جبلْ
فإذا سوح سمرقند زحوف وسيوف وأسلْ
وحتوف تفجأ النائم والآمن والشيخ الأشلْ

القاضي: أوما أنذركم قبلُ فتيبةْ؟
قبل أن يستل سيف الغزو، أو يبدأ حربهْ

صغدي رابع: لا، بل انقضَّ انقضاض الصقر محمومَ المخالبْ
يفرس الفرسان، والفرسان عزل لا تحاربْ
صعقتهم فجأةُ الهجمة، فروا كالأرانبْ

القاضي: أو ما كان حوالي سَمْرَقند الصُّغد سور وقلاعْ ؟
وعيون ترصد الأعداء كيلا يفجؤوها، فتُراعْ

الصغدي الأول: لم نكن نلتمس الأمن بإرصاد العيونْ
أو ببثِّ الجند والحراس في أعلى الحصونْ
بل بحصن خُلُقيٍّ، قد بناه المسلمونْ

القاضي: عجبا من قول هذا القائل!
كيف تحمي رأسَ مقتولٍ حصونُ القاتلِ؟
أيُلام الليثُ في عرِّيسهِ إن دق عُنق الواغلِ؟

الصغدي: إنه الحق الذي تدعونه في دينكم عينَ اليقينْ
وبه سُدْتم وقُدْتم، لا بطغيان يروع الآمنينْ

القاضي: ما الذي تعنيه؟

الصغدي: أعني أنكم أهل شريعةْ
شرف الغاية لا يسمح فيها بأباطيل الذريعةْ
وخيول الحرب لا تصهل ما لم ينكفئ صوت السلامْ
خاسئا، يرفضه الخصمُ، ويختار الصدامْ
أرفعتم راية الدعوة والسلم، فلُذْنا بالحسامْ ؟
أم طلبتم جزية منا، فآثرنا الخصامْ؟
فلماذا لم يخيرنا قتيبةْ؟
بين إسلام وتسليم وضربةْ؟

القاضي: أوما خيركم من قبلِ أن يبدأ حربهْ؟

الصغدي: بيَّتَ الغدر، ولم نعهد لديكم قطُّ غدرا
وغزا الثغر لكي يحرز نصرا
خالف الشرع، وقبل الجهر بالدعوة كرا
دمر الحصن الإلهيَّ، فزاد الصغدَ شرا
أفهمت اللغزَ أم ما زال لغزُ الحصن سرا؟

القاضي: فهم القاضي، ومن يفهمْ حكمْ
ووعى ما في خفايا اللغز من سر التهمْ
وأدار الحكم في ذاكرة التاريخ، تاريخ الأممْ
فرأى الرأي الذي لم يره قبلُ حكيم أو حكمْ

أحد الصغد: ويلتا مما رأى القاضي وقدَّرْ
لا أرى الإنصاف، بل أبصر في سحنته مكرا يدبَّرْ
ما أراه غير ذئب لافتراس يتنمَّرْ
كانبثاق البرق عند الصعق من جوف الديمْ

فارفضوا الحكم إذا جار عليكم، أو ظلمْ
فهو ممَّنْ حاكموا أو حكموا أدهى وأغدرْ

(بعد شغب وصخب بين الصغد ينهض شيخ منهم)

الشيخ: قد تخوَّفتم وخوَّفتم، ولما يُصدرِ الحكمَ ابنُ حاضرْ
فدعونا نستمعْ، إني بما يقضيه ناظرْ
فإذا أجحف ثرنا ونفرنا بالمواضي لا الحناجرْ
وإذا ما أنصف القاضي غفرنا كل غابرْ

القاضي (ناطقا بالحكم): يحملُ الوالي سليمانُ جميعَ التبعاتْ:
من بناء ودماء وَتِراتْ
فيؤدي للثكالى واليتامى وذوي القتلى الدياتْ
ويشيد الحصن والأسوار صونا للمدينةْ
بزنود الجند لا الصغد، فإذا عادت حصينةْ...
والذراري والجواري هجعت آمنة فيها أمينةْ...
والـــعـــذارى رتـعـت فـيـهـا مصونةْ...
خـرج الـــوالي وكـل الـعـربِ الأغرابِ، لا يبقى أحدْ
في سمرقند سوى أهل البلدْ
وتـــولى الحـكـمَ مـن يـختـاره الأهلون من أهل الرشدْ
من خيار الصغد لا من جلبِ الجند بقايا الغزواتْ

الشيخ الصغدي (ساخرا): ثم تأتون كما بارحتمونا

القاضي: لن ترونا أبدا
لن ترونا قبل أن يأتيكم منا بشير بالهدى
أو نذير بالردى

(الصغد يتحلقون حول الشيخ ويتهامسون ويتشاورون)

الشيخ (مخاطبا القاضي): قد تشاورنا.. أتدري ما تخيَّرْنا؟

تخيَّرْنا الهدى
وجعلنا ذلك الحكم الإلهيَّ من الظلم الفِدى
فامكثوا أهلا وإخوانا وحكاما لنا، أو مددا

(يتعانق الوالي والقاضي وسراة الصغد ويسدل الستار على صدى الأبيات التي ينشدها المتعانقون):

ما رأى التاريخ في الدنيا كهذي المحكمة
ما رأى المظلوم يستعدي أخا من ظلمهْ
ما رأى القاهر يكسو جسد المقهور ثوب المرحمةْ
فإذا الأضغان حبٌّ وصفاءْ
والحزازات وفاء وإخاءْ
وجميع الخلق في الحق سواءْ ■

الدرب المعاكس*

للأديبة البنغالية نعيمة آرا

تعريب: محمد صادق حسين*- بنغلاديش

ما كادت تضع يدها على باب المنزل حتى انفتح بنفسه، فلما دخلت غرفة الجلوس تبادلت النظرات بينها وبين مسعود فجأة، واستشعرت شاهدة أن مسعودا قلق متوتر.

عادت اليوم شاهدة إلى البيت متأخرة مساءً.. إلى أين تذهب شاهدة أحيانا؟ ذاك معلوم لدى مسعود، رغم ذلك سأل بشيء من القلق والحيرة التي تبدو واضحة في وجهه:

- تأخرتِ اليوم كثيرا؟

لم تتمكن شاهدة من أي رد، وأسرعت إلى غرفة النوم، فأخذت تبكي بكاء الثكلى مخفية وجهها تحت الوسادة.

حينما ينزف القلب لشدة حنو الأمومة، وتتفجر في أعماقها مشاعر الحنين واللهفة تسرع بالذهاب إلى مدرسة ابنتها رونا.

في البداية كانت شاهدة لا تزور رونا مباشرة، تذهب وترجع عقب رؤيتها عن بعد، ذات يوم تجرأت على الاقتراب من فلذة كبدها، فعانقت ابنتها العزيزة، والتصقت رونا بأمها الحنون أيضا، فطوقتها بذراعيها بود عجيب، وأمسكت بها لشدة حبها إمساكا كأنها غاصت في بحر عميق من عطف أمها الرؤوم.

تعود شاهدة بعد زيارة ابنتها عادة قبل إياب مسعود من مكتبه، مرة أخبرت مسعودا عن هذا الذهاب والإياب بكل أمانة، واعتذرت عن ذلك، فقال مسعود مواسيا لها:

- أنا أفهم شعورك ومعاناتك، لكن أخبريني.. ماذا أفعل؟! أبو رونا لا يرغب في المصالحة معنا..

لم تنبس شاهدة بكلمة آنذاك، ولم تضف إلى قوله شيئا، فهي لم تود تحريك ذكرياتها الخامدة المفعمة بالآلام التي تثقل كاهلها، لكنها كانت عندما تستيقظ من النوم في منتصف الليل تبكي بكاء شديدا متذكرة رونا.

كانت شاهدة حريصة دائما ألا تعكر صفو حياة رونا الصغيرة، وكانت تتمنى لابنتها حياة سعيدة.. عن بعد.

كان شوق شاهدة يتجدد لزيارة ابنتها العزيزة، وتنتظر لحظة رؤيتها بصبر فارغ ولو من بعيد، وها هي ذي رونا العزيزة تقول لها اليوم ببساطة:

- أمي، لا تأتي لزيارتي في مدرستي مرة ثانية..!!

قربت شاهدة ابنتها منها وسألتها بصوت خفي متلعثمة:

- لماذا؟ .. فلذة كبدي.. لماذا تقولين هذا؟

اقتربت رونا من أمها أكثر وقالت بعين دامعة:

- أمي.. منعني أبي من لقائك، فقد قال: إنك لست جيدة..

كلمة الابنة هذه وقعت على شاهدة كالصاعقة، فأخرستها، وتحيرت فلم تقدر على قول شيء مستغربة استغرابا شديدا، لم تدر كم بقيت قائمة صامتة هناك..

وفي غضون ذلك ركبت رونا سيارة المدرسة إثر سماع صوت المنبه عن كثب، وذهبت حتى ابتعدت عن نظرات أمها.

لم تدخر شاهدة وسعا إلا بذلته في إبقاء الأسرة متماسكة، وفعلت كل ما استطاعت من أجل حياة رونا المستقبلية، ومع ذلك فقد انهزمت اليوم أمام الجميع.

في أيام الزواج الأولى عندما بدأت مساوئ جعفر (أبو رونا) الخلقية تظهر شيئا فشيئا، وبدأت آثارها السيئة في سلوكه وتصرفاته المختلفة تعكر مسيرة حياة شاهدة أرادت تغيير زوجها بصبر ومثابرة، وحاولت كثيرا إخراجه من الظلمات إلى النور، والتمست ذلك من زوجها بأدب وتواضع قائلة:

- رجـــاء.. لا تقـرب تلك المسكرات.. هي أشياء خبيثة.. بل أم الخبائث.. فلا تتناولها أرجوك.. إنك بتناول هذه الأشياء المضرة لا تزيد في هذه الدنيا إلا شقاوة.. كما تفسد آخرتك أيضا!.

قال جعفر مجيبا على توسلات شاهدة:

- ماذا تقولين؟ .. بغير هذه الأشياء لا يطيب لي المزاج في العمل..!

وبثقة زائدة حاولت شاهدة أن تشرح له:

- إذا كانت لدى الإنسان إرادة قوية فهو يستطيع التغلب على كل صعب.. وأنت تنهزم أمام عادة سيئة.. هكذا؟..

بحب وعتاب، ونصيحة صادقة بذلت شاهدة كل ما في وسعها لإنقاذ شريك حياتها من مخالب الشر، لكنها شعرت بالخيبة، ولما لم تقدر على أي تبديل في حياة زوجها، طمأنت نفسها معتقدة بأن هذا هو المكتوب في نصيبها، ورضيت بذلك مؤمنة بأن القدر خيره وشره من الله تعالى.

ولكن مشكلة أخرى كانت أمام شاهدة، وهي المرأة لينا، التي يتصل بها جعفر، فخرجت عليه يوما ثائرة، منكرة عليه إنكارا شديدا.

فأجابها جعفر بصوت عال ونبرة عناد:

- ما العيب في كون أمثالها صديقة.. وسّعي صدرِك أنتِ.. لا يمكن العيش بنفس ضيقة مثلكِ في هذا العصر!.

زأرت شاهدة زئير اللبؤة المكلومة، وعارضت بصرامة قائلة:

- اتق الله.. واخجل.. أنت فقدت التمييز بين الخير والشر متبعا الهوى.. إني أحقرك..

ورفع جعفر صوته عاليا أيضا وهو يقول:

- أنا-أيضا- لا أحبك.. أنت حرة.. ولك أن تذهبي إلى أي مكان في أي وقت..

ثم طفق يثرثر:

- كم مرة قلت لك: عيشي وفق ومضة الوقت وثقافته المعاصرة!.. لكنك لا تتغيرين..

أجابت شاهدة وهي قابضة على جانب الكرسي بشدة:

- أجل..أنا مصدقة بأني قد تغيرت.. ونظرا لحياتك المتعفنة فإن الدرب المعاكس يجذبني الآن ويدعوني إلى المسار المخالف لك.. ما زلت أبحث عن الصراط المستقيم.. حتى وجدته.. ولذلك أقول:

- إن أعجبتك السيدة لينا! فتزوج منها.. لكن الخلوة المحرمة التي تجري بينك وبينها.. لا يسمح بها الدين، ولا يجيزها المجتمع..!!

سخر جعفر من كلام شاهدة، وقال بتهكم:

- الزواج؟.. قد أخطأت مرة.. فلا أخطئ ثانية..

لم تضف شاهدة كلمة واحدة بعد ذلك، وازدادت كراهيتها له، وعقب خروج زوجها غادرت المنزل، إلى بيت أبيها مصطحبا ابنتها رونا، لأن (سوء الخلق يفسد الحياة كما يفسد الخل العسل).

وانقطعت الاتصالات بينهما زمنا طويلا، ذات يوم أتى جعفر فجأة، وأخذ رونا معه، ثم أرسل إليها ورقة الطلاق!.

بعد تلقي الإذلال والإهانة من قبل الزوج السيئ الخلق استشعرت شاهدة ضرورة الثقة بالنفس والنهوض بقوة، فرفضت الزواج أولا، لكنها فيما بعد تزوجت من رجل اسمه مسعود..، وحاولت البحث عن الاطمئنان والسعادة في أعماق مسعود!.

قضت شاهدة أوقاتا غير قليلة متصفحة تاريخ حياتها الماضي المليء الملونة بالأحزان والآلام، تذكرت جروحا غائرة، وأوجاعا عميقة، وحين أفاقت من غمرة ذكرياتها اكتشفت أن الشمس قد غربت، وخيم الظلام في كل جانب!.

وفي ساعة متأخرة من ليلة طويلة بكت عيناها دموعا غزيرة، وشعرت بالصداع النصفي، فنهضت من الفراش، ووضعت رأسها تحت مياه الحنفية الباردة.

مكثت شاهدة في الحمّام.. إلى أن سمعت صوت قرع الباب، فانتبهت، وأصلحت ثوبها وصففت شعرها، وحينما فتحت باب الحمام وخرجت واجهت مسعودا وهو يبتسم، ويقول:

- هيا.. هيا!.. بسرعة.. لدي خبر سعيد لك.. كل الأوراق والمستندات اللازمة لسفرنا إلى خارج البلد قد صارت جاهزة..!

لفت شاهدة شعرها المبلل بمنشفة، وقالت ملبية نداء الزوج الحبيب:

- أنا سآتيك.. سآتيك..

كانت تسمع صوت مسعود، وهو يطلب من الخادمة أن تجهز الفطور، وبعد تغيير ملابسها جاءت شاهدة إلى طاولة الفطور، فإذا بمنى ابنتها من مسعود، اندفعت نحوها والتصقت بها التصاقا، فألقت عليها أسئلة كثيرة دفعة واحدة تحمل نبرة العتاب في صوتها الطفولي البريء:

- أمي.. أين ذهبت أنت؟.. لماذا تأخرت هكذا؟..بكيت عليك كثيرا..

تهللت أسارير وجه شاهدة، راسمة إشراقة البسمة على شفتيها، احتضنت منى بحرارة، وضمتها إلى صدرها بكل ما ملكت من المشاعر الدافئة، وأحست بوجود رونا في أعماقها، وراحت تمطرها بالقبلات ■

---

*من المجموعة القصصية «الوارث» للكاتبة/ نعيمة آرا، طبعتها «المؤسسة الإسلامية في بنغلاديش»، يونيو ٢٠٠٨م.

** طالب دراسات عليا بجامعة الملك سعود بالرياض، المملكة العربية السعودية.

لا ظل يطاردني..!

إبراهيم حافظ غريب- السعودية

.. وسأصحو من نومي
مع صوت الحقِّ أردِّدُهُ..
لا أنسى..
دعوى استيقاظي من نومي..
وأصلِّي الفجرَ بإذن الله..
وسأجلسُ في المسجدِ أذكرُ ربي،
وأسبِّحُهُ،
وأكبِّرُهُ..
لا أنسى..
ما في (حصن المسلم) من أذكارِ صباحٍ..
ما أعظمَها جدوى..
لحياة المسلم صبحاً ومساء..
وسأتلو ما يسّره ربي..
من وحي التنزيل..
حتى يشرقَ في الدنيا..
قرصٌ ذهبيٌّ يتوهَّجْ:
ما أجملَهُ!
ما أبدعَهُ!
وسأركعُ حينئذٍ..
ركعات ضحى..
أتصدَّقُ عن كلِّ سُلامى..
من جسمي المملوء ذنوباً وخطايا..
وأغادرُ بيتَ الله سعيداً،
وخفيفاً..
لا يثقلُني..
أكلٌ أو شربٌ أو شهواتْ!
وأظلّ كذلك سائرَ يومي،
وسأحفظُ صومي..
أن يفسدَهُ
كذبٌ أو زُورٌ أو بُهتان!
سمعٌ أو بَصَرٌ أو شَنآن!
وسأغدو من بعدُ كما الطيرُ..
حيثُ أشاءُ من الدنيا..
ما أوسعَها!
ما أرحبَ خطوي فيها!
لا قيدَ يقيِّدُني..
لا ظلَّ يطاردُني..
ما أجملَها من دنيا..
حين أسيرُ يميناً وشمالاً:
لا أعبدُ فيها..
غيرَ إله أحَد..
فرد صَمَد..
أقربَ لي من حبلِ وريدي!
ما أكرمَهُ!
ما أحلمَهُ!
ما أرحمَهُ
إذْ أعصيه وإذْ أعبدُهُ!
ما أكرمَهُ!
ما أحلمَهُ!
ما أرحمَهُ
إذْ أعصيه وإذْ أعبدُهُ!

من أدب أم المؤمنين عائشة
وبلاغتها العربية

فهد إبراهيم البكر - السعودية

عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سليلة مجد وشرف، وعقيلة خير الورى، أعلم نساء الأرض وأفقهها، وصفها الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتابه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) (ت٤٣٠هـ) أثناء ترجمته لها فقال: «ومنهم الصدّيقة بنت الصدّيق، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب، سيد المرسلين محمد الخطيب، المبرأة من العيوب، المعراة من ارتياب القلوب لرؤيتها جبريل رسول علاّم الغيوب، عائشة رضي الله عنها، كانت للدنيا قالية، وعن سرورها لاهية، وعلى فقد أليفها باكية»[1].

تميّزت رضي الله عنها بفضائل عدة لا يمكن حصرها، وأكرم فضائلها حُبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، إذ كان يجلّها، ويرى أنّ فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[٢].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتعجبون من علمها، روى هشام بن عروة عن أبيه قال: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة ولا بحلالٍ ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة رضي الله تعالى عنها»[٣].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء في أثناء ترجمته لأم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: «ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقاً امرأةً أعلم منها»[٤].

وقال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة»[٥].

وقال الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[٦].

وعلمها رضي الله عنها وفقهها إنما يفسران: لماذا كان صلى الله عليه وسلم يحبها حيث كان يتوسم في شخصيتها الشيء الكثير من الخير المكنون الذي سيظهر مع الأيام، ولهذا كانت علومها رضي الله عنها بحراً ممدوداً، نقلت إلى الأمة أعزّ ما يعني الناس من أمور دينهم، نقلت إلى الأمة حياة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة، حيث عاشت معه في تفاصيل حياته المقدسة في تهجده، في نومه، في فراشه، في بيته، في مرضه حتى لحظات موته، فأي ثروة هي أعظم من ذلك؟! وأي تراث هو أغلى مما نقلت إلينا أم المؤمنين عليها السلام؟![٧].

من أدبها وبلاغتها رضي الله عنها:

لعل مما تميزت به أم المؤمنين رضي الله عنها نبوغها في سماء الأدب، وتفردها في فلك الشعر والنثر حفظاً وروايةً واستشهاداً وإنشاءً، مما أكسبها فصاحة لا يفوقها فائق، وبلاغةً لا يشوبها شائب. تعلمت من مدرسة المصطفى صلى الله عليه وسلم، واستقت من فيض الهدي الرباني الزاخر، فكان للقرآن أثره في فصاحتها وبلاغتها، كما كان للحديث والفقه والفتاوى والتعاليم والمواعظ دورها في تشكّل الجانب الفكري والأدبي الذي كان بارزاً في شخصيتها رضي الله عنها.

ولقد شهد لها غير واحد من أهل عصرها بالنبوغ والتفوق الأدبي والبلاغي، فهذا معاوية رضي الله عنه يقول: «والله ما رأيت خطيباً قطُّ أبلغ ولا أفطن من عائشة»[٨].

خطبت رضي الله عنها يوم الجمل فقالت: «أيها الناس! صهٍ صهٍ، إنّ لي عليكم حقّ الأمومة، وحقَّ الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْري ونحري، فأنا إحدى نسائه في الجنة أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً، وأسأل الله أن يصلي على محمد، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين»[٩].

هكذا كانت بلاغتها وإيجازها رضي الله عنها، كانت تنتقي الألفاظ المعبرة عن الحال الملائمة بما يتوافق وسياق المقام، وظروف المخاطب، بيّنت في خطبتها هذه الموقف السياسي بعد حدوث القلاقل والفتن، فجاءت خطبتها البليغة ناطقة عن الشخصية الأدبية المتزنة بلغتها، المفعمة بأسلوبها وبلاغتها.

ومن كلامها في أبيها رضي الله عنها عندما نيل منه، قالت عاذلة ومقرِّعة: «أبي ما أبي، لا تعطوه الأيدي، ذاك والله حصنٌ منيفٌ، وظلٌّ مديدٌ، أنجحَ إذ أكديتُم، وسبقَ إذ ونيتم سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً، يُرشي مملقَها[١٠]، ويفكُّ عانيها، ويرأب صدعها، ويلمُّ

شعثها حتى حَلَته قلوبها[11]»[12].

وكان مما تمتعت به رضي الله عنها - بالإضافة إلى إنتاجها الأدبي النثري - روايتها للأشعار وحفظها لها، وتمثلها بها، كانت تنشد الشعر وتتمثل به عند زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كانت تتمثل به عند أبيها رضي الله عنه.

قال الواقدي في سيره: «حدثنا ابن أبي الزناد، عن هشام، عن أبيه قال: ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً وأكثر»[13].

وقد أورد لها القيرواني في العمدة جزءاً حول كثرة رواية الشعر فقال من ضمن ذلك: «وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر، يقال: إنها كانت تروي جميع شعر لبيد»[14].

نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات مرة فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نوراً، قالت: فبهتُّ، قالت: فنظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مالك بهُتِّ؟ فقلت: يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولّد نوراً، فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحقُّ بشعره. قال: وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي[15]؟ فقالت يقول:

ومُبرّأ من كلِّ غُبَّرِ حَيفَةٍ
وفسادِ مُرضِعَةٍ وداءٍ مغيلِ
وإذا نَظرتَ إلى أسرَّة وجهه
بَرَقت كبرق العارض المتهللِ[16]

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده، وقام إليَّ فقبَّل مابين عيني وقال: «جزاك الله يا عائشة خيراً ما سررت مني كسروري منك»[17].

إن مثل هذه الروح الرائعة بين الزوج وزوجته لا يمكن أن تنبع إلا من نبع النبوة الصافي، ومنهلها الحاني المليء بالدفء العاطفي، والحب الجميل بما يترجمه الشعر من إحساس شفاف وروح مهذَّبة صافية تمزج مابين الروحين في أكمل قصص الحب وأحلاها.

وحينما رأت عائشة أباها يصارع الموت تمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[18]

فنظر إليها كهيئة الغضبان وقال: يا بُنيَّة ليس كذلك! ولكن: «وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد»[19][20].

لقد تميزت رضي الله عنها من الناحية الأدبية بغزارة المحفوظ وتنوع المصادر مابين القرآن والحديث والفقه والسير والتاريخ والفتاوى ونحوها، فكانت بذلك مثقفة بليغة.

ولم تكن لتكتفي رضي الله عنها من الجانب الأدبي برواية الأشعار والتمثل بها، أو إنشاء الخطب والمواعظ والوصايا والأمثال، وإنما اتسع مجال الفكر عندها إلى مجالات الفكر النقدي والحس البلاغي المستلهم من المنظور الإسلامي.

روى هشام بن عروة عن أبيه أنها رضي الله عنها أنشدت بيت لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيتُ في خَلَفٍ كجلد الأجرب[21]

فقالت: رحم الله لبيداً، فكيف لو رأى زماننا هذا!؟[22].

فتركت بذلك تعليقاً اجتماعياً، ونقداً لواقع عاشه الشاعر مما يبرز لنا ثقافة نقدية، بله المحفوظ الشعري، والمخزون الأدبي الذي اعتمدت عليه لها رضي الله عنها.

أورد البخاري في الأدب المفرد ما نصه: حدثنا

سعيد بن تليد قال: حدثنا ابن وهبٍ قال: أخبرني جابر بن إسماعيل وغيره عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: «الشعر منه حسنٌ ومنه قبيحٌ، خذ بالحسن ودع القبيح، ولقد رويت من شعر كعب بن مالكٍ أشعاراً، منها القصيدة فيها أربعون بيتاً، دون ذلك»[٢٣].

فهذا الخبر فيه جانبان: جانبٌ يشير إلى حسها النقدي وذوقها البلاغي بتمييز الحسن من القبيح، وجانب آخر يدل على كثرة روايتها للشعر، وغزارة محفوظها إضافةً إلى ما سبق الإلماح إليه من روايتها للأشعار والقصائد بتنوع قائليها وأغراضها ومناسباتها.

لقد كانت أم المؤمنين رضي الله عنها علما شامخا في علمها وأدبها وبلاغتها ولم تقتصر حدود أدبها وبلاغتها عند هذا الحد وحسب، بل أثر عنها رضي الله عنها معرفتها بالطب مما يوحي باتساع دائرة الأدب في فضاء ثقافتها وعلمها رضي الله عنها.

فعن عروة قال: «ما رأيت امرأة أعلم بطبٍّ ولا بفقه ولا بشعر من عائشة»[٢٤].

وكان عروة يقول لعائشة رضي الله عنها: «يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول: زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة أبي بكر رضي الله عنه، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبي بكر- وكان أعلم الناس - ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو؟ ومن أين هو؟ وما هو؟ قال: فضربت على منكبي ثم قالت: أي عُرَيّة! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم في آخر عمره، فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له، فكنت أعالجه، فمن ثمَّ».

ولهذا قال العقاد: «ومع هذه المادة اللغوية التي تنم على استقصاء مادة العربية من أعرق مصادرها لا نستغرب ما تواترت به الروايات من علم السيدة عائشة بطب زمانها، وما يصح في زمانها أن يسمى بعلم الفلك والظواهر الجوية لإلمامها بمسالك النجوم ومهاب الأنواء وغير ذلك من معارف البادية والحاضرة في عصر الدعوة الإسلامية».

لقد شيّدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صرحاً شامخاً بفقهها وأدبها وبلاغتها فكانت من

أشهر فقهاء الأمة، معلمة النساء الأولى، راوية للشعر، ناقد ثاقبة، وانعكس أثر ذلك على طبعها ولغتها، فجاء علمها عذباً نميراً، وأدبها بحراً غزيراً، وبلاغتها نهراً وفيراً، فوظفت بذلك علمها وأدبها وبلاغتها في كل ما يخدم دينها، ويرضي ربها، ويحقق سنة رسولها وحبيبها صلى الله عليه وسلم، فرضي الله عنها وأرضاها، وحسبنا الله على من عاداها ■

الهوامش:

(*) كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة حائل.

(١) الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٩هـ، ٢/ ٤٣، ٤٤.

(٢) حديث حسن صحيح. ينظر في: الترمذي الجامع الكبير، تحقيق وتخريج: د. بشار عواد معروف، ط/ ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦م، ٦/ ١٨٤، والحديث رواه البخاري في صحيحه بأكثر من رواية، ينظر: الصحاح الستة صحيح البخاري، ط/ ١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية ١٤٢٠هـ، ص: ٣٠٦ والأحاديث في كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

(٣) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٢/ ٤٩، ٥٠.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/١١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ، ٢/ ١٣٩.

(٥) نفسه، ٢/ ١٨٥.

(٦) نفسه، ٢/ ١٨٥.

(٧) ينظر: محمود شلبي، حياة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ط/١، دار الجيل، بيروت ١٤١٨هـ، ص: ٤١٣.

(٨) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبدالله محمد الدويش، د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ، ٩/ ٣٨٩.

(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ط/١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١٩هـ، ٤/ ١٨٦.

(١٠) أي يغني فقيرها ويكرمه.

(١١) أي يلم شعثها حتى أحبته كثيراً وحلت منزلته فيها.

(١٢) ابن طيفور، بلاغات النساء، ضبط وتعليق: بركات يوسف هبّود، د. ط/ المكتبة العصرية صيدا، بيروت ١٤٢٦هـ ص: ١٩، ٢٠.

(١٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٨٩.

(١٤) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/١، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٦م، ١/ ٢٦.

(١٥) هو عامر بن الحليس شاعر جاهلي. ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء تحقيق: د. مفيد قميحة، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ، ص: ٤٤٦.

(١٦) رواها ابن قتيبة كما يأتي:

ومُبرأٌ من كلّ غبّر حيضة
ورَضاع مُغيلَةٍ وداءٍ مُعْضِلِ

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه
برقت كَبرق العارض المتهللِ

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٤٤٧.

(١٧) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٢/ ٤٨، ٤٩.

(١٨) البيت لحاتم الطائي، ديوان شعره، د.ط، دار صادر، بيروت ١٤٠١ هـ، ص: ٥٠.

(١٩) سورة ق، ١٩.

(٢٠) ينظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط /١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ١٩٩٦م، ١/ ١٣٩.

(٢١) ينظر هذا البيت في: لبيد بن ربيعة، ديوان شعره، اعتناء: حمدو طماس، ط/١، دار المعرفة بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ، ص: ٢٤.

(٢٢) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٩٦، ١٩٧، وينظر أيضاً: عبد القادر ابن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ، ٢/ ٢٤٩.

(٢٣) البخاري، الأدب المفرد، تخريج وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/٢، دار الصديق الجبيل – السعودية ١٤٢١هـ، ص: ٣٠٢، ورقم الحديث ٨٦٦ وهو صحيح، وقد استقت رضي الله عنها هذا الرأي النقدي من قوله صلى الله عليه وسلم: «الشعر بمنزلة الكلام، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام» صحيح لغيره، ينظر: البخاري، الأدب المفرد، ص: ٣٠١، والحديث رقم: ٨٦٥ عن عبد الله بن عمرو.

(٢٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩ /٣٨٨، ٣٨٩.

(٢٥) الأصفهاني، حلية الأولياء، ٢/ ٥٠.

(٢٦) عباس محمود العقاد، الصديقة بنت الصديق، ط/١٢، دار المعارف، القاهرة د. ت، ص: ٤٤.

شموخ

عابدين الخطاري - مصر

كل الجرائم لن تفيدَهْ ... ولست من يخشى وعيدَهْ
كلا ولا من ريحه ... تهتز من جسدي جريدَهْ
أنا بالشموخ مخلَّد ... ما دامت الدنيا زهيدَهْ
أنا ذلك الحصن الذي ... صدّ القريبة والبعيدَهْ
وعلى المكائد قد أطلّ ... ببسمة الثقة الأكيدَهْ
ما ضره قذف الصغار ... وظلّ معجزة فريدَهْ!

❊ ❊ ❊

أنا إن ذهبت فإنني ... سأعود في شعل جديدَهْ
في الرعد في الطوفان يك ... سح زيف قلعته الوطيدَهْ
في زهرة الصبار تحـ ... ـمل بالشهيد وبالشهيدَهْ
فليَجْرَعَنَّ مكيدتي ... إن المكيدَهْ، بالمكيدَهْ!

❊ ❊ ❊

هذي شظايا بأسه ... طارت مبددَهْ بليدَهْ
حتى وإن حوت الشديـ ... ـد من المصائب والشديدَهْ
الحقد شبّ بقلبه ... فأحاله نقما وقيدَهْ
والرعب شتّت عقله ... والرعب عقباه الوحيدَهْ
واليأس يطمس عينه ... فخطاه ليست بالسديدَهْ
تودي به زلاته ... وأنا تثبّتني العقيدَهْ!!

بائع الخبز

عزالدين بلعاليا – الجزائر

بهر المنظر أسامة. فالبياض يكسو كل شيء. نزلت العائلة من السيارة وقد أخذ أسامة بيد أمه يساعدها على السير وسط الثلج، أما أخته بشرى فقد كانت أكثر حظا منه بعد أن حملها والدها على ظهره وسط قهقهاتها العالية وهي ترى والدها ينزلق من حين لآخر.

اعترض طريقهم ولد تظهر من ثيابه الرثة الفاقةُ وقلة ذات اليد، وقد حمل معه سلة كبيرة بها خبز تقليدي، وهو يلح على كل وافد إلى المكان لشراء خبزه..

وما إن رأى والد أسامة حتى سد عليه الطريق.. لكن الوالد صده بلباقة قائلا له: لا، شكرا يا بني، لا نريد، كان الله في عونك!.

لكن يبدو أن الفتى كان مصرا على بيع بضاعته بأية طريقة، فزاد إلحاحه، مما جعل الأب يظهر معه بعض الحزم وقال له: قلت لك: لا نريد، شكرا..

لكن الفتى أخرج من سلته خبزة وهو يقول: انظر إليها يا عم، إنها مصنوعة من قمح محلي، والذي ليس له مثيل في البلد كله.. لقد صنعتها أمي، إنها معروفة بخبزها الشهي هنا.

امتعض أسامة من الفتى، وأراد أن يظهر لعائلته بأسه وإقدامه فتقدم من الفتى ودفعه بيده.. وقال له: ألا تفهم؟ لا نريد خبزك، دعنا وشأننا.

استنكرت الأم تصرف ولدها فنهرته قائلة: لا.. لا يا بني، هذه ليست من شيمنا ولا أخلاقنا ولا ديننا.. واستدارت إلى الفتى بائع الخبز وقالت له: سامحنا يا بني أرجوك!

حمل الفتى سلته، وانصرف من دون أن يقول كلمة.

حتى بشرى الصغيرة لم يعجبها تصرف أخيها وقالت له: لماذا فعلت هذا معه؟ إنه مسكين يريد أن يكسب بعض النقود.

رد عليها أسامة: وماذا تعرفين أنت عن هؤلاء الناس!؟ إنهم استغلاليون وانتهازيون.

مضت العائلة إلى مكان بعيد بعد أن نسيت الحادثة، وأمضوا وقتا رائعا في اللعب بالثلج تارة والتزحلق.. عليه تارة أخرى.

كان الأب والأم جالسين يراقبان ولديهما يلعبان بالثلج.. ولكن فجأة نظر الأب إلى السماء وقد بدا منزعجا وقال لزوجته: علينا المغادرة حالا.. وقد أشار بيده إلى الأفق:

أظن أن عاصفة ثلجية ستضرب المكان، فهذه السحب والريح تخيفني.

كانت مخاوف الأب في محلها، فلم يكادوا يقومون من أماكنهم حتى بدأ الثلج ينزل بكثافة.. حتى إنه حجب الرؤية عنهم.

وصلت العائلة بصعوبة إلى السيارة وانطلقوا عائدين.. أخذ الأب طريقا فرعيا حتى يتجنب زحمة المرور... ولكن الثلج كان قد عمّ كليا في لحظات، ليرغم السيارة على التوقف في مكان معزول إلا من الأشجار المرتفعة.

نزل الأب من السيارة ليتفقد المكان.. لكن سرعان ما عاد خائبا وانضم إليهم .

كان الوقت يمر بسرعة، وبدأ الظلام ينسل عبر الغابة، مما جعل المنظر موحشا جدا.

سأل أسامة والده: ماذا سنصنع يا أبي؟

الأب: ليس في وسعنا سوى الانتظار.. وربما سنضطر لقضاء الليلة هنا.

صاحت بشرى مذعورة: أنا خائفة يا أمي.. كما أني أشعر بالجوع والبرد.

الأم: ليس معنا شيء.. لقد نفد كل الطعام الذي جلبناه معنا.. تحلّي بالقليل من الصبر يا بنيتي عسى الله أن يجعل لنا مخرجا.

لم تكد الأم تكمل كلامها حتى صاحت بشرى مرة أخرى بأعلى صوتها وقد دست وجهها في صدر أمها: هناك وحش يا أمي.. إنه ينظر إلينا من خلال النافذة..

نظر الجميع إلى نافذة السيارة.. فرأوا شبحا يطل من خلالها... ولكن سرعان ما تبدد خوفهم عندما راح الشخص الغريب يزيح الضباب عن النافذة، وأخذ يطرق بيده وهو ينادي:.. هل أنتم بخير؟

نزل الأب بسرعة من السيارة، ولكم كانت دهشته كبيرة وهو يرى فتىً.. سرعان ما تذكره، إنه بائع الخبز.

تنفس الأب الصعداء وقال: الحمد لله.. لقد أرسلك الله إلينا في الوقت المناسب، لقد كدنا نهلك.. وأمر أفراد عائلته بالنزول ليندهشوا هم كذلك لهذه المصادفة الغريبة.

سأل الأب الفتى: ما اسمك يا بني؟

أجابه: إبراهيم.

قل لي يا إبراهيم: هل تعرف مكانا قريبا من هنا يمكن أن نأوي إليه؟

إبراهيم: اتبعوني..

وبعد مسير مرهق وسط الغابة المظلمة.. وصلوا إلى كوخ صغير.

سألت الأم: ما هذا يا إبراهيم؟ هل هناك من يعيش هنا؟

إبراهيم: إنه منزلنا وأنتم ضيوفنا الليلة.

شعر الجميع بالخجل بعد ما تذكروا تصرفهم مع إبراهيم.. وكان أكثرهم حرجا أسامة... وما إن دخلوا البيت حتى وجدوا عائلة إبراهيم مجتمعة حول الموقد.

إبراهيم: أمي.. الجماعة ضيوف عندنا الليلة، فقد علقوا في الثلج.

نهضت أمٌّ إبراهيم وابتسامة على محياها وقالت: مرحبا بكم.. والحمد لله على سلامتكم، أنتم في بيتكم..

الأب: والله لا نعرف كيف نشكركم!

حضرت أم إبراهيم مكانا لهم وقالت: بعد أن نتعشى معا يمكنكم المبيت في هذا المكان.. والصباح رباح.

وبعد العشاء اجتمعت العائلتان على الموقد.. وقد شد إعجاب عائلة أسامة تلك البساطة والسعادة التي يعيش فيها إبراهيم وعائلته رغم ضيق الحال.

خاطب والد أسامة إبراهيم قائلا: أنا آسف حقا لما بدر منا اليوم.. أنتم أشرف وأطيب ناس قابلناهم في حياتنا.

لكن يبدو أن إبراهيم لم يهتم للأمر كثيرا وقال: لا عليك يا عم.. فلقد ألفت هذا من الناس... كما أني أيضا أفرط في إلحاحي.. فكما ترون نحن نعيش في هذه المنطقة القاسية المعزولة، ونحن نستغل فرصة الشتاء لكسب بعض النقود من الزوار من خلال بيع الخبز.. ولكن صدقوني نحن لسنا طماعين ولا انتهازيين.. فأمي تتعب كثيرا في تحضير الخبز.. كما أني أيضا أتعب في بيعه كما رأيتم..!

وضع والد أسامة يده على كتف إبراهيم وقال له: بارك الله فيك يا بني.. لقد أعطيتنا درسا في الشهامة والكرم.

رد إبراهيم ضاحكا: والآن.. هل تشترون مني بعض الخبز؟

ضحك الجميع، واستمر سمرهم حتى ساعة متأخرة من الليل ■

الاتجاه الإسلامي في الرواية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

دراسة نقدية

رسالة دكتوراه

للباحث: د. علي بن محمد الحمود

تعد الرواية وسيلة ناجعة يستعين بها كل من أراد أن ينشر آراءه وأفكاره ومعتقداته، وأداة فعّالة من أدوات التعبير عن القضايا والأفكار.

وحريٌّ بالأدباء المسلمين أن يلتفتوا إلى هذا الفن، ويستعينوا به في تحقيق أهدافهم النبيلة، فينشروا القيم الإسلامية الصحيحة في مجتمعاتهم، ويحاربوا التصورات الخاطئة، والمفاهيم المنحرفة، ويوجدوا البديل الذي يُغني عن قراءة الأعمال الروائية العبثية.

وقد عايشت واقع الرواية العربية من خلال دراستي السابقة في مرحلة الماجستير، حيث درست (صورة الشخصية الإسلامية في الرواية العربية المعاصرة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري: دراسة نقدية).

ومن خلال اطلاعي على النتاج الروائي في الدول العربية والدراسات النقدية التي تناولت ذلك النتاج لم أقف على دراسات تحدثت عن الاتجاه الإسلامي في الرواية في دول مجلس التعاون الخليجية؛ لذا رأيت أن يكون (الاتجاه الإسلامي في الرواية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: دراسة نقدية) هو موضوع دراستي لهذه المرحلة، لأسهم في التعريف بالرواية الإسلامية وبكتّابها في تلك الدول بصورة خاصة، وبالرواية في دول مجلس التعاون الخليجية بصورة عامة.

وهذه الدراسة محاولة لإغناء الجانب التطبيقي للأدب الإسلامي، وإنصاف الروائيين ذوي التوجه الإسلامي من تجاهل النقد الأدبي لرواياتهم ذات المضمون الإسلامي الهادف، والحكم عليها بالضعف فنياً؛ لمجرد أنها تدعو إلى نشر القيم الإسلامية، وهذا الأمر أدى إلى العزوف عن خوض تجربة الكتابة الروائية، أو التوقف عنها.

أما الكتابات الروائية الأخرى فتلقى عناية واهتماماً؛ لذا فإن هذا البحث يسعى لإنصاف هؤلاء الروائيين، ويدعو إلى مواصلة العطاء، قال تعالى:

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ

جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ (الرعد).

والدراسة التي أقدمها – فيما أعلم – هي الدراسة المستقلة الأولى التي تتحدث عن الاتجاه الإسلامي في دول مجلس التعاون الخليجية.

وقد أفدت في هذه الدراسة من الدراسات النقدية التي انطلقت في دراسة الفن القصصي من منظور إسلامي، ومنها:

١ – الاتجاه الإسلامي في آثار باكثير القصصية والمسرحية: د.عبد الرحمن بن صالح العشماوي[١].

٢- الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية: د.عبد الله بن صالح العريني[٢].

٣ – الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني: د.حلمي القاعود[٣].

٤ – الرواية الإسلامية المعاصرة: د.حلمي القاعود[٤].

٥ – في القصة الإسلامية المعاصرة (دراسة تطبيقية): محمد حسن بريغش[٥].

وقد قرأت ما يزيد على مائتي رواية؛ وقع اختياري على عشرين رواية منها، جعلتها الأساس الذي قامت عليه هذه الدراسة، وراعيت أن يكون الاختيار وفق الشروط العلمية، من حيث شمولها لكل بلدان مجلس التعاون، وتنوع موضوعاتها، إضافة إلى بروز الاتجاه الإسلامي ووضوحه في كل رواية؛ مما يجعلها تمثل بحق الاتجاه الإسلامي[٦].

وبالإضافة إلى الروايات العشرين التي قامت عليها هذه الدراسة فقد عمدت إلى الاستشهاد في بعض المواضع بروايات أخرى، تمثل الاتجاه الإسلامي والاتجاهات الأخرى؛ لإغناء المادة العلمية لهذه الدراسة، وإظهار تميّز روايات الاتجاه الإسلامي.

وقد سرت في هذه الدراسة وفق المنهج الفني مع الاستعانة بالمنهجين التاريخي والنفسي في بعض مباحث

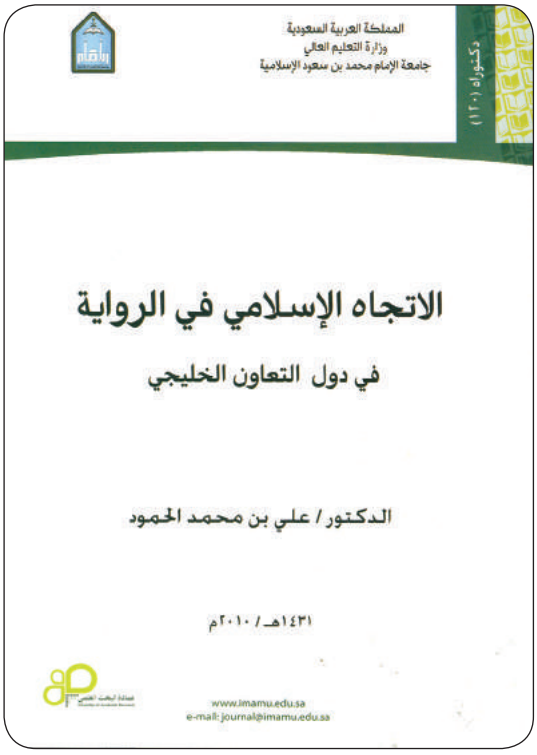

الدراسة. وعمدتُ إلى إحالة القارئ في كثير من المواضع إلى نماذج أخرى؛ بهدف إغناء الجانب التطبيقي في الدراسة، وحتى لا تكون مجرد كلام نظري يظل عاجزاً عن تقديم رؤية نقدية مقنعة للمتلقي.

ولم أحدد فترة زمنية تقف عندها الدراسة[٧]؛ لحرصي على متابعة النتاج الروائي؛ بحثاً عن الروايات المرتبطة بموضوع الدراسة؛ مما جعلني أعيد صياغتها أكثر من مرة، لإضافة نماذج جديدة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون الموضوع في تمهيد وخمسة فصول وخاتمة.

◁◁ مفهوم الاتجاه الإسلامي في الرواية

وقد مهدتُ لهذه الدراسة بالكشف عن مفهوم الاتجاه الإسلامي في الرواية، وظهر أنّ الرواية الإسلامية تنبثق من رؤية إسلامية واضحة، وتشمل كافة مناحي الحياة والكون والإنسان.

وتحدثت عن أبرز سمات مضمون الروايات الإسلامية، وهي: الاتساع، والواقعية، والغائية، والصدق.

وعرضت بإيجاز للنتاج الروائي في دول مجلس التعاون الخليجية، من حيث النشأة والتطور، وكان

(لعبد القدوس الأنصاري) في رواية (التوأمان) فضل السبق في هذا الميدان، إذ تعدّ روايته المحاولة الأولى لكتابة الرواية في هذه الدول. أما رواية (ثمن التضحية) (لحامد دمنهوري) فتظل علامة بارزة في تاريخ الرواية في دول مجلس التعاون الخليجية؛ لأنّها أول رواية مكتملة فنياً ظهرت في دول مجلس التعاون الخليجية.

وبداية ظهور الرواية في دول مجلس التعاون الخليجية متفاوتة، إذ ظهرت في المملكة العربية السعودية في مرحلة متقدمة، وتأخر ظهورها في بقية الدول.

الأحداث الروائية في روايات الاتجاه الإسلامي

وفي الفصل الأول تناولت الأحداث الروائية في روايات الاتجاه الإسلامي، وتحدثت عن المصادر التي استقى منها الروائيون أحداث رواياتهم، وكان الواقع أثرى المصادر التي أمدت الروائيين بالأحداث، وكذلك اتجهوا إلى التاريخ الإسلامي: قديمه وحديثه، ووجدوا فيه مادة خصبة أمدتهم بالأحداث المختلفة.

ثم تحدثت بعد ذلك عن أبرز سمات الأحداث الرئيسة في روايات الاتجاه الإسلامي، ومنها أنّها شديدة الارتباط بقضايا الأمة، وركزت على جوانب الصراع بين الإسلام وأعدائه.

وتناولت الدراسة أثر الأحداث الثانوية في تمثل القيم الإسلامية، مثل: (نشر تحية الإسلام في المجتمع، والصبر، والتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي).

الشخصيات الروائية في روايات الاتجاه الإسلامي

وأفردت الفصل الثاني للحديث عن الشخصيات الروائية في روايات الاتجاه الإسلامي، وناقشت فيه مفهوم البطولة في الآداب القديمة، وفي الرواية الحديثة، وتحدثت عن مفهوم البطولة إسلامياً، وظهر أنّ بطولة الشخصيات الإسلامية تبرز بوضوح من خلال نجاحها في بناء مجتمع إسلامي، قوامه العقيدة الإسلامية الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وتحدثت بعد ذلك عن أبعاد رسم الشخصية الإسلامية، ففي البعد الخارجي تناولت هيئة الشخصيات الإسلامية، وملامحها الجسدية، والزي الذي ترتديه. ومن خلال دارسة البعد النفسي بدت سمة الوقار من أبرز السمات التي ميزت الشخصيات الإسلامية عن غيرها من الشخصيات، وظهرت الشخصيات الإسلامية مؤمنة بالله تعالى، ومتفائلة، ومتسمة بالرفق واللين. ومن خلال دراسة البعد الاجتماعي تحدثت عن عمل الشخصيات الإسلامية، ومنزلتها الاجتماعية، وحالتها المادية، وثقافتها، وأثرها في مجتمع الرواية.

وتطرقت بعد ذلك إلى تصوير الشخصية الإسلامية بين الإيجابية والسلبية، حيث ظهرت الشخصيات الإسلامية إيجابية في معظم مواقفها، وفرضت عليّ الموضوعية عرض نماذج لسلبية بعض الشخصيات الإسلامية.

وحديثي عن سمات الشخصيات الإسلامية هو المبحث الأخير في الفصل الثاني، وكان تحول الشخصيات إلى الهدى والحق من أهم ما جاء فيه.

عناصر الحبكة الفنية في روايات الاتجاه الإسلامي

وفي الفصل الثالث تناولت بالدراسة أهم عناصر الحبكة الفنية في روايات الاتجاه الإسلامي، حيث تحدثت عن أنواع الحبكة الفنية من حيث موضوعها، وتركيبها، ومصير شخصية البطل.

وتحدثت عن البداية، موضحاً مدى نجاح الروائيين في اختيار لحظة بداية الأحداث.

وعرضت بعد ذلك لوسائل التشويق التي جاءت في روايات الاتجاه الإسلامي في دول مجلس التعاون الخليجية، ومنها: إخفاء حقيقة شخصية من الشخصيات الروائية، وإيراد بعض الأحداث (البوليسية)، وتبادل تحقيق النصر بين القوتين المتصارعتين، والاعتماد

على أسلوب مماطلة القارئ، وبداية أحداث الرواية من حيث كان يجب أن تنتهي.

وتحدثت بعد ذلك عن أشكال الصراع في روايات الاتجاه الإسلامي، وهي: الصراع النفسي، والصراع بين الشخصيات الروائية، وصراع الأوضاع المتضادة. وأظهرت الدراسة نجاح الروائيين في توظيف عنصر الصراع توظيفاً يتفق مع التوجهات الإسلامية، حيث كانت النفس اللوامة حاضرة في نفوس الشخصيات الإسلامية، وقدّمتْ صوراً مختلفة لصراع الأوضاع المتضادة، ومنها: الصراع المسلح بين الإسلام وأعدائه، والصراع الفكري بين الإسلام والتيارات التغريبية، والصراع الحضاري بين الأمم.

وعرضت بعد ذلك للتوقيت والإيقاع، وتحدثت عن مدى نجاح الروائيين في اختيار الوقت المناسب للكشف عن الأحداث والشخصيات، وأشرت إلى تفاوت حركة سير الأحداث، من حيث البطء والسرعة.

وتطرقت إلى عنصر العقدة في روايات الاتجاه الإسلامي، وكانت الروايات ذات العقدة الواضحة أكثر من الروايات ذات العقدة غير الواضحة. وقد بدت معظم الشخصيات الإسلامية في أشد المواقف مؤمنة بالله تعالى، ومتوكلة عليه.

وفي المبحث الأخير من الفصل الثالث درست الحل في روايات الاتجاه الإسلامي، وظهر تفاوت الحل

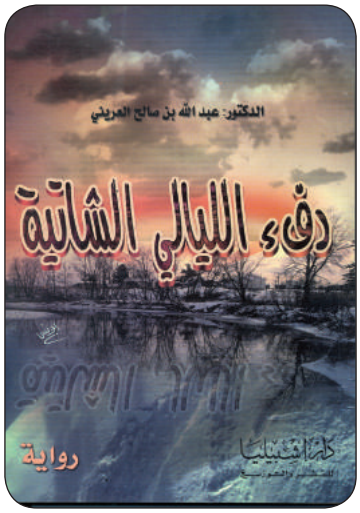

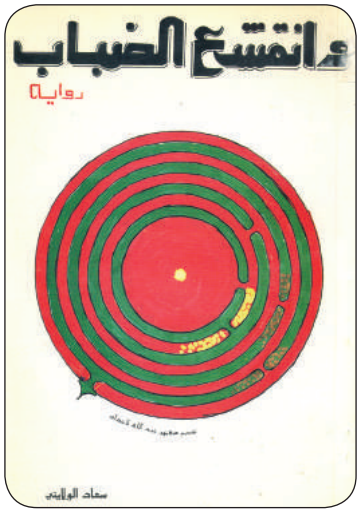

في الروايات، حيث كانت نهاية الأحداث في بعض الروايات تقليدية، وعمل بعض الروائيين على ترك نهاية الأحداث مفتوحة. وأهمية هذا العنصر تكمن في كونه آخر ما يطالعه القارئ في الرواية.

البيئة في روايات الاتجاه الإسلامي

وفي الفصل الرابع تحدثت عن البيئة في روايات الاتجاه الإسلامي، من خلال الحديث عن رسم البيئة الروائية: زمانياً ومكانياً، ومدى نجاح الروائيين في جعل البيئة عنصراً حيوياً وفاعلاً ومؤثراً في العناصر الروائية الأخرى. وقد اكتسبت بعض الروايات أهميتها من خلال قدرتها على تشكيل الفضاء الروائي، وصبغه بالصبغة النفسية. وأظهرت الروايات قدرة الشخصيات الإسلامية على إقامة مجتمعات إسلامية، حتى خارج نطاق العالم الإسلامي، كما في رواية (وانقشع الضباب)، و(دفء الليالي الشاتية).

وتحدثت عن سمات البيئة الزمانية، ومنها ارتباط حركة الزمن بالعبادات، واتساعها، وحيويتها. وتحدثت – أيضاً – عن سمات البيئة المكانية في روايات الاتجاه الإسلامي.

وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن أثر البيئة الزمانية والمكانية في الشخصيات، حيث كان للبيئة أثرها الواضح في النواحي الشكلية والنفسية والاجتماعية للشخصيات الإسلامية، وهنا لابد لي من الإشارة إلى أنّ إيجابية

الشخصيات الإسلامية جعلتها تؤثر في المكان، كما في رواية (خطوات نحو الشمس).

◁◁ الأسلوب الروائي في روايات الاتجاه الإسلامي

وأفردت الفصل الخامس للحديث عن الأسلوب الروائي في روايات الاتجاه الإسلامي، حيث ظهر اتسام الحوار بسمات عدة، أبرزها اعتماد اللغة الفصيحة غالباً لغة للحوار بين الشخصيات الروائية، والبساطة، وتكرار الشخصيات الروائية (لوازم أسلوبية) معينة أسهمت في الكشف عن جوانب خفية في تلك الشخصيات.

وتحدثت عن ملاءمة الحوار للشخصيات المتحاورة، وذلك من خلال مراعاة الفروق الفردية بين الشخصيات الروائية، وأظهرت الدراسة نجاح الروائيين – غالباً – في مراعاة مطابقة الحوار للشخصيات الروائية، وذكرت –أيضاً– بعض النماذج التي أخفق فيها الروائيون في جعل الحوار الصادر عن الشخصيات ملائماً لطبيعتها.

وأظهرت الدراسة كثرة ترديد الشخصيات الإسلامية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وذلك من خلال دراسة المعجم الإسلامي في الأسلوب الروائي.

وأظهرت الدراسة أهمية أسلوب التوجيه المباشر وغير المباشر، من خلال حرص الروائيين على تقديم صورة حقيقية للإسلام، وتجسيد حقيقة الصراع بين الخير والشر، ومجابهة الأفكار العبثية من خلال الأسلوبين المباشر وغير المباشر. وذكرت الدراسة صوراً مختلفة للتوجيه غير المباشر، ومنها: تقديم شخصيات إسلامية إيجابية، وتقديم أحداث ثانوية تمثل القيم الإسلامية، وانتصار الحق وأهله في نهاية المطاف، وإخفاق الشخصيات الشريرة في تحقيق أهدافها.

وبينت الدراسة أساليب سرد الأحداث الروائية، فظهر أنّ سرد الأحداث الروائية بضمير الغائب هو الصيغة الأكثر استخداماً. وظهر أنّ روايات الاتجاه الإسلامي قد استوعبت معظم الوسائل الفنية المتبعة في سرد الأحداث الروائية، مثل: الحوار الداخلي، وأسلوب الرسائل والمذكرات.

◁◁ توظيف بعض القيم البلاغية في الأسلوب الروائي

وفي المبحث الأخير تحدثت عن توظيف بعض القيم البلاغية في الأسلوب الروائي، وهي: أسلوب الاستفهام، والصور الفنية، والطباق، وهي من أكثر الفنون البلاغية شيوعاً في الأسلوب الروائي، وتعطي صورة واضحة عن توظيف القيم البلاغية بصورة عامة في الأسلوب الروائي.

وقد انتهى هذا البحث إلى نتائج عدة من أهمها:

أولاً: بدت روايات الاتجاه الإسلامي في دول مجلس التعاون الخليجية وثيقة الصلة بقضايا مجتمعاتهم، إذ سجلوا في رواياتهم أبرز التغيرات التي ظهرت في مجتمعاتهم في المراحل المختلفة، ونقدوا بعض النقائص الاجتماعية والانحرافات الخلقية التي طرأت على المجتمعات الإسلامية، وتجاوزوا ذلك إلى عرض قضايا المسلمين الكبرى، كقضية فلسطين، وما تعرض له الشعب الصومالي المسلم من فقر وقتل وتشريد.

ثانياً: سجّلت روايات الاتجاه الإسلامي التاريخية المواقف البطولية المشرفة للأمة الإسلامية في وجه الأطماع الاستعمارية التوسعية، وأظهرت أنّ خير وسيلة للخلاص من الاستعمار إخلاص النية لله تعالى، وتوحيد الصفوف،

وقدّمت نماذج مشرقة للجهاد الإسلامي تسهم في بعث الأمجاد الإسلامية، وتبعث في النفوس مبدأ الجهاد.

ثالثاً: قدّمت روايات الاتجاه الإسلامي نماذج مختلفة للشخصيات الإسلامية العربية، وقدّمت شخصيات إسلامية من دول إسلامية غير عربية (كباكستان)، ومن دول غير إسلامية (كأمريكا)، وهذا يؤكد الفهم الصحيح لواقع الإسلام من قبل الروائيين، وعالمية الدين الإسلامي.

رابعاً: اعتمدت معظم روايات الاتجاه الإسلامي اللغة الفصيحة في الحوار بين الشخصيات الروائية، وكانت الاستعانة بالألفاظ العامية في نطاق ضيق.

خامساً: وظفت الرواية الإسلامية المعجم الإسلامي في الأسلوب الروائي من خلال مظاهر عدة، أبرزها: حسن استشهاد الشخصيات بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، واستحضارها في المواقف المناسبة.

سادساً: أظهرت روايات الاتجاه الإسلامي قدرة الشخصيات الإسلامية على الحياة الإسلامية، حتى في خارج البلاد الإسلامية، وتمكنت تلك الشخصيات من التعايش مع واقعها الجديد، مع التمسك بعقيدتها، والمحافظة على عاداتها وتقاليدها؛ وهذا يتفق مع عالمية الدين الإسلامي.

سابعاً: للروائيات في هذه الدراسة حضور واضح، حيث كان من بين الروايات التي قامت عليها هذه الدراسات تسع روايات لكاتبات من دول مجلس التعاون الخليجية، وهذا العدد يقارب نصف روايات الدراسة تقريباً، وفي هذه الروايات عرض لمشكلات المرأة من خلال وجهة نظر إسلامية، ورد على دعوات تغريب المرأة المسلمة، وإخراجها من بيتها.

ثامناً: جاء الحل في معظم روايات الاتجاه الإسلامي في حتمية انتصار الخير والحق في نهاية المطاف، وقد حققت جل الشخصيات الإسلامية نجاحات متفاوتة في نهاية الروايات. وكانت عودة الشخصيات الإسلامية إلى طريق الحق والهدى من أنجع وسائل التوجيه غير المباشر؛ لأنّها تبعث الأمل في النفوس.

تاسعاً: تبين أنّ الرواية الإسلامية في دول مجلس التعاون الخليجية قد استفادت من الوسائل الفنية الحديثة مع المحافظة على المضمون الهادف، وأنّها تسير بخطوات حثيثة في سبيل مواكبة النتاج الروائي في تلك الدول.

عاشراً: قدّمت الرواية الإسلامية في دول مجلس التعاون الخليجية نماذج بشرية متنوعة تمثل الخير والشر، ويحسب لهذه الروايات أنّها لم تقف طويلاً عند لحظات السقوط، وبخاصة إذا ما علمنا أن قرّاء الروايات معظمهم من الشباب.

وأرى ضرورة تشجيع الكتّاب ذوي التوجهات الإسلامية من خلال الإسهام في نشر كتاباتهم، وتقديمها للقراء، ومن ثمّ تقويمها.

وبعد؛ فأرجو أن أكون قد قدّمت شيئاً، ولو يسيراً، للمكتبة النقدية الروائية، كما أرجو أن تفتح هذه الدراسة الباب أمام دراسات أخرى مماثلة عن الرواية في دول مجلس التعاون الخليجية التي مازالت بحاجة إلى مزيد من الدراسات النقدية، وبخاصة تلك الدراسات التي تنطلق من منظور إسلامي■

الهوامش:

(١) من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، (١٤٠٩هـ).

(٢) من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، (١٤٠٩هـ).

(٣) رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ط ١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

(٤) من منشورات نادي جازان الأدبي، ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

(٥) مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

(٦) ذكرت الروايات العشرين في ثبت المصادر.

(٧) نوقشت الرسالة في ١٦/ ١١ / ١٤٢٢هـ، بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

معالم على طريق الأدب الإسلامي

تأليف: طاهر العتباني
عرض: شمس الدين درمش

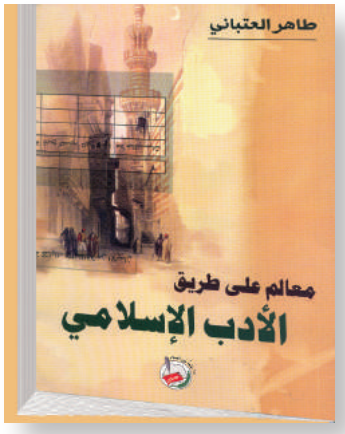

يعد هذا الكتاب إضافة جديدة في السعي لصياغة واضحة لنظرية الأدب الإسلامي، من خلال تأكيد الحاجة إليه في التعبير عن الهوية الأدبية الإسلامية التي تنازعتها التوجهات الأدبية الخارجية.

ولتوضيح ذلك تحدث المؤلف في النصف الأول من الكتاب عن المدارس الأدبية الكلاسيكية والواقعية والوجودية والرمزية وغيرها. ووقف بشكل أدق عند المدرسة الرومانسية وتأثيرها الكبير على الشعراء العرب في القرن العشرين.

وقدم أمثلة من شعر أحمد عبدالمعطي حجازي، وصلاح عبدالصبور في الثورة على الثوابت العقدية الإسلامية من خلال ما كتبه الناقد عزالدين إسماعيل عن شعر حجازي خاصة.

وفي رصده للإبداع الشعري الإسلامي المعاصر يشير المؤلف الى عدد من الشعراء الكبار مثل أحمد شوقي، وأحمد محرم، وحافظ إبراهيم، وعمر الأميري.

وفي مجال الرواية يشير إلى نجيب الكيلاني وعلي أحمد باكثير، ويقرر أن مساحة الأدب الإسلامي الذي تم إبداعه بالفعل أقل من المأمول، وبعض هذه الإبداعات فيها شوائب كثيرة، ويدعو إلى توسيع دائرة الأدب الإسلامي لتشمل كل أدب لا يتعارض مع ثوابت العقيدة والشريعة، ويعبر عن الحياة والكون والإنسان بجمالية فنية تحقق أدبية الشكل والمضمون.

ويرى المؤلف أن كثيرا من مظاهر الحياة الطبيعية يمكن تسخيرها للتعبير عن الرؤية الإسلامية بأسلوب أدبي مؤثر مثل قصيدة الجبل لابن خفاجة الأندلسي وغيرها.

ورصد المؤلف عددا من المعايير والأسس لصياغة نظرية الأدب الإسلامي، وهي:

١ – انطلاق الأدب من قاعدة عقدية وفكرية قائمة على الإسلام يتميز بها عن سائر النظريات الأدبية في العالم.

٢ – الالتزام بالضوابط الإسلامية في التعبير عن المشاعر والعواطف والآراء والأفكار.

٣ – بدء التغيير من النفس الإنسانية بتثقيفها وتربيتها على القيم الإسلامية من خلال توظيف الفنون الأدبية من شعر وقصة ورواية ومسرحية وغيرها.

٤ – إعادة النظر في الركام الأدبي الذي نتج عن تأثير المذاهب الأدبية الغربية، والتخلص من آثارها.

٥ – إن الأدب الإسلامي يمد الصحوة الإسلامية بالوقود الروحي من خلال التعبير الأدبي الموحي الجميل.

٦ – إن الأدب الإسلامي يساعد في تجلية مفاهيم الإسلام في عالم يمتلئ بالتيارات والمذاهب التي تتخفى خلف العبارة الموحية والتعبير الفني في بث أفكارها.

٧ – إن الأدب الإسلامي موجود في لغات وآداب الشعوب الإسلامية غير العربية كما هو موجود في الأدب العربي.

فهذه المعايير وغيرها تؤكد ضرورة التمسك بمصطلح الأدب الإسلامي والدعوة إلى الإبداع فيه، وترسيخ جذوره، وتحديد أطره ليقوم بدوره الإيجابي الفاعل في حياة المسلمين خاصة، وفي الحياة الإنسانية عامة.

صدر هذا الكتاب عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع بعمان في الأردن، بطبعته الأولى، ٢٠١٠م. ويقع في ١٢٨ صفحة من القطع العادي ■

المسرحيات الإسلامية القصيرة لعلي أحمد باكثير

عرض: التحرير

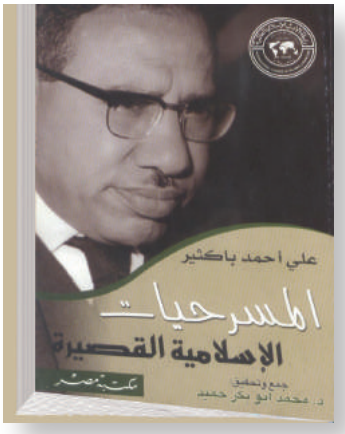

يعد هذا الكتاب من ثمرات المؤتمر الكبير الذي عقد في القاهرة بعنوان (علي أحمد باكثير حياته وأدبه) بالتعاون بين اتحاد الأدباء والكتاب العرب ورابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

ويضم الكتاب إحدى وأربعين مسرحية إسلامية قصيرة من المسرحيات التي لم تنشر من قبل في كتاب، وإن نشر أكثرها في الصحف والمجلات، حيث كان الدكتور محمد أبو بكر حميد يجمعها من بين أوراق باكثير المخزنة في مصر، ويحققها ثم يدفعها للنشر كلما أمكنه ذلك، حتى ارتبط اسمه بأدب باكثير.

وكتب د. حميد مقدمة للكتاب تناول فيها بإيجاز مسرحيات باكثير القصيرة عامة، يقول فيها: إنها تزيد عن مئتي مسرحية نشر بعضها من قبل مثل مجموعة (من فوق سبع سماوات)، ومجموعة (هكذا لقي الله)، ومجموعة (مسرح السياسة)، وهناك مجموعة لم تدخل في هذا الكتاب أيضا، ولعل القارئ يتمنى أن يراها جميعا في كتاب واحد بعنوان: المسرحيات القصيرة الكاملة لباكثير!. وهي تستحق دراسة أكاديمية خاصة.

ويرى د.محمد أبو بكر حميد أن مسرحيات الكتاب تنقسم إلى قسمين؛ مسرحيات تعنى بالشخصية مثل مولد النور عن ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإمام عظيم عن أحمد بن حنبل، والإمام الشجاع عن ابن تيمية، وجار أبي حنيفة، والفضيل بن عياض وهارون الرشيد، وحارس البستان إبراهيم ابن أدهم.. وغيرها. ومسرحيات تعنى بالحدث أو بالفكرة مثل الرزق الحلال، وأفضل العمل، وقصر في الجنة، وهلك المتنطعون، والدعوة المستجابة، ولن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.. وغيرها.

ويمكن تقسيم هذه المسرحيات حسب بعدها الزمني؛ فهناك مسرحيات تناولت موضوعات من قبل بدء الوحي، ومنها مولد النور، والبيت العتيق عن بناء الكعبة، والمشرك الأول عن دخول عبادة الأصنام إلى جزيرة العرب، وأصحاب الغار الثلاثة الذين ذكر الحديث النبوي قصتهم.

ويتناول باكثير مواقف من حياة الصحابة مثل عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وخبيب بن عدي، وسلمان الفارسي، وأبي الدرداء. ومسرحيات أخرى تناولت مواقف لشخصيات من العلماء الربانيين، والوعاظ وبعض الخلفاء بعد الصحابة مثل عمر بن عبد العزيز، والفضيل بن عياض، وهارون الرشيد، والإمام أحمد، وابن تيمية، وحاتم الأصم.. وغيرهم.

وفي الكتاب مسرحية عن الشاعر أبي العلاء المعري، ومسرحية يمكن تصنيفها في الملهاة، بعنوان: ياليل ياعين!، وأخرى قريبة منها بعنوان: الشاعر والربيع! وهي المسرحية الشعرية الوحيدة في الكتاب.

وهذه المسرحيات تهدف إلى ترسيخ العديد من القيم الدينية والاجتماعية في حياة الفرد والمجتمع مثل الإخلاص، والورع، والزهد، والإنفاق، والإيثار، والاهتمام بشؤون الرعية من قبل الحاكم، ونصحه من قبل العلماء العاملين، وغير ذلك من المعاني والقيم. فهي تاريخية ذات صلة بالواقع. صدر الكتاب في القاهرة عن مكتبة مصر في طبعته الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ■

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب السعودية - محمد شلال الحناحنة:

محمد إقبال شاعر الرسالة الإسلامية

استضاف المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض الباحث الدكتور فهمي النجار في الملتقى الأدبي الشهري ٢٦محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١١/٢١/٢١م، في محاضرة بعنوان: محمد إقبال شاعر الرسالة الإسلامية.

وتحدث د. النجار عن نشأة إقبال والعوامل المكونة لثقافته الإسلامية، والمكانة العالية لأدبه في العالم، ولدى المسلمين خاصة.

وعرض لدواوينه الشعرية وفلسفته، وموقفه من الحضارة الغربية، ورؤيته في النهوض بالشرق عامة والعالم الإسلامي خاصة.

وأثارت المحاضرة عدة مداخلات شارك فيها محمد شلال الحناحنة، وشمس الدين درمش، ود.وليد قصاب، وجبران سحاري، ود.عمر خلوف عن جوانب متعددة في أدب إقبال المترجم المتداول بالعربية، وأنه لا يمكن أن يمثل المكانة الحقيقية لشعر إقبال بسموه الفني الذي اشتهر، بسبب ضعف الترجمة وتعرضها لكثير من التحريف غير المتعمد، وأن الترجمة النثرية التي قام بها الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه روائع إقبال يفوق كثيرا من الشعر المترجم. وقدم الضيف وأدار الملتقى د.عبد القدوس أبو صالح. والجدير بالذكر أن الرابطة أصدرت كتابا بعنوان: الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال تأثيره وتأثره بالعالم العربي، لمؤلفه د. فهمي النجار.

ملتقى الأدباء الشباب إبداعات وقراءات

عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض ملتقاه الدوري للأدباء الشباب لشهر ذي القعدة (١٤/١١/١٤٣٢هـ) والمحرم (١٢/١/١٤٣٣هـ)، وقد ألقيت فيهما مجموعة من النصوص الشعرية والنثرية.

وشارك في الملتقى كل من الشعراء عماد علي قطري بقصيدة: وحيد غريب، وقصيدة: وعائدٌ إليك منك، وعماد الدين الناصر بقصيدة: أراميتي، والمهندس مؤيد حجازي بقصيدة: بهجة الدنيا، وعبد المنعم عيسى الحاج جاسم بقصيدة : أمعفِّرَ الليثِ.

وشارك كل من الكتاب: محمد هشام الشماط بخاطرة عنوانها: والتين والزيتون، وجبران سلمان سحاري بنص من أدب المقامات عنوانها: المقامة اليقظانية، ويس عبد الوهاب بمسرحية: بلال بن رباح -رضي الله عنه، وقرأ الفتى أحمد أيمن ذو الغنى صفحة من ذكرياته مع الشيخ عبد الرحمن الباني رحمه الله بعنوان: لماذا أحببت الشيخ؟!

ويقدم الدكتور وليد قصاب في كل ملتقى نموذجا من كتاباته الشعرية والقصصية، فقدم مقتطفات من ديوانه: صفحات من سيرة عنترة، وقصة بعنوان: البركان.

وملتقى الإبداع يعقد مساء الأربعاء الثاني من كل شهر قمري، يديرها الأستاذ محمد شلال الحناحنة، ويعلق على نصوصها بالنقد والتوجيه الدكتور وليد قصاب، ويشهد حوارات ساخنة حول النصوص في بعديها الموضوعي والفني.

خطاب الانبهار في النقد العربي الحديث

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض ملتقاه الأدبي لشهر ذي الحجة ١٤٣٢هـ، مساء الأربعاء ١٤٣٢/١٢/٢٧هـ، وكان بعنوان: (خطاب الانبهار في النقد العربي الحديث) قدمها الدكتور أحمد الودرنيّ الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وأعاد المحاضر بداية الانبهار في النقد العربي الحديث في المغرب العربي إلى القرن التاسع عشر. ودعا إلى إخضاع حياتنا للإسلام بكل عمقه وقدرته ودوره.

ووجه المحاضر انتقادات كثيرة إلى الناقد المغربي عبدالله العروي في منهجه القائم على الانبهار بالحضارة الغربية، وناقش أفكاره ورؤاه في قضايا الحداثة والأصالة والتراث.

وفي ختام اللقاء قدمت مداخلات وأسئلة عديدة أغنت اللقاء، من: د.وليد قصاب، ود.حبيب المطيري، ود.محمود عمار، والدكتور بجاد الروقي، والإعلامي مازن الجعيد، ومحمد الشهري. و شكر د.عبد القدوس أبو صالح رئيس الرابطة المحاضر على تلبيته الدعوة، وعبر عن إعجابه بمنهجه في طرح هذا الموضوع المهم، ووضوح رؤيته عن المناهج الغربية وموقف الإسلام منها. وختم الملتقى بدعاء من فضيلة الشيخ محمد أحمد بافضل. وأداره د.وليد قصاب.

الحج والمشاعر المقدسة في الشعر

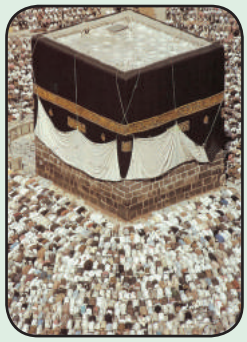

عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض الملتقى الأدبي الشهري مساء الأربعاء ٢٨ذي القعدة ١٤٣٢هـ، بعنوان: الحج والمشاعر المقدسة في الشعر.

وتحدث في الملتقى الدكتور محمود عمار الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بشكل موجز عن الحج في الشعر الجاهلي.

وقرأ عدد من الشعراء قصائد عن الموضوع، وهم: حيدر الغدير، وحبيب المطيري، وعمر خلوف، وجبران سحاري، وقرأ شمس الدين درمش قصيدة للشاعرة انتصار اليحيى وصلت بالبريد الإلكتروني، وقرأ أيضا خماسيتين للشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري. وختمت القراءات الشعرية بقصيدة للدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس الرابطة بعنوان: إيهاً أبا الزهراء.

زيارة عائلية إلى المدينة النبوية
تفوز بالجائزة التشجيعية

شمس الدين درمش

أعلن نادي المدينة المنورة الأدبي عن أسماء عشرين فائزا وفائزة بالمسابقة الإبداعية لكتابة «قصة للأطفال من المدينة المنورة» والتي نظمها نادي المدينة المنورة الأدبي بالتعاون مع مركز بحوث ودراسات المدينة.

وفازت قصة (زيارة عائلية إلى المدينة النبوية) للأديب شمس الدين درمش سكرتير تحرير مجلة الأدب الإسلامي على الترتيب الأول في الجوائز التشجيعية في هذه المسابقة، التي حجبت جوائزها الثلاث الأولى.

مكتب مصر - محيي الدين صالح

من أخبار وأنشطة المكتب الإقليمي في القاهرة

■ في الأسبوع الأول من أبريل أقام المكتب بالتنسيق مع فرع اتحاد الكتاب بالإسكندرية ندوة موسعة عن الأدب الإسلامي وذلك بقاعة قصر التذوق بالإسكندرية أدارها الشاعر أحمد بسيوني.

د. عبدالمنعم يونس

وتحدث فيها الدكتور عبدالمنعم يونس والدكتور سعد أبو الرضا والدكتور زهران جبر، ثم أقيمت أمسية شعرية شارك فيها عدد من شعراء الرابطة إضافة إلى الشاعر الفلسطيني سعيد الغول والشاعر السوري عدنان برازي.

محمد فايد

■ وفي الأسبوع الأخير من أبريل تمت مناقشة ديوان (لمن ينحاز العشق) للشاعر محمد فايد عثمان، شارك في المناقشة الدكتور عادل عوض والناقد د.خالد فهمي وأدار الندوة الدكتور زهران جبر.

■ وفي الأسبوع الأول من مايو أقيمت ندوة لشباب الأدب الإسلامي بكلية دار العلوم بالقاهرة.

محمد الأكسر

■ وفي يوم الاثنين ١٦ مايو كان مناقشة ديوان (قاب قوسين) للشاعر اليمني محمد الأكسر تحدث فيها الشاعر إسماعيل بخيت عن الديوان بورقة عنوانها (سياحة في رياض قاب قوسين)، وقدم محمد الأكسر قراءات متنوعة من ديوانه كما تحدث الدكتور حسين عبد العظيم عن السمت الخاص للشاعر.

■ وفي الأسبوع الأول من يونيه كان اللقاء مع الناقد الأدبي الدكتور سيد إبراهيم (عميد كلية الآداب ببني سويف) دار اللقاء حول (بردة كعب بن زهير وأثرها في التراث)، أدار الندوة الدكتور سعد أبو الرضا.

■ وفي يوم الاثنين ٢٠ يونيه استضافت الرابطة الدكتور حسين عبد العظيم الذي تحدث عن النقد والإبداع في الأدب الإسلامي، وأثار مسألة المعاني والألفاظ أيهما أولا، ثم أقيمت أمسية شعرية على هامش الندوة.

د. حسام عقل

■ وفي يوم الاثنين ٢٧ يونيه كانت الندوة عن أدبيات الثورة المصرية، تحدث فيها الناقد الأدبي الدكور حسام عقل مستعرضا بعض النماذج الشعرية لشعراء مصر حول ثورة يناير ٢٠١١م، ثم قدم شعراء الرابطة نماذج من أشعارهم في الموضوع ذاته.

■ وفي الأسبوع الأول من يوليو كان اللقاء مع الشاعر الدكتور عبد الغفار هلال (عميد كلية اللغة العربية السابق) حول بردته أو معارضته لبردة كعب بن زهير.

د. عبدالغفار هلال

■ وفي الأسبوع الأخير من يوليو تمت مناقشة ديوان (ليل الهوى) للشاعرة محبوبة هارون، أدار الندوة الدكتور زهران جبر، وتحدث فيها الشاعر إسماعيل بخيت والشاعر محمد حافظ.

■ وفي الأسبوع الأول من أكتوبر تمت مناقشة ديوان (ذكريات الهوى) للشاعر محمود شحاته أدارها الدكتور زهران جبر. وتحدث في الندوة الدكتور خالد فهمي محللا محتويات الديوان برؤيته النقدية، ذلك بعد أن قدم الشاعر شحاته نماذج من شعره.

د. سعد أبو الرضا

■ وفي يوم الاثنين ١٧ أكتوبر قدم الدكتور سعد أبو الرضا محاضرة بعنوان ملامح من شعر الثورة، تحدث فيها عن نماذج شعرية للشعراء أحمد شبلول وعصام عبد الوهاب وفاروق جويدة وأحمد تيمور، ثم تلت المحاضرة أمسية شعرية شارك فيها عدد كبير من شعراء الرابطة.

■ وفي يوم الخميس ٢٠ أكتوبر، أقام المكتب بالتعاون مع قصر التذوق بالإسكندرية ندوة عن أدبيات الثورة، تلتها قراءات شعرية لعدد من أدباء الرابطة فقدموا من إبداعاتهم عن ثورة يناير. أدار الندوة الشاعر الإسكندري جابر بسيوني (عضو الرابطة).

د. زكي عابدين

بدأت الندوة بكلمة عن نشاط الرابطة، ثم ملامح من شعر الثورة قدمها الدكتور سعد أبو الرضا، ثم تحدث الدكتور زكريا عناني معبرا عن سعادة أدباء الإسكندرية بلقاءات الأدب الإسلامي. وشارك في القراءات الشعرية من القاهرة: د.زهران جبر، ومحمد فايد، ووحيد الدهشان، ومحمود شحاته، ومحيي الدين صالح. ومن الإسكندرية شارك الشعراء ناجي عبد اللطيف، والدكتور زكي عابدين..

■ هذا؛ وقد أقيمت عدد من الأمسيات الشعرية خلال هذه المدة حسب الندوات الأسبوعية أيام الاثنين من كل أسبوع، إضافة إلى بعض القراءات في القصص القصيرة في بعض الأمسيات التي خصصت لها.

علي لغزيوي في رحمة الله

ودعت رابطة الأدب الإسلامية العالمية ومكتبها الإقليمي في المغرب أحد أعضائها البارزين، فقد انتقل إلى رحمة الله الأستاذ الدكتور علي لغزيوي عصر يوم الأحد ١٨ ذي القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق ١٦ أكتوبر ٢٠١١م، ودفن بمقبرة «وسلان» بمدينة فاس.

وعلي لغزيوي من مواليد فاس عام ١٩٤٨م، وكان أستاذا في النقد الأدبي والأدب الأندلسي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، ومسؤولا بقسم الترجمة بالكلية نفسها. وعمل أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بكل من وجدة وفاس، كما عمل محافظا لخزانة (مكتبة) القرويين بفاس.

وتعود عضويته برابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى عام (١٤٠٥هـ /١٩٨٤م) وقد عمل نائبا لرئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب، وعضوا في مجلس أمناء الرابطة. وترك الراحل عدد كبيرا من الأعمال الأدبية والعلمية. ندعو الله جل وعلا أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مكتب الهند - إقبال أحمد الندوي:

الشاعر الإسلامي لسان العصر أكبر الإله آبادي ومعاصروه من الشعراء

عقد فرع مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة غازي فور بولاية أترابراديش في الهند، بتعاون من المدرسة الدينية في غازي فور، بتاريخ ٢/ ذي القعدة ١٤٣٢ هـ، الموافق ١/ أكتوبر ٢٠١١م، ندوة أدبية محلية تحت عنوان «الشاعر الإسلامي لسان العصر أكبر الإله آبادي ومعاصروه من الشعراء».

وافتتح الندوة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، رئيس مكتب شبه القارة الهندية للرابطة، تحدث فيها عن مكانة الشاعر أكبر الإله آبادي بين شعراء المسلمين في الهند، ومميزات شعره الموضوعية والفنية.

وتحدث في الندوة الشيخ عزيز الحسن الصديقي مضيف الندوة والداعي لها ومدير المدرسة الدينية ورئيس فرع الرابطة لغازي فور.

بعد ذلك انعقدت جلستان للبحوث، قدم فيهما واحد وعشرون بحثاً قيماً حول المحاور المختلفة للموضوع، وترأس الجلسة الأولى الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، وأدارها الأستاذ محمد خالد الندوي، وترأس الجلسة الثانية الأستاذ عزيز الحسن الصديقي، وأدارها الشيخ مختار أحمد القاسمي.

الباحثون وعناوين بحوثهم:

١. الشيخ محمد الرابع الندوي (أكبر الإله آبادي ومساعيه في إصلاح أحوال المجتمع).
٢. الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (جكر المراد آبادي و منزلته الشعرية).
٣. الشيخ عزيز الحسن الصديقي (الشيخ السيد عبد الرشيد البزركاوي).
٤. الشيخ نذر الحفيظ الندوي (أكبر الإله آبادي داعياً و مربياً).
٥. الشيخ محمد خالد الندوي (لسان العصر أكبر الإله آبادي و شعره الهزلي).
٦. الشيخ المقرئ ظفر الإسلام الأعظمي (مساعي أكبر الإله آبادي لإصلاح الأحوال عن طريق الشعر الهزلي).
٧. الدكتور تابش مهدي (جكر المراد آبادي شاعر الحب و الإنسانية).
٨. الشيخ أرشد سراج الدين المكي (الشخ ألطاف حسين حالي وقصيدته المعروفة بـ «مسدس»).
٩. الدكتور إلياس الأعظمي (تألم

العلامة شبلي النعماني للملة الإسلامية في شعره الأردي).

١٠. الشيخ محمد عمير الصديق الندوي (أكبر الإله آبادي ودار المصنفين).

١١. الشيخ مختار أحمد القاسمي (الشيخ عبد الأحد شمشاد ومنزلته الشعرية).

١٢. الدكتور شكيل أحمد (جليل المانكبوري ومكانته الشعرية).

١٣. الشيخ إقبال أحمد الندوي (أكبر الإله آبادي وحبه للحضارة الشرقية).

١٤. الشيخ سعود الحسن الندوي (المولوي محمد علي قاري ومجموعة أبياته المسماة «ديوان قاري»).

١٥. الشيخ خورشيد جمال الندوي (شعر أكبر الإله آبادي ومساعيه في إصلاح الأحوال).

١٦. الشيخ مسعود العزيزي الندوي (عناصر المزاح والتبكيت والتنكيت في شعر أكبر الإله آبادي).

١٧. السيد محمود حسن الحسني الندوي (شعر أكبر وأثره على المجتمع)

١٨. الشيخ عبد الرحيم الندوي (أكبر الإله آبادي و المنهج الدراسي الذي أعده الإنجليز).

١٩. الشيخ أجمل فاروق الندوي (أكبر الإله آبادي شخصيته وفكرته في ضوء رسائله).

٢٠. الشيخ مشكور عالم (صمد السرولوي).

٢١. الشيخ محمد ذاكر الباره بنكوي الندوي (ألطاف حسين حالي وقصيدته المسماة بـ «مسدس».

٢٢- الأستاذ علاء الدين الندوي (أكبر الإله آبادي والشيخ ألطاف حسين حالي في ضوء الفكر والفن).

الجلسة الختامية:

وانعقدت الجلسة الختامية في ١/ أكتوبر ٢٠١١م بعد صلاة المغرب برئاسة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي، فقرأ الشيخ نذر الحفيظ الندوي توصيات الندوة، التي دعت إلى توجيه الأدب توجيهاً صحيحاً، وتقديم النماذج الأدبية الرائعة في أسلوب رشيق شيق، ونشر هذه النماذج في ترجمان رابطة الأدب الإسلامي بالهند «كاروان أدب». ودعت أيضا إلى عقد ندوات ومؤتمرات عن الشعراء الإسلاميين الآخرين أمثال الشيخ ألطاف حسين حالي، وأصغر الكوندوي، وجكر المراد آبادي، وشفيق الجونفوري، والشيخ محمد الثاني الحسني، وشهباز الأمروهوي، وحفيظ الجونفوري، وغيرهم من الشعراء الحاملين للفكر الإسلامي. وأكدت على عقد ندوة خاصة عن الشاعرات المسلمات اللاتي لهن حضور كبير في الأدب الأردي.

مكتب الأردن - عبدالله أبو دهاك:

رئيسة المكتب الإقليمي.. في جامعة ناعور

● ضمن فعاليات أسبوع القدس استضاف النادي الثقافي في جامعة ناعور(الأنروا) في عمّان الشاعرة نبيلة الخطيب رئيسة المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن. وقد استقبل رئيس الجامعة د.صالح أبو جادو ونائبته وعميد شؤون الطلبة د.فارس حيدر الشاعرة الخطيب، بالحفاوة والترحيب.

وعرّفت السيدة الخطيب برابطة الأدب الإسلامي العالمية، ودار حديث حول إمكانية تعاون الجامعة مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وتوجيه الرابطة للإبداعات الشبابية والمواهب الأدبية الواعدة في الجامعة، وشهد الحفل إلقاء قصائد من طلبة الجامعة، ومن الشاعرة نبيلة الخطيب.

في الختام قدمت الجامعة درعاً تكريمياً للشاعرة الخطيب، وقدمت الشاعرة عدداً من أعداد مجلة الأدب الإسلامي هدية لمكتبة الجامعة ليتسنى للأساتذة والطلبة الاطلاع عليها والتعرف على الأدب الإسلامي المكتوب بأقلام عدد من الأدباء الإسلاميين المتميزين والملتزمين.

حضر الحفل جمع كبير من الطلبة وأساتذة الجامعة والمهتمين، وأدارته رئيسة النادي الثقافي دعاء مسعود.

تكريم الفقيد غازي الجمل

● أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن بالتعاون مع فرع نقابة المهندسين بالزرقاء حفلاً تكريمياً للمهندس الشاعر غازي الجمل -يرحمه الله، يوم السبت: ٢٠١١/١٢/٢م. شارك فيه نخبة مميزة من رجالات الفكر والأدب وأصدقاء الفقيد. وضمت فقرات الحفل تلاوة من الذكر الحكيم للشيخ عبدالرحمن غازي الجمل، ثم ألقيت كلمات لكل من: د. عدنان حسونة نائب رئيس المكتب في الأردن، والمهندس نضال البزور أمين سر نقابة المهندسين بالزرقاء؛ ود.أحمد الكوفحي، ود.عمر الساريسي، ود.مأمون جرار، ومحمد الحامد، ومحمد الزيود.

وألقى الشعراء محمد الخليلي، وأحمد أبو شاور، وصالح الجيتاوي، قصائد رثاء.

وفي الختام تم تقديم درع تكريمي لأسرة الفقيد باسم المكتب الإقليمي للرابطة في عمان وفرع نقابة المهندسين في الزرقا. وأدار الحفل د.عبد الله الخطيب عضو الهيئة الإدارية للرابطة ومسؤول النشاط الثقافي بالمكتب.

احتفالية الهجرة النبوية لعام ١٤٣٣هـ

● أقام المكتب الإقليمي للرابطة بعمان احتفالية شعرية تحت عنوان «احتفالية الهجرة النبوية لعام ١٤٣٣ هجرية» يوم ١٥/محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١١/١٢/١٠م.

وشارك في الاحتفالية عدد من شعراء الرابطة، هم: د. سليم ارزيقات، وعلي الكيلاني، و بسام زكارنة، وعلي يعقوب سلامة، وأحمد أبو شاور، وسليم الصباح، وبديع رباح. وأدار الاحتفالية الشاعر صالح البوريني الذي تحدث عن المناسبة في مقدمة بديعة.

أمسية قصصية للأديب أحمد أبو شاور

قدم الأديب أحمد أبو شاور أمسية قصصية في المكتب الإقليمي للرابطة بعمان، فقرأ قصتين أولاهما بعنوان: رجلٌ بقلب امرأة. والقصة الثانية

بعنوان: مَهمّة مزدوجة. وأدارت الأمسية القاصة هيام ضمرة، فعرّفت بالقاص، وقدمت قراءة نقدية موضوعية وفنية حول القصتين.

ودار حوار شيق ثريّ وصل إلى حد الجدل بين الحضور والقاص، حيث تفاعل الجمهور مع القصتين بشكل لافت، ولوحظ حضور وجوه جديدة من الضيوف ممن باتوا يحتفون بالأدب الإسلامي.

أبو فراس النطافي في أمسية شعرية

أقام الشاعر محمد ذيب النطافي (أبو فراس النطافي)، أمسية شعرية اشتملت على قراءات متنوعة من الشعر العمودي وشعر التفعيلة، تفاعل معها الجمهور ونالت إعجابه، وأثارت حوارا إيجابياً أضفى على الأمسية مزيداً من الحيوية والتفاعل، وقد أدار الأمسية الشاعر صالح البوريني. ومن القصائد التي قرأها قصيدة «ربيع الحياة» التي أهداها للشاعرة نبيلة الخطيب رئيسة المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، مستحضراً قصيدتها «عاشق الزنبق» التي حصلت على جائزة أفضل قصيدة في الوطن العربي من مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين. أقيمت الأمسية مساء يوم السبت ٢٠١١/١٠/١م.

الشاعر والمؤرخ محمد سمحان في أمسية أدبية

ألقى الشاعر والمؤرخ محمد سمحان، محاضرة في المكتب الإقليمي للرابطة في عمان بعنوان: القصائد الصلاحية، التي قيلت في فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس الشريف، ثم قرأ الشاعر سمحان عددا من تلك القصائد التي تعود لشعراء من ذلك العصر، وقدم سردا سريعا لتاريخ مدينة القدس عبر العصور، وقرأ قصيدة من نظمه حول المناسبة.

وأعقب ذلك حوار مع المحاضر. قدم الأمسية وعقب عليها عضو الرابطة الشاعر سعيد يعقوب.

نشاط اجتماعي أدبي في عيد الأضحى

اجتمعت الهيئة العامة لأعضاء المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالأردن في مقر المكتب يوم الأربعاء ٢٠١١/١١/٩م، لتبادل التهاني بمناسبة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٢هـ.

وبحث المجتمعون بعض المسائل التي تهم الأدب الإسلامي بعامة ومكتب الرابطة في الأردن بخاصة، أهمها توثيق الصلات مع وسائل الإعلام، علما بأن مكتب الأردن حقق حضورا إعلاميا على المستوى المحلي في محطات التلفاز والصحف المحلية.

وناقش المجتمعون مقومات الشعر الملتزم الذي يمكن أن يوصف بالإسلامية، واستمع الحضور إلى قراءات شعرية نالت إعجاب الجميع.

تكريم الشاعر سعيد يعقوب

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان حفل تكريم للشاعر سعيد يعقوب بمناسبة فوزه بجائزة المعلم الأديب في الدورة الأولى للجائزة التي أقامتها وزارة التربية والتعليم الأردنية، وقد أدار حفل التكريم الشاعر الإعلامي محمد نصيف.

ورحبت رئيسة المكتب السيدة نبيلة الخطيب بالحضور، وألقت كلمة هنأت فيها الشاعر سعيد يعقوب بالفوز الذي هو مفخرة للرابطة وللأدب. وأشادت بالقصيدة الفائزة لما فيها من حُسنُ سبك وسموّ فكرة.. ثم قدمت درعاً تذكارياً للشاعر سعيد يعقوب.

وقرأ الشاعر سعيد يعقوب قصيدته الفائزة، وألقى الشاعر محمد الخليلي تهنئة للشاعر يعقوب.

إصدارات حديثة

■ د. حبيب المطيري يهدي مكتبة الرابطة في الرياض مجموعة من كتبه، نشر دار القمم للإعلام بالرياض، ط١٤٢٦هـ. وهي:

- ثلاثة دواوين شعرية: نوافذ الشمس، ولغة أخرى.. ما لم يقله الآخرون، ونثيث السقاء.
- ومجموعة من الكتب الموجهة للأطفال والناشئين وهي: - حواريات ياسر.. حوارات تمثيلية للأطفال في المدارس ودور الأطفال والتجمعات الطلابية.
- السيرة النبوية للناشئة.
-سلسلة أيامي الجميلة للأطفال.. وتضم سبع قصص هي: الكنز الحقيقي، لا يمكن أبدا، تائهان في الصحراء، أحمد الثري، النمنم قادم، جلاء وجه، كذبة صغيرة.
- ومسرحية الطفل.. دراسة نقدية. وقد أرفق عدة نسخ من هذه الإصدارات لتزويد المكاتب الإقليمية للرابطة بها.

■ بحوث ندوة: الدراسات البلاغية.. الواقع والمأمول، جزآن، صدر الكتاب عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

■ كأني أراك، شعر عصام الغزالي، ط١، القاهرة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

■ من أدباء الطائف المعاصرين، تأليف علي خضران القرني، إصدار النادي الأدبي بالطائف- السعودية، ط٢، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م. يضم الكتاب ١١٥ ترجمة.

■ من إصدارات دار طويق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م:

- بعض تفاصيل معلمة سعودية، من أدب المذكرات، تأليف ضياء..!
- موسوعة كوني مثلهن سيرة عطرة.. نساء صالحات، تأليف د.أحمد ابن سالم باديلان.

■ مجلة الأدب الإسلامي التركية (Islami Edebiyat) العدد ٥٥، وهي مجلة فصلية.

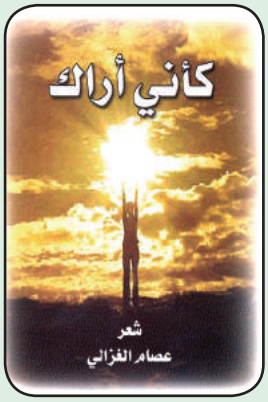

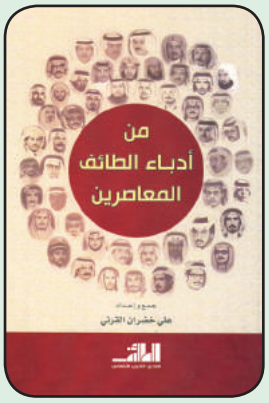

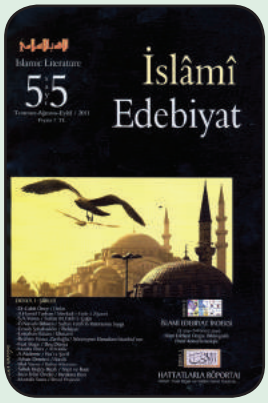

ما قالته الجدة.. في الدار العتيقة

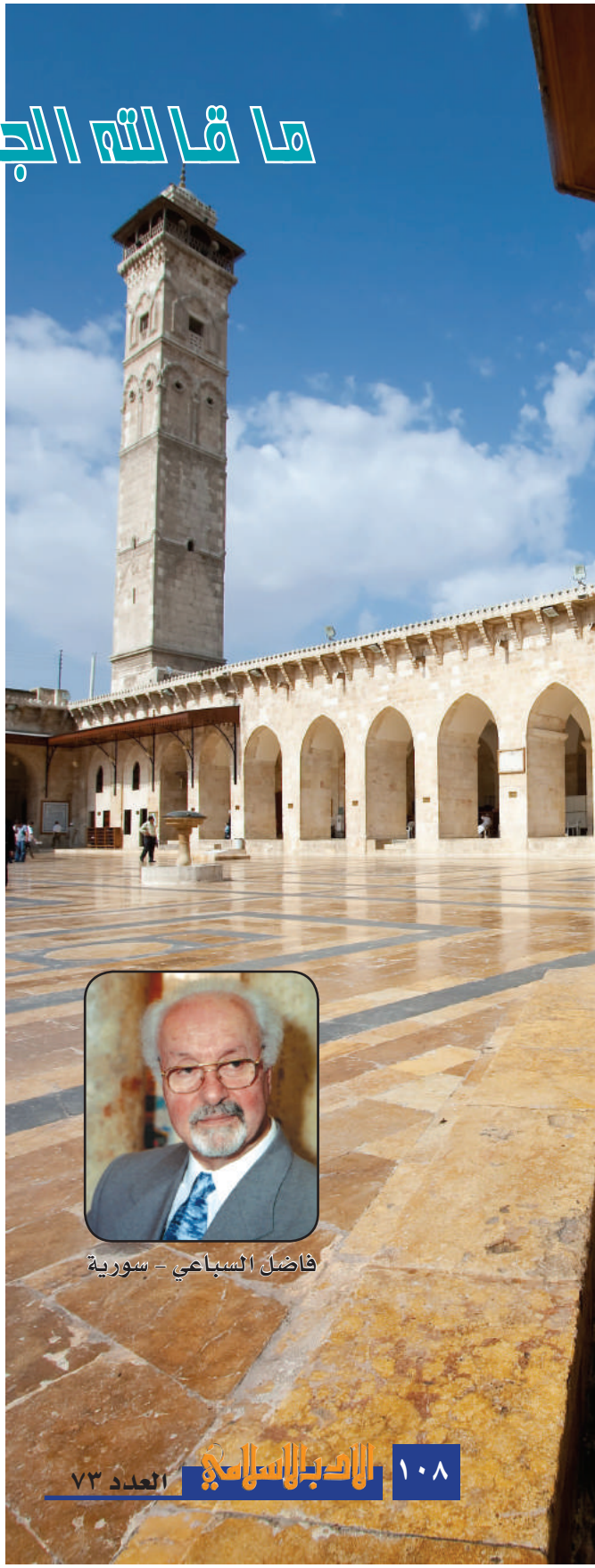

فاضل السباعي - سورية

في الدار العتيقة، التي شهدت مولدي قبل ثمانين عامًا، في «زقاق الزهراوي» بحلب، الواقع فيما يُسمّى حيّ «وراء الجامع»، كانت تنتظم حول «أرض الحوش».. «أرض الدار» غرفٌ أو «بيوتٌ» كما يسمّونها بحلب أحيانا، كلما عددتُها بالذاكرة نسيتُ العدد لتداخل بعضها في بعض، والآن أقول: إنها ستّة بيوت، و«ليوان» عالي السقف يستقبل الهواء الشمالي في ليالي الصيف، يضاف إلى ذلك «المربَّع» (العلّيّة)، نَطّلع إليه بدرج ذي درابزين. وكانت تتوسّط أرض الحوش بِرْكةٌ ذاتُ نافورة، تستمدّ ماءها من «القناية»، وذلك قبل أن يُستغنى عن ذلك بـ«ماء الشركة»، وكنّا نُغطِّس في مائها في ليالي الصيف (البطيخة الحمراء)، لنأكلها وقد نالها شيء من البرودة، قبل أن يَعرف الناس «البرّاد».

ما إلى هذا الوصف قصدت... بل لأقول: إنه كان في بيتنا مطبخان اثنان، أحدهما نُسمّيه «الفوقاني»، وهو يُفضي بداخله إلى «قَبْو» شديد العتمة، أطلقنا عليه «بيت المونة»، والثاني يُنزَل إليه بدرجات عشر سمّيناه «المطبخ التحتاني»، ولم يكن محلّ طبخ، إلا عندما تتهمّم جدّتي العتيدة «أمّ رئيف» بإعداد «الكنافة بين نارين»، تَفرش جانبًا من البلاط الأصفر بالرماد وتوقد فوقه الفحم.

وفي الجبّ تحت رُكِّبت «طُرُمْبَة»، كانوا يفرضون علينا نحن الصغار أن نضُخّ منها الماء، ولما كانت يدها (ساعدها) ثقيلةً، فكان أحدنا يتعلّق بها رافعًا القدمين، ثمّ ينزل الأرض فينزل شيءٌ من الماء في قعر السطل، الذي علينا أن نصعد به عند الامتلاء إلى أرض الحوش، وتلك كانت أكبر معاناة نتعرّض لها نحن

الصغار أولاد الأخ الأوسط، الذي ما زال يُنجب من زوجتيه الاثنتين، على حين عزّ الإنجاب على الأخ الأكبر لعُقم فيه، أو في زوجته التي كان قد تزوجها في أعقاب ١٩١٥م، وتقاعس الأخ الأصغر فلم ينجب إلا ثلاثة قبل أن يُسرع إليه الموت.

وأما العمّة، فلم يكن لها من الذرّيّة في ذلك الحين إلاّ بنتٌ، تُؤثرها جدّتي وأمُّها إيثارًا على كلّ أفراد الأسرة، وفي مقدمتهم أمي، التي كانت قد أنجبت للأسرة تلك الأيام ستًّا، قبل أن يبلغ ما أنجب أبي من زوجتيه الولودين تسعة عشر من البنين والبنات.

ثانيةً أقول، في نزعة «جاحظيّة»: ما إلى هذا قصدت... بل لأقول: إنه كان في المطبخ التحتاني «فتحةٌ» في الجدار ليست بذات باب، تُفضي إلى قبو أو مغارة أشدَّ ظلمةً، وما كنّا نخافُ نحن معشر الصغار شيئًا قدر خوفنا من تصوُّرنا الدخول إلى هذا المكان، وفتحته هذه، التي لم يخطر في بال أحد من الأهل أن يسدّها بباب ولو مرتجل إبعادًا للمخاوف عن قلوبنا الصغيرة، والذي كان يزيد من مخاوفنا الكبيرة أنّ هذه الفتحة ما إن تمتدّ إلى الداخل مسافةً حتى تنعطف يسارًا إلى حيث لا نعلم!

جدّتي، المسيطرةُ على الأسرة نساءً ورجالاً، حتى إنّ جدّي في رحلاته «المكّوكيّة» من حلب وحمص إلى مصر المحروسة للتجارة، آثر أن يتزوج بمصرية يقضي معها الشتاء بأشهره الستة، ويعود صيفًا إلى حلب ليتابع العيش مع الزوجة الأولى، جدتي، هذه التي لا تكفّ عن أن تروي الحكايا، من ذاكرة خصبة يرفدها خيالٌ أشدُّ خصوبةً، رأيتها ليلةً تحدّث ضيفاتها عجائز وصبابا، بأنه يسكن في «الزغلول»، تحت، جِنِّيٌّ اسمه «نَعْسُو»، وأنها على صلة خفيّة به، وهو قادرٌ على أن يجلبَ النفع لمن يستجير به، والضُّرَ أيضا...! فكان يعتريني -وأنا ابن الخامسة أو السادسة- ما يعتري النساء المصفيات، وتسري بي قشعيرة الخوف حتى وأنا في فراشي.

كانت جدّتي، في براعة تقديمها وتأخيرها في الحكي، تحمل ضيفاتها على أن تقف الواحدة منهنّ أمام شبّاك المطبخ التحتاني، غير متجرِّئات على النزول إليه، داعياتٍ من قلوب لهيفة:

«يا نعسو، أرجوك دبِّر لي شغلا لزوجي، عندنا خمسة أولاد!»،

«يا نعسو، اجعل زوجي يحبّني!»،

«يا نعسو، خلّيني أحبل وأجيب صبي!»،

«يا نعسو، اجعل زوجي يكره امرأته الجديدة!».

وكنت أستغرب ما أسمع وأرى، وأنا أعرف الحقيقة في «اختراع» جدّتي لشخص «المدعو نعسو»، الذي لم يكن معروفًا عندنا قبل ذلك التاريخ (شتاء ١٩٣٥م)!

وكانت زوجة عمي الأكبر، التي تتحرّك في الدار مثل ظلٍّ لحماتها، تشاركها في ترويج ذلك، وتُضيف أنها استيقظت، فجر ذلك اليوم، فرأت فيما كنّا نُسمّيه «الحاصل»، حيث كانت تتجمّع المياه من القناة ومن المطر، وهو يواجه شبابيك بيتها، وقد تحوّل مع دخول «ماء الشركة» إلى حمّام، بـ«قاظان» وتمديدات صحية... رأت زوجة العمّ رأي العين «نعسو» يستحمّ، شفّ لها شبحُه عبر زجاج باب الحمّام «المُبَوَّظ»، فازددنا هلعًا... فلما دخلنا الحمّام لنُعاين البلل المتخلّف عن الاستحمام، قالت: إنّ نعسو نَشَّفه، فهو جنّي!

وممّا زاد في الطنبور نغمًا، أنّ صديقًا لي في الحارة، هو في الحقيقة «أخي بالرَّضاع» (اسمه «عبد الغني...»)، كان يروي لي ما تحدّثه به عمّتاه العجوزان اللتان تسكنان معًا بيتًا في زقاق

الـزهـراوي، مـن أنّ بيتهما «مسـكونٌ» بطائفة من الجنّ، يظهرون لهما في الليل على أشكال بقرة وعنزة وقرود صغار وما شابه، تراهم العمّتان - وهما في فراشهما- يعتلون ظهر الخزانة، جالسين بوداعة فهم مثل «الإخوة» لهما.

كنت أرتعب من هذا الحديث، وأحمد الله أن ليس في البيت، في الغرفة التي أنام فيها مع إخوتي، مثل «هؤلاء الإخوة»، سوى «نعسو» الذي لم تحدثنا جدّتي بأنه يغادر مغارة الزغلول!

ذات يوم خطر لعمي الأصغر أن يقتحم الزغلول، صحبه في ذلك بعض أفراد الأسرة، وكنت فيهم حامل مصباح الكاز المنير، بغية الاكتشاف وما إذا كان في المغارة أسقاطٌ يستفاد منها.

فرأيت المغارة مكانًا مهجورا، أرضه ترابية، وتنسج العناكب فيه شباكها غير آبهة بنعسو... فزايلتني المخاوف كلُّها.

في الخامسة عشرة من عمري أُغرمت بالمطالعة غرامًا... فتبيّنت مدى «الخرافات» التي تنسج خيوطَها الجدات، فأنكرتُ ظهور الجنّ على سطح الأرض بهيئة بقرة أو عنزة أو قرد يجلبون الخير والشرّ، ولم أتردّد في إعلان ذلك، حتى وصل الأمر إلى أبي وعمي، فعدّا ذلك مني تجاوزا.

فكان عمّي يحدّث ضيوفه قائلاً: إنّ ابن أخيه، هذا الذي يتعلّم في المدارس ويكثر من قراءة الكتب، لا يؤمن بوجود الجانِ!

فأصحّح القول: بأني لا أُنكر وجود الجنّ، ما دام ذكرهم ورد في القرآن الكريم، ولكني غير مقتنع بأنهم يَظهرون على وجه الأرض بهذه الصورة أو تلك، وبأنهم يجلبون لنا الخير أو الشرّ.

وربّ عجوز من الجلساء وجَّه إليّ سؤالاً حاسما:

وإذا ظهر لك يومًا جنّيٌّ أو عفريت، فكيف تواجهه!؟

أقول:

أضربه، أبطحه، أصرعه!

فتقول وقد اعتراها الخوف:

ما هذا الذي أسمع؟ دستور يا حاضرين!

وكنت ألمح في عيني أبي إشراقةً تَنِمّ على إعجاب بأنّ ابنه، هذا المتعلّم، المثقف الصغير، بات يتجاوز بإدراكه ما توقّف عنده الكبار.

رَحِم الله الجميع، ورَحِمني وإياهم ■

دعاء

ناجي عبداللطيف - مصر

لائذٌ بالبابِ.. ؛
أدْعُوكَ..
الرجاءْ .
يا إلهي..
إنْ أكنْ يوْمَاً..
عَصَيْتُ . ،
فاضطراري..
بينَ جَنبَيَّ اهتداءْ .
ما لنا..
في الأمْرِ إلا..
ضَعْفنا .!
وهوَ عندَ السيرِ . .
يُغرى..
بالفؤادْ .
ذلنا..
هذا الذي..
بينَ يديكَ الآنَ..،
فامنُنْ..
واستجبْ..
منا الدُعاءْ .
واستجبْ..
منا الدُعاءْ .

تلقى الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي الرسالتين الآتيتين:

دعم مكتبة الأمل العامة

أتشرف بأن أرفع لكم من التحيات أزكاها، ومن الاحترام أسماه، ويسرني أن أنقل إليكم تحيات كافة إخواني أعضاء مجلس إدارة جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية الثقافية، والجمعية العمومية، ورئيسها الفخري الدكتور عمر عبد الله بامحسون، والأستاذ عبد العزيز بامحسون (نائب رئيس تحرير مجلة شعاع الأمل، رئيس اللجنة الثقافية والإعلامية بالجمعية)، وعبركم لكافة منتسبي مجلة الأدب الإسلامي... متمنين لكم دوام التوفيق والنجاح في أداء رسالتكم الإعلامية والتنويرية النبيلة في خدمة التراث والثقافة الإسلامية.

إن جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية الثقافية استطاعت بفضل من الله سبحانه، ثم بفضل من القائمين عليها، والداعمين لأنشطتها من رجال البر والإحسان أمثال الدكتور عمر عبد الله بامحسون أن تتبنى العديد من المشاريع التي تصب في خدمة الفقراء والمحتاجين، والأخذ بأيدي طلاب العلم، والإسهام في التنمية المحلية، بمديرية بروم النطاق الجغرافي لعمل الجمعية، وامتدت نشاطها وخدماتها لتشمل أجزاء أخرى من محافظة حضرموت، في احتضان المبرزين من الشباب، ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، وكفالة الأيتام، وكثير من الأسر الفقيرة، ورعاية حلقات تحفيظ القرآن الكريم، والإسهام في نشر السلوكيات الحسنة النابعة من ديننا الإسلامي الحنيف.

وللجمعية فضلا عن ذلك أنشطة شبابية رياضية وفكرية وعلمية وثقافية وأدبية، وإعلامية، ولتحقيق هذا الغرض صدرت مجلة شعاع الأمل في عددها الأول يونيو ٢٠٠٢م، وبلغ إجمالي أعدادها حتى يناير الجاري ٢١٠٢م، (٨١١) عددا، ولله الحمد.

نكتب إليكم وأملنا أن تزودوا المكتبة العامة للجمعية بأعداد مجلة الأدب الإسلامي، هذه الموسوعة القيمة التي سمعنا عنها الكثير من التقريظ ممن سبق لهم التشرف باقتنائها والاطلاع عليها.

إدريس محمد بن سلوم
رئيس الجمعية

شكر وتقدير

« تهديكم أسرة تحرير مجلة شعاع الأمل الصادرة عن جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية والثقافية بحضرموت في الجمهورية اليمنية أطيب تحياتها، متمنين لكم ولكافة هيئة تحرير مجلة الأدب الإسلامي وموظفيها ومراسليها كل خير وسعادة، وللمجلة ديمومية أداء رسالتها النبيلة في خدمة الثقافة والإسلام، والموفقية والنجاح.

يسعدنا أن نوجه إليكم بخطابنا هذا، مقدمين لكم شكرنا وتقديرنا وامتناننا لما لمسناه منكم من دعمكم مكتبتنا (مكتبة مجلة شعاع الأمل) بإصدارات نستلمها فصليا من مجلتكم الغراء مجلة الأدب الإسلامي، التي تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وكان آخرها العدد (٧١).

شاكرين حسن تعاونكم، وجزاكم الله ألف خير. وتقبلوا خالص تحياتنا.

عبد العزيز محمد بامحسون
رئيس تحرير مجلة شعاع الأمل

الأدب المقروء والأدب المنظور

د. عماد الدين خليل - العراق

ظهور الفضائيات وتكاثرها الملحوظ يحتم على المعنيين بالهمِّ الأدبي الإسلامي، أن يعيدوا النظر مرة ومرتين وثلاثاً في جهدهم المبذول.

فأنت عندما تنشر قصة أو مسرحية في مجلة أو صحيفة، وعندما تصدر رواية في كتاب، إنما تخاطب عشرات القراء وربما مئاتهم.. ولكنك عندما تبذل جهداً مضافاً لجعل القصة أو المسرحية أو الرواية صالحة للإخراج الفني على الشاشة الصغيرة، أو عندما تسعى لتوظيف خبرات الآخرين لتحقيق هذا الهدف، فإنك ستوسع دائرة المعنيين بنتاجك الأدبي، وسيتحول العشرات والمئات إلى الألوف والملايين.

وأغلب الظن أن معظم أدبائنا الإسلاميين أنجزوا أعمالهم الإبداعية وقد وضعوا القارئ لا المشاهد في بؤرة اهتمامهم، ولهذا لم يقدَّر لهذه الأعمال أن توظَّف فنياً لكي تغذي الشاشة الصغيرة بالفيلم أو المسلسل أو السهرة الدرامية.

إن التوازن يكاد يكون منعدماً في مكتبة الأدب الإسلامي بين المقروء والمنظور. ومن ثم فإن علينا - بصفتنا أدباء - وعلى مؤسسة كرابطة الأدب الإسلامي العالمية، إعطاء مساحة أكبر من الاهتمام بإنتاج النمط الثاني، وتقديم جملة من الإغراءات والمحفزات لإنجاز الأعمال الإبداعية التي تغذِّيه وتمكن المشرفين على الفضائيات (النظيفة) من تغطية أكبر قدر ممكن من الزمن التلفازي فيما ينفع الناس ويدلُّهم على معالم الطريق، ويمنعهم في الوقت نفسه، ويدفعهم - بالتالي - إلى الانصراف عن التعلُّق بالفضائيات الهابطة والأعمال الفنية التي لا تقدم شيئاً أصيلاً.

والحاجة أم الاختراع كما يقول المثل.. والتحدِّيات الملِّحة تقود، إذا أحسن الإصغاء إليها، إلى الاستجابات الناجحة.. فالفن المرئي يكتسح العالم اليوم، ويفرض نفسه بقوة الفضائيات على ثلثي البشرية، إذا صحَّ التعبير.. إنه يدخل علينا منازلنا، ويخترق غرف نومنا، ويستلب أثمن ساعات الليل والنهار..

وإنه لسيف ذو حدَّين، فإما أن نستجيب للتحدي ونشمِّر عن ساعد الجد ونقدم الأعمال القديرة على الظهور في الشاشة الصغيرة، فنحقق بذلك اثنتين: إيصال خطابنا الأدبي المتميز إلى ملايين المشاهدين، وتضييق الخناق على الخطاب السيئ والمعتم الذي يعرف كيف يدمر منظومة الثوابت والقيم الدينية والسلوكية والحضارية في نهاية الأمر.

وإما أن نظل متشبثين بالكلمة المقروءة في صحيفة أو مجلة أو كتاب، فنفرض العزلة على أنفسنا، ونفرِّط في الفرصة الذهبية التي لم نحسن اهتبالها؟

إن على القاص والروائي المسلم أن يضع نصب عينيه وهو يكتب: كلا من (السيناريست) وكاتب الحوار، والممثل، والمخرج، وسائر المفردات التكميلية التي يتطلبها الإخراج الفني من إضاءة إلى مؤثرات صوتية إلى عروض تشكيلية.. إلخ..

والذي يحدث في كثير من الأحيان أن أدباءنا لا يكترثون لهذه المسألة، ولا يضعونها في حسبانهم وهم يكتبون، ومن ثم يسدّون الطريق على أنفسهم وعلى الآخرين للتحقق بالتوظيف الفني لأعمالهم.

بل إن المرء ليأمل بما هو أكثر من هذا.. وهو أن تتشكل داخل حركة الأدب الإسلامي خلايا فنية من المخرجين وكتاب (السيناريو) والحوار والرسامين، بل حتى من الممثلين، سواء بتكوينهم داخل ساحة الأدب الإسلامي ابتداء، أو بإقامة علاقات ومدّ الجسور مع فنانين من خارج الساحة يملكون الاستعداد لتوظيف النتاج الأدبي الإسلامي.

إن مطلباً كهذا ليزداد إغراءً وإلحاحاً عندما نتذكر ذلك الخط الطويل من الفنانين المتمرسين الذين فاؤوا إلى حظيرة الإيمان، وهم ينتظرون بلهفة عارمة النصَّ الإيماني الأصيل لكي يرموا بثقلهم من أجل توظيفه الفني.

وإنها لضرورة ملحَّة، فضلاً عن كونها فرصة ذهبية للخطاب الأدبي الإسلامي.. فهل سنستجيب؟!